



مجله

من الأثر

الكتوب بخط الرحمن الشهبندر

كتبة الملك فهد الوطنية

٩٠٢,٥٥٦٥  
٧٥٤

منكر لارث

الكتور عبد الرحمن الشهبندر

كتاب الأرشاد

الطبعة الأولى والنشر والتوزيع

مب ١٣٤٧ - بيروت

مكتبة المطابع فهد للدراسات

الطبعة الأولى

١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م

جميع الحقوق محفوظة

## عبد الرحمن الشهبندر

١٢٩٩ - ١٣٥٩ هـ

١٨٨٢ - ١٩٤٠ م

عبد الرحمن بن صالح شهبندر : طبيب ، خطيب ، من أهل دمشق ، مات والده وعمه بعد ست سنوات ، فربته أمه ، وتخرج من الجامعة الأميركية ببيروت ، طبياً ، سنة ١٩٠٤ م . وكان ممن دخل في جمعية « الاتحاد والترقي » بعد الدستور العشاق ، فلما اتجهت سياستها إلى « ترك » العرب ناوآها .

ونشبت الحرب العامة (١٩١٤) فتواري ، منتقلا إلى العراق فمصر ، وأقام في القاهرة إلى ما بعد الحرب ، وعاد إلى سورية سنة ١٩١٩ م . وعيّن وزيراً للخارجية فيها سنة ١٩٢٠ م . واحتلتها الفرنسيون بعد وفاة ميسلون (في العجوة نفسها) فخلوها إلى مصر فأقام نحو عام ورجع إلى الشام ، فاشتراك في حفلة للمصريين كإبن ( Charles Crane ) الأميركي ، فاعتقله الفرنسيون وسجن في قلعة دمشق وبسبب الدين ثم في جزيرة أرواد سنتين وبضربة أشهر وأطلق سراحه ، فشارك في إنشاء حزب « الشعب » بدمشق ، وثار سورية سنة (سنة ١٩٢٥ م) وهم الفرنسيون بالقبض عليه ، ففر إلى جبل الدروز معقل الثورة ومنه

بسم الله الرحمن الرحيم

٧٩٨١٥  
١٧٨٨٤١

يشتمل هذا الكتاب على الاقسام التالية :

القسم الاول : مذكرات الشهيد في السجن عام ١٩٢٢ وهي تتعلق  
بقدوم لجنة كراين الى سوريا والاحداث التي جرت  
عقب ذلك في البلاد .

القسم الثاني : مذكرات الشهيد عن الثورة السورية عام ١٩٢٥  
عواملها ، وقائعها ، ونتائجها

المحقق : مذكرة الدكتور شهيد التي قدمها الى وزارة  
الخارجية الفرنسية يسط فيها اسباب الثورة  
واغراضها .

الى شرقي الأردن ثم الى القاهرة سنة ١٩٢٧ واختلف فيها مع  
اكثر العاملين لاستقلال سورية من اصداقائه الاقدمين ، فتناولت  
المصحف موقفة له وعليه ، وانصرف الى الاشتغال بالطب زمنا ،  
ثم اراد الاستقرار في دمشق ، فعاد اليها سنة ١٩٢٨ ، فبينما كان  
في « عيادته » دخل عليه ثلاثة اشخاص فقتلوه ، واعتقلوا واعدموا .  
وكان يحسن الترجمة عن الانكليزية ، ونقل عنها الى العربية  
كتاب « السياسة الدولية » طبع لديزل يورنس ، وكتب مقالات  
في مجلتي المقتطف والهلال ، جمع بعضها في كتاب سماه : القضيايا  
العربية الكبرى - طبع - وكان قد حاول فرض التمر في صباه  
فنش له المستشرق الالمني « كهمبرير » في مجهوعته بعض ما نظم ،  
وليس بشاعر .

★ ★ ★

الاعلام لخير الدين الرزكلي ج ٤ ص ٨٠ . ط - ٢ -  
تقلا عن : مذكرات المؤلف وجريدة الفيحاء المشرقية ١١ شوال سنة ١٣٤٢  
وجريدة الوفد المصري ١ جمادى الثانية ١٣٥٩ والاعلام الشريفة ١ : ١٤٥ .  
واقرا ما كتبه عنه محمد كرد علي في « المذكرات » ٢ : ٤٤٤ - ٤٥٠

## القسم الأول

مذكرات الدكتور عبد الرحمن الشهبندر  
في السجن عام ١٩٢٢

## مقدمة

انتهت الحرب العالمية الاولى ( ١٩١٤ - ١٩١٨ ) بانتصار الحلفاء على المحور فكان الفرح العظيم في البلاد المنتصرة بمقدار لا يوصف ، على انه كان بالنسبة للعرب الذين ساهموا مع الحلفاء في تلك الحرب يوما مشهودا طافحا بكيار الامل ، ذلك لانهم كانوا لا يزالون مؤمنين بالعهود والوعود التي قطعها لهم حلفاؤهم ، ولا يفتأون يؤملون ادراك الاستقلال والوحدة .

ولكن فرحهم بيوم النصر لم يلبث الا قليلا حتى انقلب الى خيبة ووجوم ، فما ان كشفت روسيا السوفياتية عن الاتفاقات الدولية السرية حول البلاد المنفصلة عن السلطنة العثمانية ، وفي مقدمتها اتفاقية ساكس - بيكو ، وعلما بوعده بلفور حتى ساوورهم القلق واصابهم الالم ، ولا سيما عندما اخذ حلفاؤهم يطبقون تلك الاتفاقات على اساس تقسيم البلاد وتوزيع الانتدابات عليها .

وابان ما اجتمعت الدول المنتصرة منذ حزيران ١٩١٩ في مؤتمر الصلح بباريس اوفد الدكتور وودرو ويلسن رئيس الولايات المتحدة الاميركية الى سوريا لجنة كينج - كراين لاستفتاء اهلهما قصد تنوير افكار المؤثرين في باريس . فطافت هذه اللجنة في لبنان وسوريا وفلسطين ووضعت تقريرا لم يابه به الطغاة ، وانما وضع

سميد جيدر ١٥ سنة بكثرة الاصوات

منير شيخ الارض ١٠ سنوات باتفاق الاصوات

عبد الوهاب العفيفي ٢٠ سنة بكثرة الاصوات وهو مصري

الدكتور خالد الخطيب ١٠ سنوات باتفاق الاصوات

توفيق الحلبي ٥ سنوات بكثرة الاصوات

هذا وما ان صدر حكم المحكمة العسكرية بدمشق على السادة المشار اليهم وسيقوا الى سجن القلعة حتى انتفض الشعب ، واقفلت المدينة في ٢٠ نيسان ١٩٢٢ ، واستمر الاقبال اسبوعا كاملا .

وقد ساقوا هؤلاء السادة المحكومين الكرام الى سجن بيت الدين . وهناك كان الدكتور شهنشدر يختلس الفرص لتدوين القسم الاول من مذكراته هذه التي هي من اثنى ما دون هذا الزعيم وكانت بلاغته في وصف الاحداث تأتي احيانا على سجيتها وصفا عاليا في بعض الاحيان ، وتتدنى احيانا اخرى بتأثير الوضع ، وخوف المراقبة .

وقد وقعت هذه المذكرات الثمينة بين ايدينا فرائنا من الواجب نشرها لانها جزء من سجل النضال الوطني من اجل الاستقلال .

واضعنا اليها مذكراته عن الثورة السورية كتبها تلبية لطلب الجمعيات العربية في الولايات المتحدة الاميركية ونشرت تباعا في بعض الصحف العربية آنذاك وافردنا لها القسم الثاني من هذا الكتاب ، وادرجنا بعد ذلك ملحقا يتضمن المذكرة الهامة التي قدمها الدكتور شهنشدر الى وزارة الخارجية الفرنسية يسط فيها اسباب الثورة السورية واغراضها .

الخاتمة

بين المحفوظات في واشنطن لان كثرة السوريين اعلنت رفضها لكل انتداب وتقسيم . ثم اسفرت تلك المفاوضات الدولية في مؤتمر سان ريمو بمنح عصبة الامم في ٢٠ نيسان ١٩٢٠ الجمهورية الفرنسية الانتداب على سوريا ولبنان ، ثم عهدت اليها في ٩ ايلول ١٩٢٣ القيام بهذا الانتداب . وكانت الفترة التي تخللت هذين التاريخين تعرف بعهد الاحتلال العسكري . وخلال هذا العهد وقعت احداث كبرى في انحاء سوريا داخليا وساحلها رافقتها احتجاجات ومظاهرات وثورات وقيام دولة فيصل بن الحسين الذي يبيع ملكا على سوريا . ولكن الدولة المتنبذة استطاعت ان تذلها بالمال والحسام بيد انها لم تستطع ان تستأصل الروح القومية ، والاماني الاستقلالية ، ولا ان تنتزع الالام المبرحة التي كانت تكمن في النفوس .

وفي هذه الفترة من الزمن شاء المستر كراين الذي كان رئيسا للجنة كينج - كراين ان يزور سوريا وكان يعطف عليها ، فجاءها في غرة نيسان ١٩٢٢ بصورة خاصة لتفقد اصحابه فيها ، فكانت هذه الزيارة لدمشق مشجعة اهلها لاستئناف المظاهرات ، وللاعراب عن شكائهم من الوضع ، وللمطالبة بالاستقلال وذلك بعد ان كان الركون قد سيطر عليهم مذ دخل الفرنسيون بلادهم بالقوة فاتحين ، وازاحوا عنها الدولة العربية الشريفة ، وعلى هذا الاعتبار تعد هذه الانتفاضة اولى الانتفاضات السورية بعد الاحتلال .

وما ان غادر المستر كراين دمشق حتى اقبلت السلطة على معاينة رؤساء هذه الحركة فالقت القبض عليهم ، وساقتهم في ٦ نيسان ١٩٢٢ الى المحاكم امام المحكمة العسكرية . وقد صدر الحكم عليهم . وهو يقضي بالسجن على مدد متفاوتة على الوجه التالي : السادة :

الدكتور عبد الرحمن شهنشدر ٢٠ سنة بكثرة اصوات اعضاء المحكمة حسن الحكيم ١٠ سنوات بكثرة الاصوات .



# كراسين في سورية

## الحالة العامة قبل وصوله :

كانت البلاد السورية تتمخض بالحوادث ، بالنظر للخبية التي اصابته الناس من جميع الطبقات والمذاهب ، من جراء سوء الادارة الداخلية ، وزوال القومية ، واتساع الضائقة المالية والاقتصادية ، وانتقال عدوى الوطنية في عامة انحاء المشرق . وكان اكثر الناس تنتظر التطورات والحوادث بين عشية وضحاها خصوصا والحالة الدولية لم تستقر بعد على شكل ، الا ان الخاصة الذين كانوا يدرسون الامر درسا دقيقا لم يكونوا يتوقعون حصول هذه التطورات والحوادث الا بعد اشهر ، ومن كان منهم يتوقع حصولها كان يود تأخيرها كي يكون الشعب اكثر استعدادا بالروح القومية ، فاذا تحرك انما يتحرك بنظام لغاية محدودة وهدف معين .

كانت الاحوال على هذا النوال من الاضطراب وتبيل الحال ، ولكنها في الظاهر كانت هادئة ساكنة بحيث كان الاستعماريون يظنون الامور جارية مجراها ، ولم يخطر في بالهم قط ان هذا السكون انما هو السكون الذي يسبق العاصفة . كنت في مكنتي في صباح السبت الواقع في ١٦ نيسان سنة ١٩٢٢ اذ تنازلت رسالة عليها طابع بريد يدل الختم عليه انه صادر من مدينة دمشق ففحصته فوجدته من الاستاذ نيكولي رئيس الجامعة الاميركية وتاريخه ٢٩ مارس ١٩٢٢ وفيه يقول لي :

وإذا بالمستر كراين واقف يأكل شيئاً من السكاكر الاجنبية فدعاني فاكلت معه ثم باداني الحديث بالطريقة الانكليزية السائدة المتروية التي تكاد تكون همسا كما ياتي :

انتي قدمت الى هنا بقضية التحقيق ، وذلك ان مجرى السياسة يتطلب اظهار تقريرنا المشترك الذي كتبناه مع اخواننا اعضاء اللجنة الاميركية التي استفتت بلادكم عام ١٩١٩ فهل كانت استخباراتنا صحيحة يا ترى ؟

اريد منك ان تجمعي مع اهل هذه البلاد ولا سيما العلماء « المشايخ » منهم ، لارى هل حصل شيء من التبدل في آرائهم ، وهل كنا مصيبين في اخبارنا التي جمعناها في تقريرنا ، فوعده بأن اجمعه في اليوم التالي بنخبة من الاهلين بالساعة الثالثة زوالية ، ثم سألته هل هو بحاجة الى من يلازمه في الصباح فقال كلا لانه عازم على صلاة الاحد في الكنيسة الساعة العاشرة حيث يجتمع بعض المسيحيين ممن يود استطلاع رأيهم واستكشاف فكرهم . وقد كنت في جميع اسئلتي حرصا على الالتقاط من فمه كل ما يهمني امره من الجريات المتعلقة بتقريره الذي ( وضع ) في وزارة الخارجية الاميركية ، وعلى ان اعلم ماذا فعل الله بمساعيئه التي تحاول السياسة العاشمة اخفاؤها ، وكأني رأيت على وجهه من امارات النعيب من وعث الطريق ما حدى بي الى مفارقتة على امل اللقاء في اليوم التالي واستيعاب سائر اخباره . وعلى كل حال قنعت من مجرى الحديث بحدوث بعض الطوارئ المهمة في مجاري السياسة المشعبة المتعقدة التي لا تستقر على حال . ودعته وانصرف وما حطت رجلي في المركبة الا وَاخذت انظم جداول الاعمال ، وافكر في مواجهة الاتقياء من رجال الكنيسة قبل ان يلتقي بهم وتهيئة الاجتماع المعين والتقيب عن رجال فيهم الكفاءة لقرع الطبول الخفية على الاذان الحساسة بحيث يتسنى لنا اجتماع الكفافية وزيادة .

انه تناول برقية من المستر كراين يقول فيها انه قادم في اول نيسان سنة ١٩٢٣ الى دمشق لرؤية اصحابه الذين عرفهم فيها عام ١٩١٩ ، وهو يرجو من الدكتور شهنشدر مقابلة المستر كراين ومساعدته على تحقيق غايته بالاجتماع الى هؤلاء الاصحاب وانه سيحل في فندق داماسكوس بالاس .

فقرات من بين السطور ما سمحنت لي مخيلتي ان اقرا ، وعجبت من صدور الرسالة عن دمشق في حين ان كاتبها موجود في بيروت ، وقلت في نفسي على كل حال هذه فرصة لا يسمح الزمان بمثلها ، وان الحكيم لا يتحين الفرص فقط بل يخلقها ، وان سلاحا تعلق به الولايات المتحدة ولو من طرف بعيد ، هو سلاح قاطع ومشجع .

### وصول كراين الى محطة الحجاز :

ركبت سيارتي في المساء الى نزل داماسكوس بالاس ، فسالت عن المستر كراين فقلت لي انه قادم في قطار حيفا وان الحجرة رقم ٢٣ والحجرة التي بجانبها محجوزتان لامره ، ولما رأيت ان مجيء القطار قد ذهب الى المحطة ، وما كدت اضع رجلي على سلمها حتى سمعت صفيق القطار فدخلت فوجدت المستر كراين نازلا ومعه المستر برودي كأنهم سره ، فتقدمت اليه وحملت في وجهه فوجدت نفس الرجل الذي كنت رأيتة في يونيو سنة ١٩١٩ ولكني رأيت وجهه اكثر تجمدا وقامته انشد اعوجاجا ، وتقدمت اليه وناولته بطاقتي وقلت له ان الاستاذ نيكولي كفني ان اقابلكم ، فلما نظر الى المسيو برودي التفت اليه وذكره في اجتماعنا الماضية فهش كثيرا وقال لي مبتسما هل تستطيع ان تقابلني بهذا المساء الساعة الثامنة والدقيقة الثلاثين فأجبتة بالايجاب .

### لقاء في الفندق :

نقرت بساب الحجرة الثالثة والعشرين في الوقت المعين فسمعت صوتا هادئا يقول تفضل فدخلت

نيكولي اخذ يتسهم واظهر انه عرف كل شيء من الاسرار واخذ يأتي بالحجج الدامغة ( القانونية ) على تصنع تلك الرسالة بداعي انه كان قد تناول رسالة مثلها وانها كذبة نيسان ، منها ان التوقيع لا يشبه توقيع الاستاذ ، وان لفاتها الانكليزية فيها من العبارات ما لا يقوله الانكليز ، وان الطابع البريدي مدموغ في الشام فقط مع ان الرسالة صادرة من بيروت ( هذا بالعكس مما يدعو الى النظر بشدة والاهتمام ) . اجبت ان اكتب ملاقني للمستتر كراين في المحطة حتى نهاية الحديث لارى نتيجة البحث مع النظريات المجردة التي لا يحتاج تحقيقها الا الى جهد قليل او ذهاب الى المحطة او زيارة في المنزل . ولما اعيتني الحيلة قلت يا سيدي انني رايت المستتر كراين بعيني في المحطة وان الرجل مقيم في الصخرة ٢٣ من نزل داماسكوس بالاس ، وما عليك اذا كنت لا تزال على نظرية كذبة اول نيسان الا ان تذهب معي الى النزل لتحقق بنفسك ، فظهر بعد العناء الشديد شيئا من الايمان على قواعد الشك ، وهكذا ودعته وانصرفت وانا اقول بنفسني ( حتى انهم يستبعدون زيارة المستتر كراين لربورك في هذه الايام المصيبة ! ) .

### خلاصة المطالب الوطنية :

عدنا في نحو الساعة الواحدة بعد منتصف الليل الى الصالحية حيث اوصلت السيد رشيد بقدوننس الى داره . وفي صباح اليوم الثاني جاءني محمد بك اسماعيل فقصمت عليه ما جرى ، وطلبت اليه ان يواجه حسن بك الحكيم مدير البريد والبرق في الحكومة الوطنية ومعي الدين بك صادق قائد الوقع ويطلب موافقتهما في العمل والحياء الى الاجتماع في المنزل في الوقت المين ، وبعد نحو ساعة جاءني محي الدين بك صادق وهو يخشى ان تكون لعبة نيسان ايضا . فطلبت منه ان يذهب الى المنزل ويرى المستتر كراين بعينه ، فذهب وبعد هنيهة عاد معه السيد حسن الحكيم فذكرت لهما اني افضل ان يكون الاجتماع في حديقة الشرباتي في زقاق الحيات على

### انصالي بالوطنيين :

لم ارجع الى داري بل سرت توا الى دار محمد بك اسماعيل الطباخ قائد فرقة حلب ايام الحكومة السورية فلم اجدته ، فذهبت منها الى دار ياسين باشا الهاشمي فلم اجدته ايضا ، فطلبت دار السيد عثمان الشرباتي الناجر الوطني المعروف للتحرك فقبل لي انه في دار النسام ، طرقت باب دار النسام فخرج لي الخادم فقلت له بلغ السيد عثمان ان بشيرا ينتظره في الباب ، فخالما رايت السيد عثمان عرف عن امر ذي بال جرى في تلك الليلة ، فاخذني الى دار عثمان ( زوج ) اخته السيد رشيد بقدوننس حيث قضيت ساعة شرحت لهما فيها حديث المستتر كراين وبينت لهما الواجب المحتم عليهما بتلك الليلة ، بحيث كلقت السيد عثمان ان لا ينأى حتى يهتبه خطة لواجهة احد الذين يذهبون الى الكنائس في الاحاد عادة فقام ، واذ كنت في المركبة خطر في بالي ثلاثة اسماء : عبده الاحيل والسيد انيس سلوم والسيد فارس الخوري على قلة صلواته الا للضرورات .

### مع فارس الخوري في منزله :

وصلت الى دار الاخير منهم فطرقتها فوجدت الجميع نائمين ، ولكن ما زلت اترع الباب حتى انتهت الخادمة فأخبرتني انه مع اخيه فائز بك يقضي السهرة في النادي ، فكلفتها ان توصل اليه الرسالة الاتية : « اخي العزيز فارس بك انتيك للمشاركة بشأن احدى المسائل المهمة المتعلقة بمهنتك السياسية بالطبع فلا تؤاخذني على اقلاق راحتك وانا انتظرك في البيت سيدي » . وبعد بضع دقائق عادت الخادمة وقالت الان يأتي ، ولكن الذي اني هو فائز بك فسألناه عن فارس بك فقال انه نائم في حجر تسيه ثم دخل عليه فأيقظته ، ودخل علينا بقميص نوم وعليه عباءة بنية ولم يخف تعجبه من هذه الزيارة الغير منتظرة ، فلما فانتحته بحديث رسالة الاستاذ

من الحجيرة الضيقة فقبل مع السور فزلنا الى المركبة وصلنا الى الحديقة بسحان الحيات بعد الساعة الثالثة حيث وجدنا لفيفا كبيرا من العلماء والادباء والتجار والايان وارباب الاموال والمزارعين فلما رأونا استقبلونا بالتصفيق والتهاتف فقمنا بينهم وكان مع المستر كراين كاتم اسراره المستر برودي .

سأل المستر كراين المجتمعين عن صحتهم وهل هم لا يزالون على الاراء التي اطلعو عليها يوم اتى مع اخوانه عام ١٩١٩ لا استغاثهم فأجابوه كلهم بصوت واحد ، لانهم لا يستحون ان يعترفوا بأنه حدث تعديل مهم فيها بعد هذه الاختبارات العظيمة التي عاوها منذ بدء الاحتلال ، وهذا التعديل والتطورات تجمعه جملة واحدة مختصرة وهي التشدد بكل الوسائل بالمطالبة بتلك الرغائب .

### الشيخ احمد المصاحب يتكلم عن مقبرة البرامكة :

ومما يحسن قوله ان الذي فتح باب الحديث شيخ مشهور في دمشق الشام له ادوار في السياسة معروفة منذ الايام الحميدة ، واعظم دور لعبه في اواخر الحكومة العربية اذ وضع يده بيد الفرنسيين فخذلهم اجل الخدمات واظهر من التسامح معهم على مركزه الديني والارشادي ما صار مثلاً مشهوراً في انكار الذات وهذا التسامح هو الشيخ احمد افندي المصاحب شيخ طريقة النقشبندية .

اخرج من جيبه اوراقاً فقرأها فاذا هي وثائق رسمية مرت على الحكومة وفيها التشكي من امر فطيع حدث في مقبرة البرامكة المشهورة ، حيث دفن كلب لضابط افرنسي بقبر احسد ائمة المسلمين ، وبنيت مراحيض للجنود السنغالية قبل ان اخرجتهم فتاثر المستر كراين تأثراً كبيراً . ثم امر كاتم اسراره ان يدون هذه الملاحظة في مذكرته فدونها ، وانا تناولت الوثيقة وحفظتها له في جيبى الى يوم سفره فقدمتها له ثم قلت ان الجبانة ليست بعيدة

طريق الصالحية بدلا من ان يكون باليزل خشية مفسد الجو ايسس ووسائل الحكومة ، فاستحسننا هذا الرأي . واخيرا اتفقنا على ان ندعو افاضل البلدة على اختلاف المذاهب والمشارب ولا سيما رجال العلم منهم ، فودعاني وانصرفت وعلمت بعدئذ انهما ذهبا توا الى دار السيد تاج الدين الحسيني فواجهناه بعد عشاء ، ومن ثم اجتمعنا بكثير غيره من الرجال المعروفين بوطنيتهم ، فوصلوا جميعا ان بعضهم بالوقت الميعين . اما انا فقد ذهبت الى حديقة لارى تهيئة الاجتماع بنفسى فاجتمعت هناك بالشيخ كمال يحيى والشيخ عبد الحميد العطار والشيخ عبد الله الكزبري وصاحب الحديقة السيد عثمان الشرباتي ، فتذاكرنا بالمطالب التي يجب عرضها على المستر كراين واظهار رغائبنا بصورة جلية ، فاتفقنا على انلقط الثلاثة الآتية : الاستقلال التام - والوحدة السورية العربية - وترك الخلافة في بني عثمان .

هذه الرغائب كانت ولا شك ضالة الجميع ولم يختلوا الا قليلا في مسألة الخلافة لانهم يريدون ان تكون في حوز من اخطار الغرب ، وهم يعلمون حق العلم ان البلاد التي يكون رئيسها آلة بيد دولة غريبة تتصرف به كما نشاء وان مملكة مؤلفة من قرى لا تتجاوز عدد الاصابع لا تستطيع ان تمثل الاسلام وان يكون خليفة لثلاثمائة مليون من المسلمين . والمسألة من اولها الى آخرها مسألة قوة وعظمة واستقلال ، فحيثما وجدت دولة اسلامية قوية عظيمة مستقلة عربية كانت ام اجمعية ، فسان انظار الدول الاسلامية التي هي اضعف منها توجه نحوها ويكون الرئيس عليها بطبيعة الحال موضع آمال الاسلام ومحط ثقته .

### اجتماع كراين بالوطنيين في منزل عثمان الشرباتي :

عدت الى بيتي وفي الوقت الميعين ذهبت الى المنزل فينت للرائر الكريم فكرة الاجتماع في الحديقة بدلا

الانتقال من البلاد الى الجنوب حيث سيجدون لمصنوعاتهم سوقا لا يراحمهم فيها احد بسبب تلك الحواجز .

### انور البكري يتحدث عن الزراعة :

وقال انور افندي البكري من كبار المزارعين :

ان ايرادنا لا يكفي لتأدية الضرائب الموضوعة علينا ، وهذا حال سائر المزارعين ايضا في هذه البلاد . وانا نخشى اذا سارت الامور على هذه الحال واضطرنا لبيع املاكنا لا يبقى معنا بعد حسم الاموال الاميرية منها ما يكفي لتؤسس عملا جديدا لنا في البلاد التي تأمل فيها الراحة . فرغبتنا اليك ايها الزائر الكريم والسيد الجليل بصفتك من اهل الماكينة السياسية في بلادك ان ترجو لنا بلساننا من حكومة الولايات المتحدة ان تسهل لنا منذ الان سبل الهجرة وتفتح لنا بابها كي نفعل في الجلاء ونصل الى العالم الجديد . وفيما رفق .

### حسن الحكيم يشح سوء الاوضاع المالية والاقتصادية :

ثم تناول الحديث السيد حسن الحكيم من الوجهة المالية وافترض وابدع ولم يترك زيادة لمستزيد . ومما قاله : تكلم كثير من اخواني الحاضرين بشأن الضرائب التي اثقلت كاهل الاهلين واتوا بالامثلة الكثيرة على سابقتها وحاضروها وبانظروا لا تيسر لي من الوقوف على ميزان حكومة دمشق عام ١٩٢٢ فسأعرض على مسامح المستر كراين الدواعي التي سببت تلك الزيادة الفاحشة في الضرائب :

من القواعد المقررة في العلم ان تراعى انشاء تنظيم الميزانية الاحوال المالية والاقتصادية والسياسية خصوصا متى كانت في دور التأسيس اما الميزانية التي نظمها المستشار المالي وقدمها الى مجلس المديرين فصادق عليها والتي ارسلت بواسطة البعثة الى المفوضية العليا لاجل التصديق ايضا فانها لم تنظم على الاسس المذكورة بل

كثيرا واقترحت عليه ان يذهب اليها بعد انفضاض المجلس ليرى بعينه صحة الخبر المؤلم فقبل مع الشكر .

### حسام العمري يشكو من الضرائب :

ثم جرى ذكر الضرائب فانبرى حسام الدين افندي العمري احد التجار المعروفين فذكر ان والده كان تاجرا منذ عشرين السنين في دمشق ، وانه في مدة ثلاثين سنة لم يؤد للحكومة من ضريبة التمتع ما تجاوزت قيمته كل سنة خمسمائة قرش ولكن ابنه ( اي هو ) ادى هذه السنة سبعة عشر الف قرش باسم هذه الضريبة . وقال : اذا دام الحال كذلك ، على هذا المنوال من استيفاء الضرائب الباهظة مع وقوف دولاب التجارة والعمل ، فان البلاد سائرة الى الخراب لا محالة .

واردف قائلا :

« اذا رايت ايها الزائر الكريم: بعضنا لبسا اردية هذه السنة فان الزمن الذي نبيع فيه هذه الاردية ليس بعيدا . . . » و اضاف الى ذلك قوله : ومما اقصه عليكم الان ، ما جرى معي وانا قادم الى هذا الاجتماع ، اذ بينما كنت ماشيا على الرصيف مع اخي حسني تسترا من الرذاذ المنهمر ، اذ شعرت بصفعة على ام رأسي من ورأيي ، فالتفت ، فاذا بضابط فرنسي يقول لي :

« لماذا لا تتول الى قارعة الطريق كي امر انا على الرصيف ؟

الم تعلم اننا ما ايننا هذه البلاد الا لنعلمكم الادب » .

فصمت هنيهة وانا انظر اليه برفع ، واخيرا قلت له :

« بورك لكم هذا الادب ، وانصرفت في طريقني » .

قام بعده السيد عثمان الشرباتي وبين الاضرار البليغة التي اصابت البلاد من وضع الحواجز الجمركية ، وذكر ان هذه الحواجز ستحمل قسما كبيرا من اصحاب الحرف كالحياكة والصباغة على

بعد والوارد ما لا يتغيب ، وخصصت للموظفين الرواتب الباهظة التي لا يتيسر لهم الحصول عليها في اي عمل آخر ، ومما ساعد التجاء الناس الى الوظائف مع كرههم للادارة وقوف الحال وكساد التجارة ووبار الزراعة بسبب تمزيق وحدة البلاد واقامة الحواجز الجمركية والسنيرية بينها

**ثالثا -** لم تكف الحكومة بتعيين الرواتب الباهظة للحاكم والمديرين فحسب ، بل خصصت لكل واحد منهم والمتصرفين في الولاية ايضا سيارة تبلغ نفقاتها السنوية نحو الفيرة سورية كما يتضح من الارقام الاتية :

#### ل.س.

- ٨٠٠ ثمن سيارة ونفقات تصليح
- ٤٠٠ ثمن بالزين
- ٧٢٠ راتب المسائق السنوي

١٩٢٠ ليرة سورية في السنة .

هذا عدا نفقات الكاراج ، ورئيس الكاراج وحده يتناول ١٢٠٠ ليرة ، وقد خصصت الى الحاكم علاوة على ما تقدم ٨٥٠ ليرة باسم نفقات السفر والانتقال و ٤٠٠ باسم نفقات الاشتراك بالجراند مع انه لا توجد حكومة في العالم تقدم على مثل هذا الاسراف الغريب من تقديم سيارات ، دع عنك بدلات الاشتراك في الصحف . وحسبنا ان تقول في هذا الصدد ان نفقات السيارات بلغت نصف وثلاثين الفا من الجنيهاات السورية ، على ان الانصاف يقضي علينا بالاعتراف بان هذه السيارات وان كانت في المظهر هي للمديرين والمتصرفين الا انها في الواقع وقفا للمستشارين يستعملونها ان شاؤا وحيشا ارادوا .

**رابعا -** وضعت كمية كبيرة من المال باسم اعمال عمومية مثل

بنيت على غايات الحكومة المتعسبة واغراضها ومصالحها ، لذلك تضمنت ارقام الخرج فيها فكانت سببا لتريد منابع الدخل بزيادة الضرائب سدا لتلك النفقات التي تنمو ليجملها اليوم هذا الشعب الفقير وعلينا الان ان نورد الامثلة المثبتة بالارقام التقطية الدالة على ما ذكر من الاسراف والتبذير وهي كما يأتي :

**اولا -** رات الحكومة الفاصبة ان تحول دون فكرة الجامعة العربية فمزلت وحدة البلاد التي هي من عرف واحد ولفتة واحدة ولها اخلاق وعادات واحدة وعددت الادارات الزركية والمصالح الخاصة في المقاطعات ، ومثلها الفروع التي تتألف منها الحكومة المذكورة فكان ذلك سببا كبيرا في زيادة النفقات في كل منها ، وحسبنا ان تقول في هذا المقام على سبيل المثل ان راتب الحاكم في دمشق ٣٩٠ ليرة سورية مشاهرة وزائب كل من مديري الداخية والمالية والعمدية والاشغال والمصارف ٢٦٠ ليرة وكل من مديري الصحة والشرطة ١٦٠ و ١٤٠ ليرة سورية على ان هذه الحكومة سعتها في الاراضي اليوم لا تكاد تبلغ نصف ولاية سورية ايام الحكومة العثمانية وهي تلك الولاية التي كان يديرها وال لا يتجاوز راتبه الشهري ١٥٠ جنيها عثمانية ، معه رقيم ( دفتر دار ) راتبه من ٤٠ الى ٥٠ جنيها ومديرو دوائر تتراوح رواتب الواحد منهم بين عشرين وثلاثين جنيها فقط .

**ثانيا -** عرفت الحكومة الفاصبة ان العظيمة الثورة التي تستطيع الدفاع عن حقوق البلاد والاهلين بالطرق القانونية واحداث الفسجة الضرورية لدى الاسم المتعددة هي الفسحة المتعلمة اجمالا ، والموظفون بطبيعة الحال ، فسمعت لكم افواه هؤلاء بالشهوة المستورة والتجيب اليهم بطريقة الاكرم الكاذب ، لذلك فتحت لهم باب الحكومة على مضراميه فاحدثت للادارات والمصالح المتقدمة ما شاءت من دواوين وفروع ومجالس ، وهكذا الفت حكومة تقرب في مظاهرها من الحكومات الكبرى التي لها من الاراضي ما لا يحصى والنفوس ما لا

الجزائري وقد لهذه الاهانة واحتج على الحكومة لسوء تصرفها ، وذكرها ان اوروبا التي اصبحت نورا في هذا العصر ما اهتمت قبور رجالها . بل كثيرا ما جعلت هذه القبور اثرا تستهض به همهم الاحياء وتستحثهم بالكافة كمثلته بعد المات . وبعد اخذ ورد جاءت الاوامر من الاستانة بضيانة تلك الجبانة ، فقام بهذا العمل ناظم باشا الوالي فبنى لها حائطا من الحجر الابيض الصلب وحدث بجانبها المستشفى المذكور وجعلها حديقة من اجمل الحدائق .

### زيارة ضريح ابن تيمية :

دخلنا الجبانة والحديقة من غير ان يشعر بنا احد ، وسرنا بالمستر كراين الى جهة ضريح ابن تيمية ، فرأيت ولدا صغيرا يعرف الحديقة ، فقلت له : اين القبر ؟ فقال من نفسه : قبر الكلب ؟ فقلت : نعم ، فاشار بيده وقال : هناك ، فترجعت للمستر كراين ما ذكره الولد وقلنا له سر معنا للتفرج عليه فسلر ولا صرنا بجانب القبر شعرت بهزة تمشت في جسمي ، وقرأت على الشاهدة هذه الكلمات : ( شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ ) . هنا يرقد النابغة الذي تقلبت عليه السياسة والحسد والجمود فزجت به في سجن قلعة دمشق حيث مات بعد بضعة اشهر . وعلى قيد شبر في ضريح آخر لعالم كبير اسمه ابن كثير دفن الافرنسيون كلهم بعد ان نبشوا قبر المؤمن وبشروا عظامه فاصبحت كالهشيم تذروه الرياح . هل ضاقت دمشق على رحبها حتى اضطر المفتضون الى اغتصاب قبور الائمة لتكون مثوى الكلاب ؟! رأى المستر كراين تلك المناظر المؤلة وسمع بأذنه شرح الطفل وكيف دفنوه في القبر المنبوش واطهر اشمئززا عظيما وطلب من المستر برودي ان يقيد جميع تلك الملاحظات . ومن ثم خرجنا واجبين صامتين ، فودعته وانصرفت بعدما تواعدنا للقاء في التزل في الساعة الثامنة من اليوم الثاني .

تعبيد الطرق وبناء ثكنات للدرك وإنشاء تلافيف لاسلكي في تدمر وغير ذلك من الاعمال التي ظاهرها الثمرة للحكومة والشعب وباطنها نفع الحكومة المفتصبة واملاء جيوب ممثليها وجيوب الوطنيين الذين لا يعرفون الوطن الا ببقية ما يدخل في الجيوب .

وبخلاصة ان البلاد اليوم سائرة نحو الخراب والدمار لان ثروة الامة تذهب خسارة استهلاكا في سبيل الضرائب لا محالة .

وقام السيد عثمان الثرباني وتكلم عن الاضرار التي اصابست البلاد من الوجهة التجارية ، وقام السيد انور البكري وبين احوال الزراعة المتأخرة فقام بعد ذلك المستر كراين وقمنا معه والناس بين صامت من شدة تأثيره من الاحاديث التي جرت وبين مشيع ومودع ، ولا خرجنا الى الجادة وجدنا على الرصيف ثلاثة من الجواسيس فروا عند رؤيتنا بعدمساعرفوا وجوهنا .

اخبرت الحوذي ان يسير الى البرامكة لزيارة مقبرتها ، وعند بلوغنا تكية السلطان سليم طلب المستر كراين ان يزور هذا الاثر النفيس فنزلنا ، وبعدما متع نظره برؤية الصحن والرواق المعمد الذي يحيط به وحرما ومنارتها الرفيعتين القائمتين على جانب قبتها والمائتين من تصرفات الزمن بعض الليل ، رجعتا الى المستشفى الوطني حيث دخلنا الحديقة التي كانت في الاصل جبانة البرامكة : وحديث هذه الجبانة انها كانت مأوى لاشهر رجائنا في القرون الوسطى فمن دفن فيها من اهل العلم ابن عساكر صاحب التاريخ الكبير وابن الصلاح والعز بن عبد السلام وابن تيمية وغيرهم ممن كانوا نورا للهدى ايام كان الغرب يتخبط في دأج من الظلم . فلما باشرت السكة الحديدية بين بيروت والشام اعمالها في اواخر القرن الماضي اصبحت هذه الجبانة طريقا عاما ، والقبور التي فيها عرضة للمركبات والنقلات فقام استاذنا العلامة الشيخ طاهر

دعوة غداء في بستان القمصاع في حي الرينينة فلم يقبل ؛ فقلت له : انظر قليلا حتى ادعوه انا ، فلما دعوته سألني هل هذا الوجه من المعروفين في دمشق ؟ فشهدت له الشهادة اللائقة به فقبل وتواعدنا على أن آتيه في اليوم التالي الساعة الثانية عشر للذهاب معا . وقد اقترحت أن يكون الاكل وطنيا اما الاجتماع في حي الميدان فقد جرى كما يلي :

وهو انني ذهبت وياه في الساعة الثالثة الى بوابة مصر حيث كان بانتظارنا على الجادة حسن بك الحكيم وغيره من اخواننا ، فدخلنا في طريق ضيقة حتى وصلنا الى بستان الاخ المذكور فوجدنا بانتظارنا نحو مائة من الاعيان والادباء ورجال الفضل وقيسلا من عامة الشعب على الحالة النظرية الساذجة وجل الوجودين هم من أهل الميدان ، فلما رأوا المستر كراين استقبلونا استقبالا شائقا جدا بالاهازيج القومية والاناشيد الوطنية والتصفيق المتواصل ولا استقرار بنا القام اخذ الجلوس يقصون عليه طرفا مما يعانون ، وابتدا الكلام سعيد بك حيدر بحديث ممتع قانوني مستندا الى الوثائق وخلاصة قوله : « لانني محام فسأبدا كلامي بما يتعلق بمهمتي من الامور الحقلية . ان من اهم دعائم الحكومات هي الادارة العدلية اذ عليها يتوقف توزيع العدل بين الناس ولقد حدث بهذه الادارة بعدد الافرنسيين امور يحذرهما القانون » . واتى بأمثلة كثيرة منها مسألة القتل عمدا في حمص وتبرئة القتال من قبل البغلة ومسألة الجامع وتخليصه من الاوقاف بأمر من المستشار في حمص ومسألة ثالثة تتعلق بالبدوي والحضري في لواء حماه وذلك لصالح الحكومة الافرنسية فقط لتقرب من مشايخ وأمرء العرب منهم امير السمود . ولما اخبرناه أن سعيد بك من بعلبك قال : « أنت بنيت حيطان القلعة ؟ ووضعت ذلك الحجر الكبير ؟ » . ثم تكلم بعده السيد عبد الفني افندي الحسن احد تجار الطحين فظهر الخطر الذي يهدد أهل حرقة وذكر انه يوجد في دمشق الشام

## زيارة الميتم السوري :

لم يحدث يوم الاثنين ٢١ نيسان ما يستحق الذكر سوى اننا ذهبنا الى الميتم السوري ، الذي كانت مديرته السر فيشر وهي سيدة اميركية اهتمت بالمسألة السورية كثيرا ، وكانت تعطف على الامير فيصل واخيه الامير زيد عطفاً صميمياً ، وبعد الاحتلال الافرنسي اشار عليها الفنصل الاميركي بمغادرة البلاد لما قد يضمه عليها الفرنسيون من البغضاء . ومما يسجل لها انها شوقت الناس الى لبس الالبسة المزرعية والمزينة على الطريقة الوطنية . وبعد سفرها تسلمت الانسة اليس قندلفت وظيفتها فقامت بخدمة الميتم احسن قيام . وقد شاهدت مع المستر كراين عملها فشكرنا لها اهتمامها ونشاطها والنظافة البادية على تلميذاتها . ويضم الميتم السوري البنات اليتيمات اللاتي تتراوح اعمارهن بين الخامسة والثانية عشرة ومن يصرفن جل اوقاتهم في تعلم القراءة والكتابة والتطريز وعمل السجاد على الطريقة العجمية . وقد وجدنا بينهم بعض بنات كن في مدرسة بنات الشهداء فآظرن لنا عطفاً عظيماً على تلك المدرسة ورؤيتها نازك العابد ثم قمنا امامنا يعملن الرياضة البدنية على ايدي طبيب روسي اتي دمشق هو وزوجته الطيبية ايضا قرارا من البوليسيفك ، فكانت المدرسة مع ما تحدثه بانفس من بهجة النجاح تعيد الى الذاكرة الحوادث المؤلمة التي جرتها الحرب الفاصلة على البلاد . وقد تواعدنا بعد ذلك والمستر كراين على اللقاء في اليوم التالي الساعة الثالثة وهو موعد اجتماع الميدان .

## كراين يزور حي الميدان :

في ٤ نيسان سنة ١٩٢٢ وفي صباح الثلاثاء اتاني بعض اهالي الميدان وكلفوني أن ادعو لهم المستر كراين للاجتماع به ، ومحادثته ، فكلفته في الصباح ، فقبل ان يذهب الساعة الثالثة بعد الظهر ، وكان عنده السيد ابو الخير الموقع فقال : انه مكثف المستر كراين الى



الشهداء للاجتماع بالمستر كراين في بيت الرحوم السيد شمكري  
المسلي . فاجتمع بهن وطيب خاطرهن وسمع منهن مرة ثانية  
تلك الرغائب الوطنية والآمال القومية التي بذل الشهداء انفسهم  
على اعراد الشانق في سبيلها ، فكان اجتماعا مهما تجلت فيه  
تلك النهضة الشريفة المباركة في نساءنا ، وقد تقدمت زوجه الرحوم  
رشدي بك التهمة شهيد القضية العربية الى الزائر الكريم بوجه  
وشفتين مرتجفتين من فرط التأثر وهي تقول : لم يمت رشدي بك  
الا لاجل سلامة الوطن وان هذه المحن التي تش منها توجهه في جده  
فان لم تترفقوا بالاحياء ياسيدي بالله ترفقوا بالأموات ولا توجعهم  
في مصابيحهم . تأثر المستر كراين من هذه الجمل جدا ، وزادني تأثره  
السكوت العميق الذي اعقب ذلك بحيث كان يقرأ على الوجوه  
الصامتة ما تعانيه الانفس من الآلام . ومن قرأ اخبار الاستفتاء عام  
١٩١٩ يوم سمع المستر كراين نفسه ما جاءت به عواطف الامة  
السورية يذكر ولا شك تلك الجلسة الرنانة التي عقدها حـرر  
الشهداء وكان لعقلي الشرف ان تكون بينهن ، فأبدى من الوطنية  
الصادقة ما بقي مسجلا بتاريخ سورية بمداد من الفخر . قالت  
احدهن يومئذ : « لانحرمونا من صوت الحرية وتلقونا في مهاوي  
الاستبعاد ، ان حياتنا تكون عبثا ثقيلنا اذا كان رجائنا ارتقاء ، لان  
زوجة الرق لا يحق لها ان تكون سيده في بيتها . »

زيارة مصطفى باشا العابد وابنته نازك :

خرجنا من بيت المسلمي وكنا على موعد مع الأنيسة نازك العابد في بيت والدها فذهبتا اليه توا حيث وجدنا والدها واخاه وابن عمها بانتظارنا . وقد سألها المستر كرايين عن مدرسة بنات الشهداء التي كانت رئيستها ما فعل الله بها . فقصت عليه طرفا مما أجراه مدير المعارف محمد افندي كرد علي اغلقها وقالت : باغت رجال المعارف في العشرين من شباط سنة يوم

أحد عشر معلماً للطليحين مع نحو مائتي مطحنة حجر وطنية . والان اذنت الحكومة الإفريقية لشركتها الفرنسية ان تؤسس معملاً للطليحين ( فابريك ) فتمت انتهى بناؤه ماذا يكون مصير أهل حرفة الطليحين والبايوك والعمال وغيرهم ؟ ثم تكلم بعده أبو راشد حافظ من بني الحكيم بخصوص الوعود التي قطعت للعرب ، ثم الخيانة الكبرى بعد ان تم الحلفاء النصر فتمت على كلامه السيد صادق الرجال أحد التجار النبهاء . ثم نهض الدكتور خالد الخطيب أحد الأطباء النابهين وابن الرحوم محمد بك الخطيب المعروف بوطنيته الصادقة فالتقى بعض الكلمات بين فيها مطلب الامة وهي تختصر في السواد الثلاثة الاتية :

## ١ - الاستقلال

٢ - وحدة سورتيه في حلف عربي .

٣ - ترك البت في الخلافة للمسلمين .

فهي من شؤونهم الخاصة . وبعده قام السيد عبد الله النجار أحد اعضاء الرابطة الادبية في دمشق فالتقى بعض كلمات بالانكليزية لا تخرج عما تقدم . وهنا انفض المجلس بين تصفيق المصفيين وهتاف المهافين الذين حملوا المستر كراين على الاكتاف وطافوا به في الحديقة . ولا خراج ودعوه الى الطريق حيث وجدوا زمرة من الجواسيس فروا عند تعارف الوجوه . ولكن السيد حسن الحكيم تقدم اليهم وقرعهم على هذا العمل المشين . وقال لهم لماذا لم تدخلوا لتروا بأعينكم وتسمعوا بأذانكم الاحاديث التي جرت وبذلك تتمكنون من القيام بوظيفكم الجاسوسية بصورة صادقة لا غبار عليها ؟ فانهمزوا من وجهه متظاهرين بالحياء والخجل ولكن بواطنهم لا يعلمها الا الله .

اجتماع کراچی بنسواء الشہداء :

خرجنا من الميدان تورا الى المهاجرين حيث خرجت نساء

ولكن بلغها من بعض القناصل انها مضطت . وجرى في اليوم السابق ان المستر كراين بعد زيارته الميتم السوري فاتحني في عزمه على انتقاء آنستين من أوانس سورية للذهاب الى امريكا للتعلم على حسابه ، فاستحسننت هذا الرأي وشكرت له عواطفه الشريفة وذكرت له اسم الانسة آليس قندلفت واسم الانسة نازك العابد ليكون حظ المسلمين والمسيحيين من معونة أهل الفضل واحد . قبل اقتراحي وفي المساء فاتح الانسة نازك بالامر فظهرت رغبة شديدة ولكن والدها اظهر شيئاً من التردد واستمهلها في اعطاء الجواب القاطعي بضعة ايام . ربما كان للتقاليد الاسلامية الشرقية الشئان الاكبر في التردد . واما السيدة آليس فانها قبلت الاقتراح هي ووالدها مع الشكر ، وقد قال المستر كراين انه يصعب عليه ان لا يرى بين العرب من تضارع تلميذته التركية خالدة اديب خانم ، ثم ودعت المستر كراين .

### كراين في بستان القمصاع :

وفي ظهيرة اليوم التالي وهو يوم الاربعاء في ٥ نيسان صحتبه الى بستان القمصاع لحضور دعوة الغداء فكان البستان روعة غناء تغلب الانظار . وبعد هنيئة قال ليس شيء في الدنيا يشبه حدائق بخاري مثل هذا البستان والدكوك الترابية من حوله . انه يعيدني طرا الى ذكرى الماضي وعهد الصبا يوم زرت تلك المدينة منذ ٤٥ سنة وتعرفت على علمائها واطلمت على فضائلهم الفريية ثم انحنى فاقطف زهرة من بين رجليه وشمها وقال أريج زكي وتربة صالحة . دخلنا الدار . فاستقبلنا ليف من افاضل القوم وعليتهم يتجاوز عددهم الخمسين منهم المحافظ المشهور ، الشيخ محمد الطواني ، والشيخ عيسد القادر الاسكندراني ، الداعية المعروف ، ويحيى جاني ، قائد منطقة حمص ( وكان اركان حرب في الجيش العثماني ) وياسين باشا الهاشمي رئيس ديوان الشورى الحربي ، وعبد الحميد باشا

١٩٢١ الساعة التاسعة ليلا مدرستنا ( نور الفيحاء ) ومهمهم رجال الشرطة وطلبوا تسليم المدرسة بما فيها من اثاث وأدوات وذلك بتحريض محمد كرد علي وأمر الحاكم حقي العظم ، فتوسلت المديرية السيدة صبيحة النثير بجميع الوسائل لتأجيل هذا العمل الى الصباح فلم يمهولها وأخيرا ارسلت الى حقي العظم مسع احدى الملمات تقول له : ان عصابة الاشقياء الوجودية على طريق الصالحية عند عزوزس تسترحم من مكارمكم ان تمهولها الى الصباح ريثما تتمكن من جمع سلاحها وتسليمه قتال : واري عصابة تعني ؟ قالت : تلك العصابة التي قطعت السابابة واخذت بالامن العام عصابة بنات الشهداء ومعلمائهن ومديرتهن فنجعل حقي بك وارسل معها امرا يقضي بالامهال الى الصباح .

وقد اخبرتنني في صباح اليوم الثاني بما جرى ورفيت الي بالجيء الى المدرسة قبل وصول الشرطة فاقمت آسفنا وأمرتها بتسليم جميع ما يطلب منها وارسلت معها الكلمات الاتية الى التلميذات : ( ان جمعية نسور الفيحاء قد بذلت منتهى جهدها زهاء سنتين حتى بلغت هذا المبلغ من العلم والتربية وهي ترجو من الله ان تكن خير مثال لبنات قومكن ، بيد ان الحكومة رغبت ان تنتزع روح الوطنية من نفوسكن وثرة العلم من ادمتكن ، ولنا وطيد الامل ان تحافظن على مبدئكن القومي ، فلربما يأتي يوم نجمع فيه شملنا ) . خلاصة وثيقة اخذت من السيد توفيق الحلبي في أرواد ٢٢ تموز سنة ١٩٢٢ وهي توافق كلام السيدة نازك العابد . )

ولما انتهى الحديث أظهر المستر كراين من الاستياء ما لا يوصف وقال انه ارسل الى المدرسة بمعرفة المسر فيشر بعض الهدايا المدرسية اشتراها من باريس بقيمة عشرة الاف فرنك اخذا بناصرها وهو غريب عن البلاد ، فهل يعقل ان يقدم أحد لا سيما اذا كان من الوطنيين على اغلاقها ؟ . فقالت : ان الهدايا لم تصل

أن يعطيه هذا الخطاب اللطيف ، وتكلم الضيف بنهاية الامر بكلام لا يختلف كثيرا عن الكلام الذي فساه به في حفلة الميدان . ثم قمنا الى المائدة فوجدنا الطعام هو ما يقدم في دمشق عادة في فصل الربيع يعني الارز بالقول مع اللبن المرائب والقطايف العصافيري . فقال المستر كراين طعام صحي جامع مانع فيه الخضرة واللحم فعلا منه طبقة مشنى وثلاث ورباع ولكن لم يحفل كثيرا بالطحوى . أما المستر برودي فانه كان على العكس من ذلك اذ اكل من القطائف مع القشطة ماشاءت معدته ان تأكل وتتحمل ، وقد ترك المائدة ويوده لو يملأ جيبه منه ليأخذ معه هدية الى الولايات المتحدة . انتهينا من الاكل فشرينا القوة البدوية مع الهال ، فكان لها نشوة في النفس ، واخيرا ودعنا القوم وانصرفنا .

### طلاب الحقوق يلتقون به :

بعدما سرنا في المركبة بضجع خطوطات التقيينا بتلامذة مهسد الحقوق فتقدموا الينا وعرضوا على المستر كراين مطالب البلاد وهي لا تخرج عن المطالب الثلاثة العامة التي تقدمت في الاجتماع الاول فطيب خاطرهم وانا قلت لهم حافظوا على اليهود التي عاهدتم عليها بلادكم وثقوا بانفسكم ومستقبلكم . والظاهر ان أحد الجواسيس وما أكثرهم بيننا شوه هذه العبارة ونقلها على صورة تذكار بيهود سرية سابقة لهم معي فانت في ورقة الاتهام في المحكمة بهذا المعنى .

ودعست المستر كراين وانصرفست الى اعماله بعد ان وعدته ان الاقيه في النزول في الساعة التاسعة والدقيقة ثلاثين . ولكنني لما رجعت الى بيتي في المساء علمت انه انسى الى زيارتي وطلب ان يكون مجيئي قبل الموعد بساعة فحضرت له جميع المذكرات والاوراق التي تهمة وقد اتاني بعضها من فلان و... وكها تتملق بالشكاوى التي ذكرها له الاهلون بيد انسى

وزير الحرية السابق ، وعادل بك العظمة من المحامين المعروفين ، وزكي بك الحلبي قائمقام ومفتش الدرك في حوران ، وغيرهم من رجائنا المشهورين .

اقترحت ان تبدأ الحفلة بتلاوة عشر من القرآن الكريم فاخذ الحافظ الشيخ محمد الطواني يتلو علينا ونحن سكوت سورة مريم فترجمت للمستر كراين عباراتها الفصيحة ومعانيها البليغة ثم بينت له كيف ان المسلمين لم يحتفظوا فقط بكلمات القرآن واعرابها وعدد السور والآيات وترتيبها وبحيث لا يوجد اقل اختلاف بالمصاحف في عامة انحاء الدنيا بل قد احتفظوا بالالفاظ والتجويد والقليلة ايضا فترى الفاظ التالفي في دمشق مثل الفاظ التالفي في القاهرة او تونس على اختلاف الدار وبعد المزار واختلاف النطق بالكلام ، وهذه الالفاظ منقولة بطريق المنمنمة عن عصر الصحابة فقد كتبه الخليفة الثالث وفرقه على الانحاء الاسلامية الاربعة وكان لدمشق الشام الحظ ان حصلت على نسخة من هذه المصاحف العثمانية ، ولكنها يا للأسف اُلغتها النار في الحريق الذي اتهم الجامع الاموي منذ ثلاثين سنة .

ظهر المستر كراين لذة عظيمة بهذه الفزلة الجملة والحب علي ان انتقل له صحيفة من صحائف ما تلاه الشيخ فوعده . وذكر لي انه رأى شيئا من هذه المحافظة على هذه التلاوة عند الصينيين البوذيين وعنده صفائح مغولية اخذها في بكن ترجع الى الوف من السنين .

ثم انبرى بعد ذلك الاديب الخطيب السيد محمد الشريقي فالقى خطبا ممتعا بناه على ثلاثة احاديث احدثها : « من رأى منكم منكرا فليغيره يسده فان لم يستطع فليذكره ، فان لم يستطع فليبلغه ، وذلك اضعف الايمان » . وقد كانت علائم الناثر بادية على وجهة يديه ولكن صوته كان جهوريا حسنا فتأثر المستر كراين من كلامه ورغب اليه

الحكومة العثمانية . فكان يخرج من الشام فيصل الى الكبيسة على ابواب بغداد في مدة اسبوع، وذكرت له ما حدث معي وهو اني لما سافرت الى العراق في نوفمبر سنة ١٩١٥ او صلاتني القافلة بطريق العراق الى الهيت بعد ثلاثة وثلاثين يوما حيث اجتمعت بنجابه خرجوا من الشام بعد سنري بخمسة وعشرين يوما فسافروا بطريق الحماة هذه فالتقينا في الهيت بيوم واحد .

استحسن المستر كراين اقتراحي هذا ودعاني ان اكون رفيقه في هذه السفرة العجيبة فقبلت بعسل تردد لاسباب ساينتها . ثم اخسرج من محفظته حوالية فأملاها باسمي على مصرف نيويورك بمبلغ ١٠٠٠ دولار ( ريال امريكي ) وقال اعط منها خمسمائة ريال الى الانسة قندلفت . واذا ما سافرت الانسة نازك ( واطنهما غير مسافرة ) ارجو منك ان تشتري لي بالبلغ الباقي الحاجات الضرورية لاسفار الصحراء . وفي اواخر سبتمبر القادم اوصي لنا على ثلاث سيارات فورد جديدة ساقدم لك قيمتها من نيويورك وستكون غايتنا العراق اولا اذ نبقى هناك اسبوعا كاملا للراحة ، ومنها نساغر الى نجد فاليمن لدرس القضية العربية في موضعها . ولكن ارجو منك ان تنبئة كثيرا الى ضرورة التكنم بشأن هذه السياحة التي ستكون لها من الرنة اضماف ما لهذه .

عرفت غير المستر كراين على الامم المستعزة وبعده عن خدمة العسكريين على اختلافهم اذ تجلى لي ذلك في سنة ١٩١٩ ورايت امامي فرصة سانحة لزيارة بلادي ومهد الجنس العربي مرة ثانية فقبلت منه على كثرة مشاغلي الخاصة وما يتطلب مني في مهبط راسي . وهكذا ودعته وانصرفت على امل اللقاء لوداعه في الصباح واذا كنت خارجا من حجرته التقيت بالمستر آلن قنصل اميركا في دمشق وقد اتى لوداعه كانه اراد ان يشير بها الى ما في زيارة المستر كراين من المرامي السياسية .

في آخر الامر ففضلت ان لا اسلمه شيئا منها الا في الساعة الاخيرة لاني كنت اخشى ان يسرقها منه احد من التراجم الذين كانوا معه ، خصوصا بعدما بلغني ان الجواسيس الذين كانوا يحيطون به من كل جانب حاولوا بالاغراء ان يأخذوا طرفا من اخباره فلم يفلحوا .

### كراين يخبرني بعزمه على زيارة جزيرة العرب :

ذهبت اليه في المساء في الوقت المين فوجدت بانتظاره السيد متير شيخ الارض وابن عمه فؤاد افندي فعرفته بهمسنا فذكرنا له مطلب الامة السورية واستماتتها في سبيل حريتها واستقلالها ، ثم ودعاه وانصرفا اما انا فبقيت لأذكره بالشؤون فقدم لي قدحا من الشاي الصيني الاصلي لم أذكر انني ذقت ما هو اللد منه ، وبعد ذلك فاتحنني بالوضع الاتي الذي كان يذكره لي عرضا بالتلميح في الاجتماعات الماضية : وهو انني عازم على زيارة جزيرة العرب من العسر فبلاد الامام فنجد فالعراق في الخريف الاتي ، وقد ذاكرت فتحي باشا وزير الاوقاف في مصر في هذا الامر فاستكتب احد اصحابه من اليمانيين في القاهرة كتابا الى حد اصحابه في عدن رغب فيه اليه ان ينتظرنني في تلك الجزيرة في نوفمبر القادم لنذهب معا الى جهبا مقر الادريسي وصنعاء مقر الامام يحيى بعد ان يهيا لنا حاجتنا جميعا فيما راك في هذا الطريق ؟ فقلت له : اذا كنت عازما على زيارة شمال الجزيرة فلم لا تعكس القضية فنسافر من هنا الى العراق فنجد اولا ، ثم من نجد الى اليمن فالعسير ثانيا ؟ خصوصا وقد بلغني منذ نحو اسبوعين ان السيد محمد البسام التاجر المعروف سافر على سيارته الخاصة مع سيارة اخرى استأجرها لوضع الذخيرة والراد الى بغداد بطريق الحجاز ، وانه ربما وصل اليها بعدة ثلاثة ايام . فاخرج المستر كراين من جيبه خريطة بلاد العرب ورغب الي ان ادله على طريق الحجاز فدلته عليه وقلت له انه يكاد يكون خطا مستقيما الى الشرق اتجاهها مضبوطا ، وان هذا هو الطريق الذي كان يسلكه السامي اسام

الطريق الا ووجدت الشيخ اديب تقي الدين في الترمواي مع مجموعة من المشايخ فتركهم ونزل ففسار معي ولما بلغنا النزل وجدت كثيرين من الوطنيين يروحون ويفدون فاشرت الى الشيخ والسيد عثمان الشرباتي والى غيرهما ان يجمعوا الجموع ويهتوا للساعة العظيمة . ثم صعدت الى حجرة المستر كراين فوجدت عنده سعيد بك جيد يذكره بعض الشؤون ؛ وفي نهاية الامر اخرج من جيبه وصلا ماليا من الحكومة لاحد الاعيان بالضريبة المالية على مركبة وقد دلت الارقام على ما يأتي :

#### على الاصل التركي

|     |                                  |
|-----|----------------------------------|
| ١٥٠ |                                  |
| ٤٥٠ | الرقم التحويلي للفروش السوري     |
| ١٥٠ | الضريبة المتحولة واصلها ٥٠ تركيا |
| ١٠٠ |                                  |

١٠٠٠

١٢٠٠

١٢٠

١٩٠

٥

١٣٤٠

وضع المستر كراين هذه الوثيقة الرسمية في حقيبته وعجب كثيرا من توايد الضرائب بهذه السرعة النادرة ، خصوصاً بعدما علم ان اعظم دعوى كان بينها الجتوال هي تعهده للاهلين بمناشير القاها من الطيارات قبيل موقعة ميسلون انه سينزل نسبة الضرائب ويرفع شأن الحرية ٠٠٠٩ . وهل اعظم من هذا التأثير في الضرائب الى اعلى واشد من هذا الرفع في الحرية الى اسفل ( ١٥٠ غرشا ) ايام الحكومة العربية الفقيرة ضريبة على مركبة لاحد الاعيان اصيحت

#### تجميع الناس لوداع كراين :

اسرعت الى داري لان العمل امامي شاق تلك الليلة وهو اذاعة سفر المستر كراين بين الناس لكي يتجمع له في الصباح من الودعين عدد يستطاع تحويله الى مظاهرة سياسية تشجع بها الناس على حذو الامم الراقية الطامحة الى خلع نير الاستعباد ، ويتخذون منها حجة يهدمون بها كل الاعمال المأجورة التي كان يقوم بها المستعمرون بواسطة اذنانهم امثال بديع الزيد ومحمد كرد علي وحقي العظم من اذاعة رضاء السوريين عن الانتداب وما يتبعه من تلك الحكومات السورية المحلية التي هي آلة عبادة للتخريب ومحق الروح الوطنية ، مرت بطريقي على ثلاثة من انشط الشباب فاسرعت اليهم بقصد ، ومن ثم ذهبت الى داري فوجدت بانتظاري لفيقا من العلماء والافاضل منهم الشيخ اديب تقي الدين والشيخ توفيق المنيني والسيد عبد الستار السندوسي ، ثم اتى بعدهم فوزي بك الفزري وعادل بك العظيمة فرجوت منهم جميعا ان يسرعوا حالا الى طرق الابواب المغلقة وامسلان سفر المستر كراين عند اصحابها . وقد كانت غائبي من هذا التأخير في اذاعة السفر مفاجأة الحكومة كي لا تستطيع ان تأخذ اهبتها وتحبط العمل . ودعني هؤلاء الاخوان وانصرفوا بالعمل الذي اودع اليهم ، اما انا فتناولت من الطعام ما سد الرمق واسرعت الى بيوت الناشطين من بقية الاخوان فاقظت اصحابها وبيت لهم شأن الوداع وعدت الى بيتي افكر في اتمام العمل ولكنني كنت على كل حال قانعا بان تشبثي سيأتي بالنتيجة القاطمة .

#### سعيد جيد يبين له نسبة ارتفاع الضرائب :

قمت باكرا صباح الخميس في ٦ نيسان سنة ١٩٢٢ فجمعت الوثائق المهمة التي اعطاهاها اصحابها باسم المستر كراين ، وبعد ان افطرت وضعتها في جيبتي وتدرجت نحو النزل . وما بلغت نصف

وتساقطت الدموع على الخدود من شدة التأثر فلفت نظره الى ذلك بالاشارة الى الشيخ اديب تقي الدين ، كان واقفا ورأيي وكانت خدوده مبتلة من كثرة البكاء ، ثم هتفنا للاستقلال السوري والاستقلال العربي والدكتور ويلسون والأمة الاميركية .

### وداع كراين وانقلاب المسيرة الى مظاهرة :

وبعد ذلك انزل فنزلت الجموع ورائه واسرعت اننا الى الاحاطة بالسيارة ودعوت بالتلميح والاشارة الى مشاركتسي في هذا العمل فكان الاستعداد شاملا ولربما كان اكثر الواقفين يتوقعون مثل هذا الوداع . ركب المستر كراين السيارة بجانبه المستر برودي وامامهم التراجمة فصاح الناس من كل جانب بالسلامة وعلى الطائر الميمون ، فلم يبق احد داخل المنازل الا وخرج الى الشرفات لرؤية هذا الجمع الحافل وكانت دائرة حصر الدخان خاصة مكتظة بالناس من غريبين وشريفيين ، فأخذتهم الدهشة واعتراهم الدهول من هذا المنظر الغريب : عمائم وطرايش وجيب واردية تتعالى اصواتها فلا يكاد يفهم المستمع من تلك الضوضاء الا ما تشير به الانظار المتجهة من كل حذب وصوب نحو قبعسة في السيارة من علائم الاجلال والاخترام .

اراد السائق ان يسير على بركة الله ولكن الحماس عند المودعين اعتوره ووقف في سبيلة فمنعه من السرعة اين كان يتوخاه ، والتي كان ربما يتوخاها المستر كراين ، وهكذا نفذ السهم وخرجت القنبلة من المدفع فلم يعد القيادة بأيدي احد بل الجميع استدارتهم المعاصفة وحولت وجوههم نحو الشارع المؤدي الى ساحة الشهداء فساروا وسرنا معه وما كنا نقطع بضع خطوات الا وقد انتصب امامنا على مقدم السيارة رجل اسمر اللون بشباب سوداء تسدل ملامحه واهتزازات جسمه على الانفعال ، فأشار بيده اشارة سكوت فسكت الناس كان على رؤوسهم الطير ثم صاح بنبرة مصيرية فصيححة لا مثابة فيها :

١٣٤٠ غرشا ايام الحكومة الفرنسية المساعدة ؟ . . . وحرية مطلقة في الكتابة والخطابة والاجتماع ايام الادارة البدوية الطائفة اصبحت عشرين سنة في اعماق السجن للهتاف للحرية امام الادارة الاوروبية ؟

### مدير شيخ الارض يقدم مذكرة المعهد الطبي :

وبعدما انهى حديثه سعيد بك دخل منير افندي شيخ الارض ويده ملف ناو له للمستر كراين . وقال هذه مذكرة من تلاميذ المعهد الطبي فيها الرغائب الثنوية التي عرضتها على مسامعكم البارحة بحضور خالي الدكتور فتنوا لها منه شاكرا ووضعها في الحقيقة ثم ودعه وانصرف .

### كراين يستعد لمفارقة البلاد :

ازفت الساعة التاسعة ولم يعد ل موعد السنز الا قليلا فقام المستر كراين ولبس ثيابه السفرية وانا ناولته جميع الوثائق التي جمعتها له فوضعتها في حقيبته ثم دخل المستر برودي وقال كل شيء جاهز يا سيدني فنزل ونزلنا معه ولا اطلنا على بهو النزل وجدناه مملوفا بالودعين فذهب المستر كراين لوداعهم وهناك قال : « ما اشد سروري برؤيتكم واسفي لاضطراري الى مفارقة مدينتكم وسيكون الدكتور كننج مسرورا جدا من نتيجة تحقيقي » فهتفنا للدكتور ، ثم قال : وستكون عقيلتي مسرورة ايضا لهتفنا : فلتحيا المسر كراين . ثم علا الهتاف من كل جانب للمستر كراين . ثم قال « انيت لهذه البلاد في وقت لا يسمح لي سني بنظرها للسفر لكي ارى البلاد التي زرتها مع اصدقائي سنة ١٩١٩ ، ولا يمكنكم ان تقدروا السرور الذي يصيبها من نتيجة هذه التحقيقات البدوية . . تمسكوا بقضيتكم فانها عادلة وترسلوا اليها بالوسائل المعصرية لا بالطرق القديمة » .

فتعالت الاصوات ايضا ودوى النازل من كثرة الهتاف

من الاسر وراء تلك اليقظة ضرب من الاحلام لهذا الحد بلغ الشعور الوطني حتى صارت المسلمات المخدرات تشارك الرجال في حمل علم الثورة ؟ ام هل دار الزمان دورته فعادت خولة من مرقدها لتجاهد في سبيل الحق واعلاء كلمة الله ؟ واذا كان هناك علامة ثانية على ديب الحياة في اجسام اقوام الشرق فهسي اشترك المرأة المسلمة في اظهار المحافظة الوطنية بعدما كانت في خدرها لخدمة منزلها فقط فالاستانة والقاهرة وقازان ودمشق ايضا والحمد لله تساوى الجنسان فيها في طلاب العز وغلاب الضيم .

ثم ان المودعين رأوا ان لا يفوت المستر كراين شيء من تفاصيل هذا الوداع الحافل فأوقفوا السيارة واستأذنوا فكشفوها وانزلوا ستائرهما . لفنا لفنة المستعجلان ودخلنا في اول ساحة الشهداء فوجدنا ضابطا فرنسيا واظفنه الرئيس موبسان فصاح المودعون في وجهه بصوت واحد وعلى رأسهم منير افندي شيخ الارض لتجيا الحرية فأطرق ولم ينبث ببنت شفة ، ثم ما زلنا نسير حتى صرنا بجانب المجلس البلدي فأشرت الى عقيلتي ان تهتف للامة العربية فاستعملت على السيارة وزفعت يدها وما كادت تصيح « فلتحييا الامة العربية » حتى دوت الساحة بالهتاف من كل جانب ، فكنت نرى الناس على الشيايك والشرفات والبيوت واللوكندات من هذا المنظر الغريب ما تماك بعض الموظفين على شرفة دائرة الحكومة وهم بجانب الحاكم العام من التصفيق والهتاف لهذه الحياة الجديدة التي تأخذ بمجامع القلوب . وكان من جملة هؤلاء الموظفين وفي مقدمة المحمسين زكي بك الخطيب مدير رسائل ديوان الحاكم فكان جزاؤه ان الفيت وظيفته عقيب الحادث فورا . ومن الغريب ان احدهم صاح « هنا فليسقط الخائنون » فأجابه الناس من غير اختيار فليسقط الخائنون مشيرين بأيديهم الى دائرة الحاكم والى الثرعيين فيها على مدافن الامة السورية ، وما زالوا يرددون هذا الهتاف

بين مصر وبنهاها والشام عهد صدق ووحدة ووثام وابن مصر وسورية اخوان رغم انك الاصادي العلفام فدوى الشارع من كل جانب بالهتاف لمصر ولاستقلال مصر ولسمد زغول فاجاب على ذلك بالهتاف لاستقلال سورية وصاح باعلى صوته : « فليسقط الانتداب الافرنسي » فكأنما زادهم بذلك لهبا على لهب بحيث اخذ المنشدون بطبيعة الحال يعيدون الاناشيد الوطنية التي تعودنا على سماعها ايام حكومتنا الوطنية ، ولما وصلوا الى القطمة المروية :

نحن لا نرضى الوصاية لا ولا نرضى الحماية  
نحن اولى بالرعاية لبني العرب الكرام

نشر الناس مناديلهم البيضاء في الهواء واخذوا يعيدون من هذا النغم طول طريقهم وانا كنت واقفا على رف السيارة اترجم للمسافر معنى النشيد ، ولفت نظره الى العدد العظيم من المودعين الذي كان يتزايد مع كل خطوة يخطوها اضعافا مضاعفة ، ولما صرنا على مقربة من دائرة الاوقاف خرج الى شرفاتها لفيف كبير من المشايخ تهتف وتصفق للاستقلال . وكان الباعة من الجانبين يرشون علينا ماء الزهر وينثرون على السيارة والحجطين بالسيارة الزهور والرياحين . ولما صرنا امام الحمام الناصري سرت عدوى المظاهرة جماعة من التبرطين فرفعوا قبعاتهم احتلالا واحتراما وصاحوا مع الصائحين . ولا وصلنا الطريق التي تحاذي سوق علي باشا التحق بالسيارة ووقف على رفها سيدتان متفتحتان احدهما عقيلتي والثانية شقيقة شهيد العرب شكري بك العملي حيث المستر كراين وهتفا هتافا عاليا للاستقلال ، فأثر هذا الشهد في الناس تأثرا يعجز القلم عن وصفه بحيث كانت الدموع تنهمر على الخدود كالسواقي فكنت ترى الجموع توج كالبحر وهي تنهادر في سيرها وتتمايل كالسكران من خمرة النصر وجيشان الصدر ، والخلاص

آلة التصوير يصور بها المنايايل المنشورة والايدى المتوجهة في الهواء.

★ ★ ★

### العمل الشعبي بعد سفره :

سافر المستر كراين ولما عجزت الاجسام عن مجازاة سيارته سابقتها الامال واكتسبتها الاحلام وطوقتها القلوب وهي تنادي من اعمائها على الطائر الميمون ، ولا يعلم احد منا ما كتب للبلاد في اللوح المقدور اللهم الا ان هناك شعبا حيا وشاهدا عادلا والها له حكمة ستحققها الايام رغم انف الفجار . ولما اردنا العود من حيث اتينا لنف حولي لفييف من الشبان الناهضين وحمولوني على الاكتاف وهم يصيحون ليحيا الشهبندر ، فكنت اقول لهم ليحيا الشعب الذي ما داخله القنوط وما خامره الريب . ودعت الجمهور وسرت في طريقي نحو بيتي في الصالحية فتبعني محمد بك اسماعيل وثروت بك الجعفري ، فصرنا نتحدث عن هذه الروح الشريفة في الشعب التي بدت للعيان وليس باستقامة المستعمرين سترها .

قضيت مصالحي في بيتي وكنت على موعد يتعلق بمصلحة أهلية وصلح بين اقرباء فصالت بينهم الدنيا حينما من الزمن كما هي عادتها ، فضمنا مجلس قصصت فيه ما حدث لنا في يومنا ووصفت ذلك الانفجار الطبيعي وصفا دقيقا ، فكانت دموع السيدات تسبح على الخدود وكان جميل بك الاشبي رئيس مجلس الوزراء في اول العهد الافرنسي حاضرا فاعتزته الدهشة ، ولولا ما رأى في وجهي الجدل لطني اهزل ، ثم التفت الي وقال : الآن انقضت ايام الحكومات الوطنية وربما اضطر الفرنسيون في القريب المجمل الى مذكراتي واخذ رأيي في الشؤن في الحاضرة فماذا ترى ؟ . فقلت له ان كل حكومة تتخذ على عاقبتها تبعه الاعتراف بالانذابات مستسقط لا محالة لان هذه الكلمة أصبحت بنظر الشعب ادنى من كلمة الاستعمار ، ولا

السلبى . وهم كلما تقدموا خطية اردادوا حماسة وتضاعفوا عددا حتى صاروا على مقربة من دائرة الشرطة . هنالك اشتد الهيساج وتغالت الاصوات الى غنان السماء بالمعاء على الخائنين اعداء الوطن والشرف فانبرى للناس رفيقنا في الحكم والسجن الاستاذ العفيفي واعلى السيارة وهو يصيح باعلى صوته « لا يوجد في سورية خائن بل الكل وطنيون مخلصون » فأجبتنه ان الذي ينشق عن الجماعة ولا ينزل على حكم الامة ولا يطلب ما تطلبه من الخير هو خليق بأن يسمى خائنا ، ثم انني لاحظت وانا انطق بهذه الكلمات ان مفوض المركز واسمه حسني افندي المامون من حمض وقف على رأس سلم الدائرة وصاح بالناس ان يتفرقوا ودل اصفرار وجهه وتلثم لسانه وارتجاج يديه واهتزاز بدنه على شدة خوفه وما تعاناه نفسه من الاضطراب ، ولكن اين من يسمع واين من يبصر واين من يلتفت الى كلام تنفجر منها الحمم ؟ . لفتنا لفتة الجسر على نهر بردى ومسا زلنا نسير بركاب المسافر حتى بلفنا نزل فكتوريا فأثرت الى السائق ان يقف لاجل الوداع فوقف وسكنت الناس وسكنت الحركة فقلت بالاكليزية للمستر كراين التفت الى ورائك يا سيدي واحفظ هذه الصورة بقلبك ، وستمر على اوروبا واميركا فترى فيها وهي ما تعاناه من الطمع الاشعبي وخب المادة القتالة افرادا بضمائر حرة لا يزلون يحيون الانسانية ويفارون على الحرية فاذاكر لهم هذا المنظر الغريب واشرح لهم المعاني التي تقرأها ، ثم قلت له بالحرية فليحيا الاستقلال ولتحيا شجرة الحرية التامة والى الملتقى ايها الرسول الكريم « اشارة الى ما ذكره عن نفسه في بستان الحكيم من انه اتى رسولا امينا وسيعود رسولا امينا » ثم اشرت الى الناس ان يفيضوا من حوله فما ابتعدوا حتى رفع قبعته وانحنى للجمهور فصفقوا له جميعا وجيندل ارجى السواق للسيارة العنان فطار بطوي الطريق طيا وآخر ما كنا نراه فيها المستر برودي واقفا ويده



المفوض وقبل ان اراققه الى الدائرة اخذت القلم وكتبت الى الرئيس ولبس ما معناه :

### رسالة الى الرئيس ولبس :

« لي الشرف ان اقض على مسامح حضرة الرئيس السابق للولايات المتحدة واذكره التي احد السبعة الذين وقعوا على المذكرة التي قدمت اليه بواسطة المتمد السياسي السابق لحكومته في القاهرة سنة ١٩١٧ ، وفيها رغائب الامة العربية . ومن دواعي اغتباطي وتعزيتي ان الايام قد دلت بأفصح دليل رغم انف الدسائس على ان تلك الرغائب هي رغائب امتنا المستضعفة ، ثم قلت له ان العهود الشريفة التي اقتطعها للناس على جبل فرنون والمبادئ السامية التي نشرها بجانب مرقد واشنطن ، لا تزال مصدر الهام المظلومين في الشرق والغرب . وان الكارثة التي سعيينا جهدنا لتجنبها فرت كالصاعقة على رؤوس امتنا فاخذت تسحقها تحست اقدامها ، ويكفي ان اقول ان هتفة واحسدة للحرية والاستقلال والمبادئ السامية التي انطلق الله بها الامة الاميركية على لسان رئيسها الكريم ادت بالحكومة المستعمرة الى اتخاذ قرار بتوقيفي وتوقيف بعض اخواني ، وربما نفينا جميعا بعد ذلك ، وسيقضى على حضرة المستر كراين صديقه الامين ما رأى بعينه وسمع بأذنه في سورية من المظالم والمآرم التي بلغت ضجتها عنان السماء » .

ولولا الشرطي المفوض الامور بالقبض علي ونقره على بابي سيبتني ويستحثني الى مفادرة داري لكتبت له من تفاصيل امورنا ما يدله على ان البذور التي زرعها في العالم الجديد نبتت او كادت تنبت في العالم القديم ولا سيما في الشرق حيث المظالم على اتم مظاهرها .

### رسالة الى المستر كراين في بيروت :

انهيت كتابي ورغبت للمفوض ان يدخل معي الى داخل داري

توجد طريقة من الطرائق التي سلكها الفرنسيون في تونس والجزائر الا وهم آخذون في تطبيقها في سورية تحت سر هذه الكلمة البراقة التي تخدمنا بها اوروبا ، فالشعب يفضل كثيرا انه اذا كان يقتل ويمثل فيه من ان يقال له انت بين برائن الوجود الكاسرة وتحت انياب الثعابين ، لا في احضان امك الحنونة ، واقل ما يقال في هذه الحالة انه لا يكلف بتقديم الشكر منها ..

### اجراءات الحكومة بشأن المظاهرة وبداية توقيفي :

نسم ودمت الحاضرين وانصرفت الى بعض اعمال الخاصة ، وجينمسا كنت عائدا الى بيتي قبيل العصر واجهني علي آغا المصري عند الجسر الابيض ، فقال لي : ان الحكومة قررت اتخاذ الاجراءات بشأن المظاهرة التي حدثت اليوم ، فقلت له ان لا يكثر لاعمال المظالم والبلاد تش من الجور وتسمى اخلع نير الاستعباد ، ولا بد لها من البذل والمفاداة ، واننا ما اقدمنا على عملنا الا ونحن مستعدون لتحمل الكوارث . اتاني لريارتي الشباب . . . رابعا فكه الاسفل ومظاهرا بمريض اضطره لراجعتي فقال لي ان مأمور التحري واقف في الباب ينتظر وان الشرطة اخذت امرا بالقبض عليك وذلك بعد ان قررت البعثة اليوم ابعادك مع حسن بك الحكيم وسعيد بك حيدر ومنير افندي شيخ الارض والشباب المصري الذي هتف للاستقلال عند باب النزل مدة ثلاثة شهور ، وبعدها ودمني وانصرف اتاني زكي بك الخطيب فقال ان الحكومة اليوم بحثت بعد المظاهرة بحثا دقيقا في تطبيق قانون التجميع العثماني عما حدث ، ولكنها في آخر الامر لم تجد بابا تؤاخذكم به فاطمئنا . وعقبه اتاني ياسين باشا الهاشمي فذكر لي مثل ذلك فآخبرته بما كان من أمر الشرطة ومأمور التحري الوافق في الباب ، وقلت له ان الاضطهاد سيزيد في ايامنا ولا اعتقد ان احدا من اخواني المظلومين يحجم عن تحمل تبعه اعماله . وبعد ذلك دخل

جانب الفرنسيين - وهو من أبناء البلاد القادرين على خدمتها - الاغراب المستعمرين وقلت في نفسي ما اغنى هذا الشباب الذي دل في جميع اطواره على الذكاء وحدة ذهن ونشاط عن تلويث اسمه وتدنيس سمعته بتحملة تبعه وظيفة يساق فيها سوق البهائم ، وما له وقد كان بالامس على عهد الحكومة التركية والحكومة الوطنية يشغل بالوظائف العالية يرضى ان يكون آلة صماء يد ضابط افرنسي لا يختلف كثيرا عن صفار ضباط الترك والعرب جهلا وحماقة ؟ هذا عدا ما ينزل به من الهبات يلصق به من جعله اعراض الناس سلما يمر عليه الى غاياته ، ولا اظن انني آسف على فقد شباب من الوطنيين في الحياة اسفي على هذا الشباب المفقود .

فانحني السيد عثمان الشرباتي والسيد سعيد بك عبيد بحضوره فيما جرى حتى تلك الساعة من المذاكرة مع المدير بشأن الاجتماع المنتظر في المساء مع الكولونيل كاترو وعند عودته من جبل الدروز ، وبين الاجتماع الذي حضره لفييف من اعيان البلاد وشبابها الناهضين في هذا الصباح الذي عقد في قهوة التوتلي لتقديم احتجاج الى الحكومة الوطنية والحكومات الاجنبية ومن جماتها الحكومة المحتلة على توقيفنا والتعدي على حريتنا .

وقال ان الناس يتهيئون للخروج بمظاهرة من الجامع الاموي وهم ينتظرون الاشارة فما رأيي بها وكان المدير بجانبني يصغي لكل بنت شغفه انبث بها ، وكل اشارة اشير بها ، فاتخذت حذري وقلت لا بأس من اتباع الراي الذي تتفقوا عليه ، ونحن في هذه القضية رهن اشارة اخواننا الوطنيين ، فالتفت المدير وقال الا ترى ان يتأجل كل عمل من هذا النوع الى ان يعود الكولونيل كاترو في هذا المساء فتباحث وياه بالسألة من اساسها كما اتفقنا البارحة في بيت انور البكري مع السيد عثمان ؟ فلم اغر جوابي ، وما كدت انتهي من كلامي حتى دخل الرئيس تيريه معاونا آرابوس والمسيو

لاخذ ما احتاج اليه ، فدخل فسلمت الرسالة الى ام محمد المرضمة واوصيتها انه متى عادت سيدتها - ومن غرائب الصدف انها كانت مدعوة حينئذ عند زوج الحاكم للاحتفال بعقد قران احد ابناء عمها - ان تسلمها اياها لترسلها الى المستر كراين في بيروت بواسطة المستر آلن فهو قنصل الولايات المتحدة في الشام ، ثم دخلت الى غرقتي فتناولت من صندوقي بضع جنيهات ذهبا وورقا ، وحملت ردائي وخرجت الى صحن الدار فوجدت ولدي فيصل وسحاب قد عادا من المدرسة ، فانحنيت عليهما وضممتهما الى صدرتي وقبلتهما وكذلك قبلت اختيهن الطفلتين في سريرهما وقلت : اولادي انني مسافر ولا اعود اليكم قبل ستة اشهر ، فسلموا على امكم كثيرا ، فذعرت سحاب واخوها من هذا الخبر ، ولكنهما عادا فقلنا اني امازحهما فلما راي ام محمد تبكي تحققا الخبر ، فاخذنا في المويل والنحيب وتبعاني الى اسفل السلم متعلقين بردائي وهما يصيحان : فين رايح يا بابا لا تتركنا وحدنا دخليك لا تتركنا وحدنا يا بابسا وانتظر حتى تجي ماما نحن كلنا نروح سواء » وقد وعدني المفوض ان يكتب كل الاكتمان مسألة الرسالة التي سلمتها الى المرضمة .

خرجت من الدار ودخلت غرفة المفوض ففتش جيوبتي .

### القبض على الحكيم وجيدر وشيخ الارض :

بقيت نحو ساعة في هذه الغرفة علمت في غضوننا انه قبض في ذلك المساء على سائر الاخوان المثار اليهم سابقا ، وهم السادة حسن بك الحكيم وسعيد بك جيدر ومير افندي شيخ الارض ومن ثم ذهبت الى مخفر المهاجرين بالسيارة ، وثاني يوم ركبت السيارة حتى دائرة الشرطة ، وبعد هنيهة طلبت الى حجرة المدير فوجدته فيها ووجدت معه السيد عثمان الشرباتي والسيد سعيد عبيد الناجر المعروف ، فسلمت عليهما سلاما صميميا ، وكذلك سلمت على المدير بشيء من البرودة والاشمئزاز والتأنيب على التزامه

امسى المساء ولم يراجهنى المدير علمت النية الحقيقية . وفي هذه الاثناء جاءني احد افراد الشرطة وطلب الي ان اخرج ما في جيوبني فابيت الا بحضور هيئة فحاء معه حلمي عزيز ، وعندما اخرجت كل ما معي ومن جعلتها احتجاج التجار على الحواجز الجمركية ما بين سورية وفلسطين بخط فارس بك الخوري ، فآخذته مع مفكرتي الخاصة واعاد لي سائر الاوراق وهنا علمت منه انه قبض ايضا على الدكتور شهنذر وسعيد بك حيدر ومنير افندي شبيخ الارض وقد وضع كل منهم في غرفة على حدة .

وفي الساعة التاسعة جاءني شرطي آخر فقال تفضل ياسيدي فقد حضرت السيارة ، فلم اشأ ان اسأله الجهة التي سآذهب اليها بل نزلت فركبت السيارة يرافقتني فيها مفوض وشرطيان باللبسة عريية وكانت مغطاة فمسارت بنا عن طريق الصالحية ثم عرجت نحو سوق ساروجة فمحلة السمانة وهناك نزلت الى المخفر لاقتضي تلك الليلة فيه . وقد اوصى بي المفوض الذي اتى معي رئيس المنطقة السيد خضر الذي كان اذ ذاك حاضرا هناك ، وكلفه الاعتناء بأمره كما امره المدير ، فقتضيت تلك الليلة في المخفر المذكور بحراسة الشرطين اللذين آتيا معي على طريق المناوبة . والحق يقال اني رايت من حسن المعاملة والاعتناء بخدمتي ما يقضي علي الواجب الاعتراف به .

وفي صباح اليوم الثاني ٧ نيسان سنة ١٩٢٢ في نحو الساعة العاشرة جاءت سيارة مستورة ايضا وفيها احد افراد التحري فأقتنسي بطريق سوق ساروجة جوزة الحديداء - شارع قهوة الجينية فساحة الشهداء الى دائرة الشرطة . هناك ادخلت الى غرفة ديوان الرسائل فمكنت فيها الى الساعة الواحدة بعد الظهر وعندها سمح لي بالاجتماع برفقائي في الغرفة المجاورة « .

يجون مستشار الشرطة فاضطررنا الى الانتقال للغرفة الملاصقة فلم يفارقنا المدير لحة واحدة ، كذلك ودعني السيد عثمان والسيد سعيد للاجتماع بالاخوان واتخاذ قرار نهائي في المسألة، ودخل المدير للمذاكرة مع اسياده .

هذا ما جرى لي ، واما ما جرى للاخوان السيد حسن بك الحكيم والسيد سعيد بك حيدر والسيد منير افندي شبيخ الارض فهو كما يأتي :

### حسن الحكيم وما جرى معه :

قال حسن بك الحكيم : « بعدما تم وداع المستر كراين انصرفت مع من انصرف فابيت الى دار الحكومة كالتائد الظافر بعدما مروت امام دائرة الشرطة على مرأى من عشرات من زعانفها . مكنت هنا نحو ساعة عند احد الاصدقاء ، ثم ذهبت في نهايتها لقتضاء بعض مصالحني ، وفيما انا مار بشارع «رامي» في نحو الساعة الرابعة بعد الزوال صادفت امام قهوة النصر شبانا من موظفسي التحري في دائرة الشرطة لم أعرفه قبلا ، وكان يتألمني كانه يريد ان يتحقق شخصي ليفي بوظيفته فقلت له : من انت وما بالك تطيل النظر الي وماذا تريد : فقال الست حسن بك الحكيم ؟ فقلت : نعم قال : انني من موظفي التحري وها هي علامتي ، ان المدير حمدي الجلال يرجو منك ان تحضر الى الدائرة لقابلته ، فلم اتردد وكنت عرفت السر فذهبت واباه ، وفي اثناء الطريق مروت على صديقي سعيد بك حيدر وعادل بك العظمة المحامين المعروفين في مكتبهما في بناية العابد واخبرتهما بما حدث كي يتدبرا الامر ويتخذوا الاحتياطات . وعندما بلغت الدائرة ادخلت الى غرفة رئيس القسم العدلي والاداري الملاصقة لغرفة المدير ، فاستقبلنا الرئيسان صادق المغربي وتقولا شاهين وجياني احسن تحية ، فسألتهما عن سبب الطلب متجاهلا ، فاجابني ان ليس لهما علم بشيء، ولا

## سعيد جيدر وما جرى معه :

وقال سعيد بك جيدر : « توجهت بعد المظاهرة الى المدلية لمقابلة المدير بشأن قضية في حماه أنا وكيلها ، ولما لم أجده انتظرت في غرفة المفتش عارف بك نكد ومدير الرسائل سامي بك العظم ، وفي هذه الاثناء رايت رجال الشرطة يجيئون فيسألون عن المستور باهتمام ، فلما سألت عن السبب اجابني عارف بك : انهم يبحثون عن قانون الاجتماعات ليطبقونه على المتظاهرين ، ولكنهم لم يجدوا . فقلت له يوجد في الجزء الرابع من الدستور . وانا كذلك اذ حضر الحاج صادق افندي رئيس القسم العدلي في دائرة الشرطة وهو متباط مجلد من الدستور ، ففهمت ان مجلس المديرين مجتمع وعنده مدير الشرطة لهذه الغاية . ولما لم يهتدوا في قانون الاجتماعات الى ما يشئني غلبهم فكروا في طريقة اخرى . ولكن على كل حال لا يتعدى الامر حدود السجن من اسبوع الى شهر . ولما خرج مدير القسم العدلي ائتمنت حديثي مع المفتش الفاغل ثم نزلنا فوجدت مدير الشرطة خارجا من غرفة المحاكم وهو مهتم ومعه الدستور ، فلما رأيته حول وجهه عني وذهب نحو قلم الخارجية ، اما انسا فاني قابلت مدير رسائل المتصرف لأمور خاصة .

ثم ذهبت للغداء في بيتي ، وبعد الراحة نزلت الى اعمالي ، وبينما كنت جالسا في مكنتي في نحو الساعة الرابعة مساء حضر الخادم ودفع لي تذكرة الطبيب وقال ان والدتك المريضة تريد هذا الدواء فقمنا حالا وذهبت الى صيدلية جميل افندي الكحالة فأخذت لها الدواء المطلوب واعطينة للخادم ، وعند خروجي من باب الصيدلية بادرنى شرطي في مقبيل العمر رقيق الحواس لطيف المعاملة اشقر الشعر لا اذكر اسمه ، ثم قال : ان مدير الشرطة يود مقابلتك الان فعلمت من هذه الجملة كل شيء وسألته هل بإمكانني ان اذهب الى مكنتي قبل الذهاب الى دائرة الشرطة فلم يمانع

فمضى حذوي ، وفي اثناء الطريق قابل اثنين من زملائه الشرطيين فتبعاه ايضا بناء على اشارة منه ، فذهبت الى المكتب واخبرت شرطي بما حدث ، وعدت مع احد الشرطيين الى دائرة الشرطة ، وصادفت في طريقي الموظفين مرفضين من اعمالهم ، فصارت ترمقي الانظار ونشير الي الايدي بالسلام ، وصادفت جيب افندي الكحالة صاحب جريدة سورية الجديدة وكان بيننا وعد لحل بعض المسائل الخاصة ، فسألني هل انا على وعدي فأجبته انت ترى ما انا به الان ولا اعلم اذا كان بالإمكان عودتي ، ثم دخلت في الدائرة الى حجرة المفوض حلبي عزيز فسلمت عليه فاستقبلني ببشاشة واحترام ، ثم قدم لي مكانه امام النافذة المطلة على نهر بردى وقدم لي نقاعة تبغ ثم نهض ووقف امامي وأدار ظهره الى شرطي آخر بجانب الباب بحيث لا يسمع كلامنا ولا يرى وجهينا ، فذكر عهد الودة بيننا منذ كنا في المدرسة الإعدادية في صف واحد معا ، وما يحمله من الحب والاحترام ، لذلك فهو يطلب ان اكلفه بما يحتاج اليه ، ثم قال انا سأذهب بالشرطي الذي على الباب ليخلو بك المكان ففتش نفسك وألف جميع الاوراق التي تراها مضمرة ، ولما عاد طن جرس الهاتف فتناول السماعة وفهمت من مجرى الحديث ان مخاطبه يستأذنه بالدخول الى البيت لان الرجل الذي يريد توقيفه لم يخرج ، فاجابه بقوله : ادخل قبل ان يسمي المساء لان محل العيادة غير مسكون والحق عليه بالسرعة ، فسألته من الرجل المطلوب ؟ فقال : الدكتور شهبندر ، فقلت : لا حاجة للتشدد لاني اظن ان الدكتور الفاغل لم يرتكب الفوار خصوصا وهو لم يأت امرا فريا ، فهز رأسه وقال : ما جيلة الامور ؟ ثم سألته : هل المطلوبون كثيرون ؟ قال انت والدكتور شهبندر وحسن بك الحكيم . وبعد برهة قال : منير افندي شيخ الارض الذي اسديت اليه من المعروف سابقا واحسنت به اليه يوم حادثته المدرسة الطبية وقف اليوم على ظهر السيارة امام الشرطة وصاح

اقترب مني شرطي وسألني ماذا تريد ان تفعل؟ فأجبت ان نفسي لا تطلب الاكل ولكن اين الدكتور شهنيد وحسن الحكيم ومينر افندي شيخ الارض؟ فأجابني ان الدكتور عبد الرحمن بك في القرية المجاورة عن اليسار وحسن بك عن اليمين والهما قضيا ليلتهما خارج دائرة الشرطة وأتيا مثلي في الصباح وأنا كذلك اذ دخل عثمان افندي الشرطي وسعيد افندي عبيد فاستنسا عن صحتي وقال ان المسألة قريبا تنتهي ثم سألاني عن الدكتور وحسن بك فدلتهم عليهما فخرجا .

### مينر شيخ الارض وما جرى معه :

وقال مينر افندي شيخ الارض : «وبعد ان ارفض المودعون من الوداع الشاق الذي حصل للمستكرائين، عدت الى المعهد الطبي وشرحت لاخواني ما جرى لي في المهمة التي انتدبوني اليها من تقديم رغائب التلاميذ الاستقلالية له ، فسروا من ذلك سرورا عظيما ، خصوصا لما وصفت لهم الطريقة العجيبة التي ودعناه بها وكيف احططنا بسيارتها وهفتنا للاستقلال .

عدت الى منزلي وقت الظهر فوجدت شرطيا من معارفني ينتظرني في الباب ، فتقدم الي وقال : صدر امر بالقبض على اناس كثيرين من الوطنيين لم اعرف منهم سوى الدكتور شهنيد وحسن بك الحكيم وسعيد بك حيدر وانت منهم ايضا فخذ لنفسك الحيلة واعمل ما يقضي عمله . فشكرته على ذلك ثم اخذت افكر في الامر فتارة كان يخطر ببالي الحرب وهذا فيه ضياع الجهودات التي بذلت في سبيل القضية الوطنية ما فيه . وطورا الاستسلام فيمر في مخيلتي عندئذ تلك المظالم المروقة عن ارباب الساطة مالا يحتاج الى بيان ، فعولت اخيرا على تسليم نفسي ، وفي المساء قصدت ادارة البريد والبرق لاعمال خاصة فصادفت حضرة الاديب السيد معروف الارناؤط أحد صاحبني جريدة فتى العرب فاخبرني انه قبض

بملء فيه مشيرا بكوننا والينا : « فليسقط الخونة فليستقط مدير الشرطة ومفوض التحري ورجالهم الاوياش » سرا ، اما والله لانقم منه انتقاما لن ينساه ابدا . فقلت له : اذا كان مينر افندي غير مطلوب من قبل الفرنسيين فانصحك ان تصرف النظر عنه ولا تنتقم يكون خير لك واكرم لنفسك . فوجم ولما اصررت عليه قال بصوت خافت : « مطلوب » .

ثم خرج وعاد ضاحكا لان مينر افندي قد حضر فسالته اين وضعته ؟ فقال : بمكان يليق به ، ومن ثم علمت انه في غرفة المعايمة فقلت : الا خوف عليه من الجرائم هناك ؟ فطمأنني وذهب ، وبعد ساعة اتاني شرطي يدعي حسن افندي المغربي وقال لي : تفضل ، فخرجت وياه وركبنا سيارة كانت تنتظرنا في الباب وركب معنا شاب باللبسة ملكية فهمت منه انه من البقاع في مدرسة الشرطة وانه وكل اليه والى شباب آخر امر حراستي تلك الليلة .

وقفت بنا السيارة امام مخفر الشيخ حسن في اول طريق الميدان فاستقبلني مفوض المخفر محمود لطفي باحترام وبشاشة وصعدت الى الطابق الثاني حيث وجدته قد حضر لي سريرا لطيفا ولا انكر ان الغرفة نظيفة وجامعة لاسباب الراحة ، وبعد حين حضر طعمامي من البيت فأخذت وتغشيت وقد كان الشرطيون هنا باجمال على جانب من الملاطفة ولسان حالهم يقول :

ما حيلة المرء والاقدار جارية عليه في كل حال ايها الرائي  
القاه في اليم مكتوفا وقال له اساك اياك ان تبسل بالاء

فقضيت معهم ليلتي امارحهم واتهمكم على معاملة الافرنسيين التي لا تزلزل المبادئ ولا تضعف العزائم . وفي صباح الجمعة حضرت سيارة فائقني الى دائرة الشرطة فجلست في غرفة في طابقها العلوي كان ينام فيها رهط من الشرطة . وفي تلك الاثناء

له : لا علم لنا بشيء من ذلك ، فاستيقظ الشرطي على كلامنا فصرقه من امام النافذة ولكن اخي اجابه على عمله بقوله : وهل تظنون ان المسجون ترهبنا وتحول امانينا . ثم انقطع الحديث ولم أعد أسمع شيئا .

وبعد الظهر جاءني شريطان اثنان وعادا بي الى دائرة الشرطة فلقيت على بابها حلمي عزيز الذي لقيته البارحة فاستقبلني بوجه بائن بخلاف استقباله السابق ، واخذ يلاطفي وقدم الي كرسية وجعل يقص على اخبار البلدة وانها هائجة بسبب توقيعنا وانه عقدت في الصباح اجتماعات عديدة والمظاهرات على وشك الانتشار ، وبعد هنيهة حدثت ضجة عظيمة في الدائرة وجلبنة واختلط الحابل بالنابل باسباب المظاهرات التي ابتدأت » .

هذه اخبار اخواننا الثلاثة الذين وقفوا معي ذكرتها باختصار نقلا عن مذكراتهم وقد علمت يومئذ ان اخا رابعا وهـد السيد المعينفي نام ليلة في القسلة الحميدة ايضا ، وسأذكر ما جرى له في الوقت المناسب .

### الاجتماع الشعبي بقوة القوتلي وتقديم الاحتجاج للناصل :

ذكرت في آخر الكلام ان المدير اختلى بسيدية يجون مستشار الشرطة والرئيس تيريه معاون أرابوس ، بعدما ودعني السيد عثمان الشرباتي والسيد نعيم بك حيدر والسيد سعيدعبدل وبعد هنيهة عاد الي يقول ان ليفيا من الرجال اجتمعوا بقوة القوتلي منذ الصباح وهيوا صورة احتجاج للدول على توقيعكم وقد فرقتهم الشرطة بعد ان ضبطن الاوراق التي بأيديهم ، وقد تعقدت الآن المسألة لان الفرنسيين قرروا استلامكم خوفا من تقصير شرطة الوطنيين وعجزها عن القيام بما اودع لديها ، وبلغني ان المحتجين قرروا الاجتماع في الجامع الاموي ليخرجوا منه بعد صلاة الجمعة بمظاهرة وانا انتظر التطورات على آخر من الجمر .

على حسن بك وسعيد بك فقلت له : انا قريبا يقبض على ايضا . ومن ثم اخذت افكر في الذهاب بنفسي الى الشرطة والانضمام الى رفقاائي وانا كذلك اذ مر امامي مفوض التحري للشعبية الافرنسية ابو حاتم وتظاهر انه لم يراني ، وبعد مرور دقيقتين اذ الشرطي يدعوني لمقابلة مدير الشرطة ، فذهبت معه ووصلت الى الدائرة حيث لقيت على بابها المفوض حلمي عزيز فاستقبلني بوجه مؤد الانتقام والفدر وسبب ذلك طعني عليه وعلى مديره ورجال الشرطة اجمالا ، واطهار ما يركبون من الدعارة والفسق في المدينة دون جياء ولا وجل ، فادخلني الى غرفة موبوءة بالجراثيم تعطي فيها الاجازات للخطاطات واخذ ينشئ بالبستي وينشها فلم يجد شيئا ، ولحسن الحظ انني كنت تركت مسدسي في البيت قبل ان اغادره ولولا ذلك لكان لضبطة شأن عظيم غير اثر المظاهرة . ومن ثم نقلت الى غرفة في الطابق العلوي من الدائرة تعال على سليمان سليمان شفيق باشا قرأيت عن بعد جمعا غفيرا من الشبان فهتفوا لي حالما تعارفت الوجوه واشاروا بمناديلهم ، فلما ابصرهم الشرطي المكلف بحراستي واسمه عارف افندي كلفني ان انتقل الى جهة ثانية من الغرفة .

وبعد نحو ساعتين دعاني رئيس القسم العدلي صادق افندي المغربي بصحبه حلمي افندي عزيز الى سيارة كانت تنتظرني في الباب ، فركبت وسارت بنا الى جهة ساحة الشهداء فهمس في اذني الشرطي اننا ذاهبون الى المنزل ( بناية العابد ) . فلما وصلنا ادخلت الى مطبخ هذه البناية قرأيت فيها شابا يهوديا من التبعة الامريكية اسمه يوسف ، وآخر من اهالي صيدا فلافطاني وخفقا عني وحشة السجن .

وفي الصباح اطلت من النافذة فرأيت شقيقي صلاح الدين فقال : ( هل انتم مسافرون لانه اتصل بنا انكم ستنتفون ) فقلت

الى ابنة خالتي الانسة نازك العابد قلت لها فيها : « ان دائسرة الشرطة قبضت على حضرة الدكتور شهبندر واخوانه وقد اعتبر الوطنيون ذلك فرصة لاطهار عواطفهم ورغائبهم ، وانت من اعظم الوطنيات اخلاصا للبلاد ، فأود منك مؤازرة عقيلة الدكتور والسعي الى عمل مشترك يظهر من السيدات يكون فيه تأييد للحركة الوطنية » . ثم ذهبت الى دار الحاج اديب خير فتحدثنا قليلا في هذا الموضوع وبينما كنا على طريق عرنوس اذ صادفنا عثمان افندي الشرياتي ، فعلمنا منه ان الوطنيين سيجمعون في قهوة القوتلي ليحتجوا على سجن من سجن من رجال البلاد ، وذلك اذا لم يطلق سراحهم في الساعة المعينة يعني في الساعة العاشرة . مشينا على مهل حتى وصلنا الى قرب ساحة الشهداء حيث اطل علينا حليم بك حروش من شرفة فندق فكتوريا ، فقصدا الى فوجدا في غرفته الامير فائز الشهابي وهما يتحادثان عن الحادثة الكريية فاشتركا معهم في الحديث ، وعلمنا من حليم بك ان مدير الشرطة قدم الى البشة قائمة باسماء جميع الرجال الذين اشتركوا في وداع المستر كراين ، حتى انه ذكر فيها اسم ابن شقيقه - يعني اسمي - مرتين ، قال السيد توفيق : ثم نظرنا الى مدخل دائرة الشرطة فرأينا السيارات تأتي بكل من اخواننا على حدة حتى اجتمعوا كلهم هناك .

### الانتقال الى الجامع الاموي :

وقد مضى نصف ساعة على الموعد ولم يطلق سراح احد فعلمنا ان الحكومة لا تريد ان تفني بوعدنا ، حينئذ ذهبت السي قهوة القوتلي فرأيت الوطنيين وجدت مفوض التحري ومفوض الشرطين يكتبون اسماءهم فيها . فجلست مع الوطنيين فكتبت اسمي مع اسماءهم ، ثم دخل علينا رئيس القسم العدلي يصحبه خمسة من رجال الشرطة فقال : « باسم القانون يجب ان تنفروا » وقام من بيننا محمد بك اسماعيل فنادى الى الجامع الاموي ايها

وقد علمت من اخبار المجتعمين ما يأتي : ان عددهم لا يعرف بالضبط ولكنهم ملأوا القهوة وكان بينهم محمد بك اسماعيل يحيى جياتي وعبد الستار بك السندروسي مدير رسائل النافعة ومحبي الدين بك صادق قائد الموضع في الشام سابقا وحسن افندي الحلواني (تاجر) وحسن افندي الطرايشي (تاجر) وصبري افندي البديوي (ضابط في الجيش التركي والعربي) ورشدي افندي (صحافي) واحمد افندي ابووش (تاجر قوميونجي) وجميل افندي جمعة (صاحب محل طحين) وعادل افندي شيخ الارض (صحافي) ورشدي افندي الحكيم (مميز ديوان الرسائل في العدلية وصحافي سابقا) وعبد الهادي افندي دياب (تاجر) وعارف بك الادلبي (قائد اركان حرب في العهد التركي) وحسن بك الزنبركجي (قائد في الجيش) وتوفيق افندي القفصماني (قائد في الجيش) .

### توفيق الحلبي يتحدث عن الاجتماع :

ونرى للدلالة على ما حدث من التطورات ان نذكر الخلاصة الآتية من مذكرات احد الاخوان الذين لعبوا دورا مهما في هذه الحركات وهو السيد توفيق الحلبي :

« بعد ان ودع الناس المستر كراين قابلت الدكتور شهبندر تجاه فندق فيكتوريا وافقنا على ان لا نتغيب عن الحكومة فيما اذا رغبنا في طلبنا ، وذلك ادعى لانتشار الفكرة التي نشدها ، وهكذا كان فقد قبضت الشرطة على الدكتور شهبندر ورفقاه ، وفي مساء ذلك اليوم سمعت من السيد عثمان الشرياتي ان الحكومة وعدت باطلاق سراحهم في اليوم الثاني صباحا في الساعة العاشرة . ثم قال بت تلك الليلة قلق البال وذلك لا لسجن الدكتور واخوانه بل خشية اخلاء سبيلهم لان الفرصة لا تزال سانحة لتوسيع نطاق هذه الحركة وظهورها في العالم السياسي بأجلى المظاهر ، فصممت على هذه النظرية وتمسكت بها فكتبت بطاقة

قبضت الحكومة على السادة الاخوان فلان و . . .

اتعلمون لماذا قبضت الحكومة عليهم ؟ انها فعلت لهاتفهم للاستقلال فاننا متألم من الحالة الحاضرة واهتف لاستقلال بلادي ايضا . فمن كان مثالا مثلي فليذهب الان الى البعثة نفسها والى قنصل الدول وليحتج على سجنهم ويضم صوته الى صوتهم . وهنا علا الضجيج والنداء ( فليحيا الاستقلال التام ) : نحتاج نحن متألمون . ثم قلت : ايها الاخوان ان المستر كراين قد اوصانا ان نعقب قضيتنا بالطرق المدنية لا بالطريقة القديمة يعني بالطرق السلمية لا بغيرها ، فأرجو منكم اتباع نصيحته واستعمال التؤدة والسكينة . ثم تكلم بعدي الدكتور خالد الخطيب فالسيد محمد الشريقي فكان للكلام الجميع اعظم تأثير في نفوس المستمعين الذين هاجوا وماجوا وخرجوا من الجامع وهم على اشد درجات التحمس ، يقصدون الحكومة للاحتجاج « . هذا ما ذكره توفيق افندي الحلبي .

### خالد الخطيب ينظم العمل :

اما الزميل الدكتور خالد افندي الخطيب فانه قال ما يأتي :  
« على اثر مظاهرة الوداع للمستر كراين عاد كل منا الى عمله وب نفسه ما بها من الفجطة والسرور من مظاهر تيقظ الشعب . وعلمت في المساء ان الحكومة قبضت على السادة الدكتور شهنذر واخوانه فدعيت على اثر ذلك لفيغا من الشباب الوطنيين المخلصين الى داري منهم السادة عبد الستار بك السندروسي ومحمد بك الشريقي معلم الاديات المريسة في مدرسة برلنيز وسكرتيرها والاستاذ جميل افندي الحموي الصحافي وابراهيم افندي الحقوقي وعليه افندي الشواف من طلبة القسم الطبي والدكتور سيف الدين البستاني والدكتور ابراهيم ادهم والضابطان فائق افندي البرازي وعبد الرزاق افندي البكري وغيرهم فدام الاجتماع الى نحو الساعة

الاخوان . وهكذا تفرقنا .

وبينما كنا خارجين من القهوه قابلنا رئيس القسم الاداري نقولا افندي شاهين ومعه ١٢ شرطيا فلم ير حاجة للكلام ثم قال توفيق افندي : اما انا فاني سلكت الطريق الى سوق الحميدية حيث التقيت بالدكتور محمود بك حموده وسليم افندي عبيد وبعض التجار ورأيتهم يتذكرون عن اخلاف الحكومة بوعدھا ، اذ جاء سميد افندي عبيد فقال : اننا اخذنا عهدا من مدير الشرطة انه اذا لم يحتج الاهلون في هذا اليوم ولم يحدث تظاهرات فقد تطلق الحكومة سراح الموقوفين ، فقلت : ان الحكومة تكنت عهدھا في المرة الاولى وستكثفه في المرة الثانية ، وما القصد من هذا التسوية الا ربح الوقت والانتظار ريثما يمر هذا النهار ، فنقوتنا صلالة الجمعة . قال سميد افندي عبيد : ان عثمان افندي ذهب الى الجامع ليخبر المواطنين ان يعدلوا عن المظاهرة . قال السيد توفيق : فذهبت حينئذ انا والسيد سميد واجتمعنا في الجامع الاموي بشمان افندي ومحمد بك وغيرهما فاقنعنهم وبينت لهم ضرورتها وان المصلحة تتطلب حركة واسعة ، ثم قلت لهم : اني صاعد الى السدة وربما تكلمت بما يخطر في بالي فلم يردوا جوابا .

### توفيق الحلبي يخطب في الجامع :

صعدت الى السدة وبعد فراغ الامام من صلاة الجمعة خطبت في الناس قائلا : ايها الاخوان الكرام ، لقد زار دمشق منذ بضعة ايام المستر كراين رئيس اللجنة الامريكية عام ١٩١٩ ، فبلغ الناس انه جاء ليستطلع رأي السوريين في مستقبل بلادهم فاجتمع به منهم خلق عظيم من علماء وادباء وتجار وبنوا له شكاوهم وما هم عليه من الضيق والشدة وبنوا له رغبتهم في الاستقلال التسامح الناجز ، وصباح امس ودعه لفيغ من اهل الفضل واظهروا له في خلال الوداع شعورهم وهتفوا للحرية والاستقلال . ثم في المساء



بهم في اعماق السجون المظلمة ، وذلك لجرّد هتافهم للحرية والاستقلال وهما رائدا كل شعب حي فالامة السورية على اختلاف المذاهب والطبقات تحتاج بكل شدة على اعمال السلطة الفظيعة وتجاهر بطلبها الحرية والاستقلال ، فهما بغيتها المنشودة في كل آن واقبلوا يا سيدي خالص تحياتنا .

وقد وقع على النسخ الاربعة المسالفة الذكر عدد غير قليل من الاطباء والمحامين ومأموري الحكومة وارباب الحرف وطلاب المدارس العالية . اذ فقت الصلاة فحملت القطع وصور الاحتجاج وقصدت الجامع الاموي . وفي أثناء المسير اثنائي شاب واخبرني عن لسان الشرياني ان الدكتور شهبندر واخوانه نفاهموا او سيقاهموا مع الحكومة ويطلق سراهم في القرية وهم لا يرغبون في المظاهرة ، فلم امر لذلك سمعي بل بقيت انتظر انتهاء الصلاة . وما كادت تنتهي حتى سمعت السيد توفيق أفندي الحلبي يخطب من على السدة ويدعو الناس للامر الذي قرناه مع اخواننا ولم يكن بيننا وبينه سابق تفاهم على ذلك وما انهى كلماته حتى وثبت الى السدة . المقابلة للمنبر فقلت : ايها السادة ان الحكومة في اليوم الماضي قبضت على الدكتور شهبندر واخوانه وزجتهم في ظلمات السجن لهتافهم لحرية البلاد واستقلالها ساعة وداع المستر كراين الامريكي .

ايها السادة : ما سمعنا قط ان العدالة تقضي بسوق رجال الامة الى حيث يسجن قطاع الطرق والقتلة والساقتون وذلك لجرّد هتافهم لاستقلال بلادهم وحريةها وهما حقان من الحقوق التي منحها الله للشعوب واقرتها العدالة وقد لحق الامة السورية عار من ذلك لا يكفئه الا ان تذهبوا بجموعكم المتراصة متظاهرين بمظاهرات سلمية تعرب عن شدة تمسككم بالسلام والدينية فتحتجوا لدى قناصل الدول ومعتمديها على هذا العمل الفظيع وتطلبوا اليهم ان يبنوا احتجاجكم هذا وارادكم للحرية والاستقلال

الحادية عشر ليلا وكانت الاحاديث تدور حول ما يجب عمله الآن بعد سجن السادة الاخوان فكان آخر ما عزمنا عليه القيام بمظاهرة كبرى بعد اداء صلاة الجمعة ، ثم قرر الحاضرون انتخاب لجنة لتنظيم شؤون المظاهرة فوقع الانتخاب علي وعلى السيد السندروسي والسيد الشريقي فضرنا موعدا لاتمام العمل في اليوم الثاني .

اجتمعنا في الصباح في الموعد المعين فقررنا ما يأتي :

أولا - ان اتكلم خطيبا في الناس حائا على المظاهرة والاحتجاج .  
ثانيا - ان يخطب بعدي السيد الشريقي حائا على المظاهرة والاحتجاج ايضا .

ثالثا - ان نحضر قطعا من الورق كبيرة نكتب عليها ما يشير العواطف وتوزيعها على الفتيان لنشرها بين الناس عند ظهور الجماهير المتظاهرين .

رابعا - ان نكتب صورة احتجاج ننسخ منها اربع نسخ نقدم واحدة منها لكل من قناصل امريكا وباكسترا وايطاليا والبعثة الافرنسية .

خامسا - ان تتلى صورة الاحتجاج على مسامع المتظاهرين امام دار الحكومة المحلية .

وبعدما اتخذ هذا القرار كتبنا القطع المذكورة فكانت اربعا الواحدة : (الله والوطن والانسانية) والثانية : (باسم العرب نحيا وباسم العرب نموت) والثالثة (يحيا الاستقلال العربي التام) والرابعة : (الاستقلال حياة الشعوب) ثم نظمنا صورة الاحتجاج واليك هي ملخصة :

ان الشعب السوري الحر يرجو من حضركم تبليغ حكومتكم احتجاجه الآتي :

» ان السلطة في دمشق قبضت على خيرة رجال سورية ورمت

عباد الدراهم وخدمة المستعمرين بكلامي بل استمروا على مننع الناس من المظاهرة، وحاولوا الرجاعهم من حيث اتوا، فلم يفلحوا بل ان الشعب المتحمس اخترق صفوفهم .

ولي الفخر اني سرت في الظلمة فكان الضرب ينهال علينا من كل جانب ونحن نشهد الاناشيد الوطنية ونحيي الاستقلال حتى بلغنا باب البريد حيث اشتد الخصام والجدال بين المظاهرين وهم يعدون بالآلاف ، وبين رجال الشرطة وقد بلغ الجيش بهم انهم اشتهروا مسدساتهم وصوبوها الى صدور الامة ، وكان البادى في هذا العمل شرطي من حماه من بيت الشرياني ، وضع هذا الشرطي فوهة مسدسه على صدغ السيد عبد المجيد الطباخ شقيق القائمقام محمد بك الطباخ وهدده باطلاق النار اذا لم يرجع ، فثارت الامة على هذا الشرطي وهجمت عليه فانزعت منه مسدسه ولولا المصالحة لما اكففت منه بأخذ سلاحه . هنا سمعت رجلا ينادي مستغيثا يا دكتور خالد فالتفتت فرأيت عبد الستار بك السندروني بين ايدي جماعة من الشرطة يشعونه ضربا ويجرونه نحو المخفر ، فأمضت عليهم وفرقتهم عنه ففر من بين ايديهم .

وما زلنا نواصل السير ونحن نشهد ونهزج والحماسة آخذة منا مأخذها حتى صرنا بمنتصف سوق الحميدية ، وكانت الحوانيت كلها مقفلة اللهم الا القليل منها وكان اصحابها يقفون لتحية المظاهرين بالتصفيق المتواصل ، بل ان اكثرهم لم يكتف بذلك ، بل كان يفلق حانوته وينضم الى صفوف المظاهرين . هنا ظهر الخيالة الشرطيون يتسابقون على ظهور خيولهم ويتحامسون للهجوم بواسطة بعض الكلمات التي تستعمل في بلادنا عادة لاجل التحميس مثل ( عليهم عليهم ) و ( عندك عندك ) فمزقوا صفوف المظاهرين وخيولهم فتدو بين الناس كالبرق الخاطف والمسدسات مشهورة بأيديهم وهم يحذرون الناس من التقدم باطلاق الرصاص اما أنا فالتقيت بنفسي بين السنة النار وحوافر الخيل وناديت

وتفانيكم في سبيلهما الى حكوماتهم، فتسمعون بذلك صوتكم مشارق الارض ومقاربها ، وترفعون عن أنفسكم عارا الحق بكم وبالامة العربية أجمع . ايها السادة : ان لكم خير قدوة واعظم مثال باخوانكم المصريين فانهم جعلوا الازهر مقر مظاهر انهم الوطنية فليكن مقر مظاهر انكم الجامع الاموي . وهنا انبرى من الجهة المقابلة السيد الشريفي فتكلم بضع كلمات لا تخرج عن المعنى السابق وانا عدت ثانية الى الكلام فقلت : وقد نجحت الامة المصرية ونالت معظم ما تريد وانتم ستنالون مثلها ان شاء الله . سيرا فان الامة المتكاثفة لن يضمضها قوة ولا تقف في سبيلها عثرة . وهنا نشرنا الق قطع الكتوبة وفرقتها على الشبان .

### انطلاق المظاهرة من الاموي :

سارت الجموع بالتهليل والتكبير واستولى الخشوع والحماس على قلوب الجماهير وانهالت الدموع من الاماق واصفرت وجوه الجواسيس الذين كانوا يشاهدون كل ذلك بأعينهم ويسمعونه بأذانهم ، ثم خرج الناس من الباب الغربي للجامع وكان منظرهم اقبحه بالبركان المضطرب وكانت الق قطع الماثورة بينهم واصوات التهليل والتكبير والهتاف بالفة عنان السماء .

سرت مع من ساروا وما كدت اصل باب الجامع حتى رايت رجال الشرطة وعددهم زهاء الاربعين بين مفوض شرطي وعلى راسهم حسني افندي الامون مفوض المركز منهالين على تلك الجموع بالضرب بالاسواط والقرع بالعصي من غير شفقة ولا رحمة، فطوحت بنفسي الى ما بينهم فأصبت بضربتين شديتين على كتفي وعلى ساق رجلي ، فصرخت في وجه الاشرار على رسلكم يا رجال الامن ، كفوا عن هذه الامة المسكينة ، فانها تتظاهر مظاهرة سلمية لتمحي عن نفسها عارا الحق بها وتطلب استقلال بلادها وان ما تتقاضونه من الراتب الزهيد لا يفنيكم عن امتكم ووطنكم شيئا . فلم يكثرث

الشرطة فرأيت مديرها حمدي بك الجلاذ واقفا بالباب مصفرا الوجه يود لو يخفي اضطرابه ولكن هيهات ان يتم له ذلك . فنفذت له محفورا وقلت اتق الله في وطنك ايها الخائن . فلوى وجهه عني لا يحير جوابا . ثم ادخلوني الى غرفة هناك لها كوة تشرق على دار الحكومة وبعد هنيهة اتوا الى هذه الغرفة بنحو ثلاثين من الفتيان . وفي الساعة الرابعة مساء جيء بي الى غرفة مفوض التحري حلمي عزيز حيث فتشست البستي واخذت مني بعض الاوراق ومنها صورة الاحتجاج المذكور .

\* \* \*

### اضطراب الشرطة وغياب الجمهور :

هذا ما قاله الاخ الدكتور خالد اما نحن الاربعة فكنا فسرنا بالنديق بما كان يجري وبما تخبئه الايام لنا وان كنا شاعرين بالاضطراب العام المستحوذ على اهل الوطن ، وكنت لا ازال في مكتب المدير وهي الغرفة المجاورة لغرفته فأتى الى جانبي واقترب مني وقال وعلائم الاضطراب بادية على وجهه : انتي انتظري بفارغ الصبر مجرى الحوادث ثم ذهب الى التلفون وطلب مخفر الحميدية بصوت مرتعف متقطع وقال : « اجبروني هل جد شيء ؟ » وبعد هنيهة عاد الي اشد اصفرارا واكثر اضطرابا من الاول وهو يقول : ( اشتغلت اشتغلت والان التعتت ) ثم هروا على السلم وهو ينادي رجال الشرطة بأعلى صوته ويخاطبهم بكلام معني من فهمه صرير الابواب المفككة وصوت وقع الاقدام المتراكضة والجلبة المظلمة الحاصلة من الارتباك ومن اختلاط الحابل بالنابل . وبعد قليل رأيت الناس من الغرفة التي كنت فيها متركضين ثم تبعتهم العربات والسيارات والكل يصيحون بأعلى اصواتهم ( ولك هربوا ) ودلت حركاتهم على انهم كالمخاطط بعقلة لا يدري اين يلجأ ، وكانت حركاتهم هذه تؤثر في الرائحين والفادين من ابناء السبيل فيعملون

بالمنظرين بأعلى صوتي ( اين الامة الحية لا يخفيها بنساق المستعمرين واجرائهم ؟ )

فتقدمنا والصياح يعلو من كل جانب ونحن ندحر الخيالة حتى اول شارع السنجدار الذي كانت حوائيته مغلقة من اولها الى اخرها ، فلما شعر الشرطيون بفشلهم اطلقوا علينا الميترات النارية من مسدساتهم وبنادقهم فكنت نخال نفسك كارك في ساحات الورقى من كثرة اطلاق النار ودوي الرصاص ، اما المتظاهرون فانهم استمروا على التقدم وكلهم حافظوا على التروي والنظام ، ولم يقابلوا هؤلاء الشرطيين بشيء من العنف والثورة . وقد بت آمن بتعمل الامة المتين كما ان ايماني باولئك الوطنيين الذين تستروا لباس رجال الامن وسميهم الخفي لاننشمار الفوضى والاخلال بالامن زاد ايضا .

وصلنا الى قرب نزل اككرا حيث كان بانتظارنا ليف من الشباب على رأسهم عادل افندي شيخ الأرض « احد محرري جريدة فتي العرب » فاستقبلونا بالتصفيق وتحية الاستقلال وانضموا الى مجموعتنا وساروا معنا حتى بلغنا المود التذكاري المنصوب بساحة الشهداء . وهنا هجم علي شرطيان شساهرين السلاح فقال الواحد منهما للاخر اقله فانه هو الللي وصلهم الى هنا ، فاطلق علي طلعا سمعت حفيف رصاصته قرب اذني ثم صوب الثاني مسدسه الى رأسي قائلا أترجع أم أفرضه ؟ فأجبت بكل هدوء لو كنت رجلا لفعلت قبل ان هددت ثم هجمت عليه فدفعتة وقذفته الى الهواء .

### خالد الخطيب يوبخ حمدي الجلاذ :

وما زلنا سائرين حتى بلغنا دائرة الحكومة ، هناك عملت جادة الرصيف وتلوت الاحتجاج المذكور آنفا . وما وصلت الى نهايته حتى احساص بي عدد من الشرطيين فساقوني الى دائرة

عملهم ، واخيرا سممت طلقسات نارية متعددة ومتوالية وبعده  
الخيالة الشرطيين يتسابقون امامي .

قال لي الاخ منير افندي شيخ الارض ، وكان لا يزال بعد  
في الحجرة السفلى ، قد رأى بعينه كل شيء : ( بعد ما قص علي  
حلمي افندي عزيز اخبار الهياج الحاصل في البلدة فوجئت بصياح  
مدير الشرطة حمدي بك الجلال قائلا الى السلاح يا شرطيون  
خلدوا بنادقكم بأيديكم اقفوا باب الدائرة اياكم تدعوهم يقتربون  
منها عليكم ان تقذفوا المرفقات وتطلقوا الرصاص على المتظاهرين .  
وكان صوته يدوي بالدائرة ( ذوي الصاعقة في ليلة عاصفة ) فلما  
سمع المفوض حلمي افندي صياحه اسرع الى الخزائنة فاخذ منها  
مفرقة ( بومبا ) واتجه نحو باب الغرفة فتبعته ، واذا رأيت الجلال  
بوجه شاحب لا يعي على شيء ، وبعد قليل سمعت دوي الرصاص  
في الفضاء وصوت الجمهور المتظاهر يحكي الاستقلال وهو مقترب  
من الدائرة فدرفت دموعي لا خامرني من السرور ثم التفت الى  
النافذة فرأيت السيارات المصفحة والمدببات والجنود تسرع نحو  
دائرة الحكومة . وبعد حين سكنت الضجة وخيم السكون .

### توقيف ثلاثين متظاهرا :

دخل علي بعد ذلك احد رجال التحري فسانته عما جرى فقال: ان  
الحكومة قبضت على نحو ثلاثين شابا ، ثم فتح لي باب الغرفة  
قليلا فرأيتهم ورأيت في مقدمتهم أخي السيد عادل وبعد هنيهة  
دخل علي حلمي افندي وكلفني أن اصعد الى الطابق العلوي واخبرني  
على الطريق اننا سنسلم الى الدرك الافرنسي .

### حديث مع الحكيم وحيد :

اما انا فكنت لا ازال في مكتب الادارة وكان فيه ايضا رفيق  
افندي الجلال وجووج شاوي من الموظفين المالكين في الشرطة ،  
فلما احسا بالاضطرابات انسلا من عندي ، وانسجبا بانتظام فلم

يبق في الغرفة غيري ، فلما افار الخيالة واشتد اطلاق النار  
وعلا الضجيج ودب الرعب في القلوب واخذت المركبات والسيارات  
والمارة في الهرب دخل علي شرطي مضطرب اوكل امر حراستي اليه  
على ما ظهر لي وهو من الشام فقلت له وكنت واقفا على الشباك  
والمارة يتطلعون نحوي « اظنك تريد مني ان انتقل من موقعي ؟ »  
قال ارجو منك ان تشرف الى هذه الغرفة ، وأشار الى الغرفة  
الثانية ، فانتقلت اليها فوجدت فيها رفيقي حسن بك وسعيد بك  
وكان قد نقل اليها الاول قبلي ببرهة فتصافحنا وتحدثنا عن هذه  
النتائج الباهرة بالهمس خسيسة ان يسمعا الشرطيون العدديون  
الذين كانوا معنا في تلك الغرفة ، ثم انتقلنا الى ذكر ليلتنا الماضية  
فقص كل منا قصته مختصرة وما جرى معه .

واخيرا سألنا رجال الشرطة هل نحن بحاجة الى شيء ؟ فطلب  
حسن بك طعامه من غرفته وكان لحما مشويا ولبنا خائرا فتفدينا  
جميعا ، ثم طلب ان يفتح له الباب ليفسل يديه في الطابق الاسفل  
التي كان فيه قبل ان ينتقل الى غرفة سعيد بك فعارض بعض  
الشرطين ، ولكنه لم يلتفت كثيرا الى اعتراضهم فنزل على السلم  
فوجد نحو ثلاثين شابا من المتظاهرين يدخلون الى الغرفة الاولى  
على اليسار ومن بينهم السيد ياسين الخانجي الذي قال : اتوا بنا  
الى هنا لاننا نظاهرونا بالحق والمدالة والاستقلال . فأجابه حسن  
بك : « ليحيا الشباب الناهض » .

### وضع الاغلال بايدينا :

عاد الينا حسن بك وبينما كان يقص علينا ما رأى من علام  
الحياة وشيم النشاط آذ دخل علينا ضابط افرنسي برتبة رئيس  
في الساعة الثالثة فقال : تفضلوا فتحققنا ما كان ذكره لنا المدير  
من امر تسليمنا الى الدرك الافرنسي ، فخرجنا فرأينا في الباب  
اربعة دركيين فرنسيين ينتظرونا وكان خلق كثير يترقب سير

الاطباء والمحامين وكبار الموظفين ان آخراتهم يكبلون بالاغلال ويساقون الى اعماق السجون لهما تفهم الحرية ، وفي المساء ستعلم سوربة من اقصاصها الى اقصاصها ان الزهور التي اُنبثتها الجامعات والكليات ودور الفنون تسحق تحت اقدام ( الملتاريزم ) السيطرة العسكرية . وفي الليل ستضئ أنوار في دور لم يعد اليها اربابها وسيبيت الاطفال والمجانن والشيوخ وراء الباب ينتظرون بلهفة وخفقان القلب جزءا من الفرائس التي اختطفها الذئاب الكاسرة السى الاوكار المظلمة والكهوف الموحشة ، ولا شك ان العالم في بحر هذا الاسبوع سيأثيه خبر عما عملته الام الرؤوم والريية الحنون مع من رفع عقيدته ونادى من اعماق القلب بصوت تفجر من ينبوع النخس العلافحة يطلب الحياة وينشد الحرية — عجا لهذا الغربي الذي نعى على الشرقي تعصبة وسقم آرائه في تقسيم البشر الى ملل ونحل وقام بصيغ في الكتب ( وفي الكتب فقط ) من الحرية القناطر المقنطرة لا الاصواع ويفس على أخيه الشرقي منها بالذرات لا بالابواع ابريك قل كي هل يوجد تعليل آخر لذلك الكرم الحائمي وهذا البخل الماردي الا التعصب الذي يرمى به الشرقي المسكين لا لفاظ ينطق بها لا وزن لها ولا معنى أو لراسيم وعادات تناقلها بالتقليد من غير تبصر وأعمال رديئة ؟ في حين يتعصب عليه الغربي بجميع الوسائل العملية لاضمار انفاسه بالاستصراخ للفضارة والاستنجاد بمؤلفي الكتب الخيالية وأهل النظريات الافلاطونية !

### الدرك الافرنسي ينقلنا الى بناءة العابد :

قسمنا الدرك الافرنسي الى زوجين فكان نصيبني أن اكبل مع الاخ حسن بك وكبل سعيد بك مع منير بك شيخ الارض ، فنزلنا على السلام تقدمنا الضابط الرئيس ويحيط بنا العرفاء الاربعة ، فما خرجنا من الباب الا وسمعنا صياح دوت له الدائر ، فاذا هو صياح الشباب الموقوفين يتادون فليحيا الاستقلال ، فلتحيا الامة العربية ،

الحوادث في الدائرة منهم مصطفى وصفي بسك وحسن فهمي بك الزنبر كجي وغيرهما ممن لا يحضرني اسمائهم وكان قد التحق بنا منير افندي شيخ الارض أثناء ذلك ايضا . ولكن ما اشد دهشتنا لما أمر الضابط فقال : مدوا ايديكم فمددناها فأخرج الدركيون من جيوبهم السلاسل والاغلال فطوقوا بها ايدينا واقتلوا عليها كما تفعل على أيدي القتلة وقطاع الطرق والصوص ، ولم يخطر ببالنا قط أن نعامل في عمر دارنا بين أهلنا وبعد خدمة عشرين سنة للمصلحة العامة هذه المعاملة العاثشة التي لا تصدر عن أصغر صفار الموظفين الترك في عهد المسلم . قد لا يختلف الفريقان بالكراهة لنا ولكن أهولاء من الاختبار والدوق بل ومن العقل المسلم ايضا ما برجرهم عن ركوب مثل هذا الشطط الفادح لانهم يعلمون ان الاقدام على احتقار الحياة الناهضة في الشعوب عمل يثير ويولد الضمائر التي لا يلبم صدعها . ولكن انى الارلأوس واساندته الذين تمرنوا بين الشعوب الافريقية على الهزء بالمشاركة والاستخفاف بأديانهم ومذاهبهم ان يثوبوا الى الرشيد فيعلموا انهم في سوربة ملقى المذنبين وعلى باب الامة العربية التي ما قط خضعت واستسلمت في حربيتها وشرها ؟!

دعي المارشال ليوتي من مراکش أثناء الحسرب الى باريس ليجلس على كرسي نظارة الحرية ، ولكن بعد ثلاثة ايام فقط من تهنتته والتبريك له اناه المورون لانه نحي عن العمل وأعيد من حيث انى فقد قال مجلس النواب عنه انه رجل لا يليق بمذنية فرنسنا الحرة بالنظر الى كثرة مكته في افريقية في الماضي وقصوره على معاملة أهلها فماذا ينتظر مدير ليوتي وأذئاب اذنايه ؟ قد تكون الشعوب الافريقية في الماضي أطعمت المستعمرين في شرف الشرق ولكن انا على مثل اليقين ان الحراسة العسكرية وضرب الازهاب والارهاق سيولد في أضعف الامم الافريقية نظرة تدعو العاثشين الى التفكير ومن يعش يرى . عصارى اليوم سيعمل في دمشق امام

او ترسيانو قادمًا في سيارة وهو رجل اشتهر من تقريه من الفرنسيين وخدمتهم وتفانيه في محبتهم فاريتيه لعان السلاسل في يدي لعله يشعور وهو ينظر الى زميل من زملائه بشيء من احتشام النفس ويقول هذه سبة تلحق بكل طبيب في سورية وعار يلتصق بكل حامل شهادة عالية لانه لا يسمع بتاريخ هذه البلاد على تغير دولها وتنويع حكماها ان عومل احد من درجتنا لهتافه للحرية بمثل ما عوملنا به .



فذكرت الدموع من الاماق ، واكتسب هذا المنظر جلالاته تعجز دون وصفه الاقلام ، ويدل بصورة قاطعة على غفلة الدين دبروه وحمقهم وجهلهم بالبيئة التي يقيمون بها . فما مشينا بضع خطوات الا ورايت أممي في المركبة المستر ان قنصل اميركا ومعه الترجمان المذكور فؤاد الاجيل واخذتهما الدهشة من هذا المنظر ، ولم يخطر ببالهما قط ان تقدم حكومة متعمدة على مثل هذا العمل الشائن الذي يراد به ارباب الامة بتحقيق رجالها واهانتها بمحط آمالها ، ولكن تحولت دهشتهم حالا الى ابتسامات يقرؤ فيها المتأمل ما تنوقع من الاعمال ونرجو من الحوادث . ثم ما زلنا ننسبر حتى بلغنا ساحة الشهداء فاذا كل شيء فيها ساكن كان على رأسه الطير حتى خيول المركبات جمدت في مكانها والناس وقوف بوجوه الطير حتى خيول الدهشة والاشمئزاز والفضب وراء ذلك كله . حسرة تدل على جيشان في النفس لا يدري صاحبها متى ينفجر ، ثم سرنا في زقاق رايمي الى اول شارع النصر فرأينا الناس مزدحمين في قهوة الشارع فانبرى من بينهم حدث يافع وصاح بأعلى صوته ( لا تيأسوا ايها الاخوان ) فاذا هو السيد صلاح الدين شيخ الارض اخو السيد منير وبجانبه والده فاجابه اخوه باللغة الفرنسية فلتجيسا الحرية يا والذي فما كان من الرئيس الا وصاح في وجه السيد منير متوعدا وقال انه يمنع الاكل ويضعه في الجميرة أربعة ايام .

واصلنا السير في شارع النصر بين صنوف المزدحمين على الجانبين وكلهم يحول الدم في عروقهم . ولاحت مني النفاتة فرايت السيد حسن الطواني الوطني المتهب المعروف واقفا عند باب حديقة سورية ، فلما وقعت عيناه علينا ارتعش وارتجفت شفتاه واصفر وجهه ودلت حر كانه كان يريد أن يلقي نفسه بيننا فاما ان يخلصنا واما ان يساق معنا . وهنا رايت الدكتور كوستي ايضا

ثياب التزويق مدى الدهر ولكننا عظامها على قارعة الطريق فصار يراها الصادي والفادي بشهادة أشرف الناس من الغربيين والشرقيين في العالم القديم والحديث ، حتى صار التزوير صنعة لازمة لدولة الاستعمار . سألني الضابط الرئيس بكل اهتمام ما شأن هذه الحوالة ؟ فقلت له : حوالة اعطيت لي لتصرف في سبيل البعثة العلمية ، فهز برأسه مستهزئاً وقال : ستعطي عنها الايضاح اللازم في الديوان العرفي ، ثم أخرج من جيبه مذكرة رسمية كتب فيها التهمة الموجهة اليها وهي : « اننا نحن الاربعة متهمون باحداث مؤامرة لتغيير شكل الحكومة يتبعها عمل ارتكب أو بوشر بارتكابه لاجل تنفيذ ذلك » .

### الدخول الى الحجرة المخصصة لنا وحالتها :

وبعد الانتهاء من تسجيل هويتنا وتفتيش الستنا ساروا بنا الى باب عليه الاقفال الضخمة والسلاسل النخينة فقام البواب ففتحها ، وقبل ان نصل اليها صاح رجل مسن ورأنا مستهزئاً : ( استقلال ؟ فليجيا الاستقلال . فلتجيا الحرية ) فقلت في نفسي دياجة قبيحة ، ثم التفتنا فاذا شاب قصير مكتمز أسمر اللون تدل هيئته على أنه من مستخدمي المستعمرين ، ولكن خفف ما بنفسي لما علمت أنه ولد عقوق لوالد عرفته في الماضي وهو الضابط الاردني علي خلقي صاحب الحركات والسكنات في شرقي الاردن .

دخلنا من البوابة الى صحن كبير تطل عليه نوافذ صغيرة وأواب بالتفرجين من المسجونين الذين صاحوا من أعماق قلوبهم فليجيا الاستقلال وصاروا يشيرون الى كل واحد باسمه ، فسار بنا المدركون الافرنسيون الى مدخل كبير يؤدي الى حجرتين متقابلتين إحداهما حديدية وعليهما السلاسل والاقفال ، فدخل أمامنا الى الحجرة اليسرى منهما وكان بها بعض السجناء من جنود الجيش المختلط ، فأمرهم بالانتقال ، ثم قال لنا : هذه الحجرة لكم ، فدخلناها

## الاستفسار في سجن القلعة

### ساعة الوصول وتسجيل الاسماء :

وصلنا الى القلعة فصعدنا سلماً قرب بابها من الداخل الى اليسار فدخلنا حجرة لتسجيل اسمائنا فقدمنا الى المسجل واحداً واحداً ( فحل السلاسل من أيدينا ) وأخذ يكتب الاسم واللقب والصنعة والمهر والهوية بعد تفتيش محافظنا وجوبنسنا تفتيشاً دقيقاً للاوراق . وفي النهاية كان يقيس قامتنا بعلامات مدونة على الحائط . وجرى أنهم لما كانوا يفتشون محفظة الاخ سعيد بك جيدر وجدوا فيها برقية بتوقيع ابراهيم بك هنانو الذي اقلق المستعمرين في بداية الاحتلال بعصاباته ووقف حسكة في حلوقهم ، وهي جواب له على تهنيئته بالتبرئة والاخراج عنه ، فتمسك بها الرئيس الافرنسي في بادية الامر ، ولكن بعد ترجمتها نظر الى تاريخها فانقلب شأنها . ولا فتشوا محفظتي وجدوا فيها حوالة المستر كراين التي اشرت اليها سالفا فقام الرئيس لها وقعد وجعل يكشف سر من الاسرار ويقطب حاجبيه ويفتحهما كمن اهدى الى اكتشاف سر من الاسرار فظن فيها الفناء والكفافية ، وقال همسا لعريف بجانبه ( تحويل له شأن عظيم ) فقلت في نفسي : نعم من أعظم الشؤون !!! فهكدا ظن انه نال من سمعتنا بالتخديش . ولكننا عرفنا دعائهم الباطلة من

كأنها الفيوم السوداء المتلبدة فوق الأفق ، والسقف مؤلـب من ثلاثة صفوف متوازية من أعمدة من الخشب غير لو نها المدخان والغبار حتى صارت بذية اللون كأنها مدهونة بدهان خاص ، وصار همي الوحيد من شدة الفراغ فيما بعد أن أستلقي على ظهري فأعدها فكانت تبلغ التسعة والعشرين عمودا في الصف الواحد ، وكنت كلما عدتها قلت في ضميري ما أشد تكييف النفس . بالأمس ما كنت أرضى تعداد أشرف الناس والاقتصار على أحاديثهم فما بالي اكفني اليوم بالنظر الى عمد السقف المحددة ؟!

وكان لهذه الحجرة أربع كوى اثنتان منها علويتان في السقف واثنتان بشكل نوافذ على الحائط الجنوبي ، ولا تتجاوز فتحة الواحدة منها الذراع الرابع فكان نورها ضئيلا يعمي البصر. والبصرة والهواء الذي يتخللها لا يكفي لحمل أنفاس السجناء ، فضلا عن حمل الابخرة المتصاعدة منها . ولو كانت فيما خفة الروح في هذا المكان القاتم كما هي في الفيل ، تعزينا بها عن ضيق عينيه . ولكن على كل حال كما تعزى بها عن ضيق عينيه . ولكن على كل حال هندسة الفيل طبيعية أصطلح الناس أن يسموها أماسها ، وأما حجرتنا فلنا الحرية والحمد لله في تقدها . ويوجد بالزاوية الشرقية الشمالية من هذه الحجرة باب يؤدي الى حجرة دعوناها ( مقصورة التواليت ) لان فيها الحمام وتوابعه ومن محاسنها ان الداخل اليها لا يحتاج الى الاثاث والرياش ولربا لان المـسين من شدة الظلام الحالـك فيها لا تستطيع ان ترى شيئا عدا أشباح الابواب الداخلية التي يضطر المرء أن يلمسها بيده تلمسا . وجرى أننا لما كنا عند المسجل رأينا ترجمانا حديثا اسمه خليل من بيت النحاس وهي أسرة مسيحية معروفة فأظهر لنا التودد والمطف ما لا ننساه وطلب اليـنا ان نكفـه بما لا بد لنا منه فكتب كل واحد منا الى أهله بطاقة طلب فيها طعاما وفراشا ولباس النوم ، فقام بالخدمة أحسن قيام ولم يتركنا تلك الليلة الا وعنده من حاجاته ما كفل له بعض

في نحو الساعة الثالثة زوالية ، فإذا هي حجرة متوسطة الانساع ، اول ما يلتفت النظر فيها الرائحة الكريهة المنبعشة منها ، وضوؤها الضئيل من نوافذها الصغيرة ، ودف عريض يحيط بها مؤلف من اوصال حقيرة مكسرة فيها ثقب وفرجات ، وقد نخرها السوس ، وهو قائم على أرجل ارتفاعها نحو منتصف قامة ، فدخلنا وقعدنا على هذا الرف واخذنا نقالب الطرف في هذه الحجرة الفرية ، وقد بهتنا وجمنا واخذت الدهشة منا كل ماخذ ، وصار كل واحد منا يخاطب نفسه ويسألها عما فعلت حتى أمسيت بجس ( الدم ) وبين جدران الحود ، افي يقظة نحن أم في الاحلام ! وهل خطر في بالنا ان نبـيت يوما من الايام مع الذين كنا نعدهم مظهرا من مظاهر الانحراف في الطبيعة الانسانية ونسعى جهدنا لدراء أخطارهم عن المجتمع ببث الدعوة لنشر التربية ومبادئ علم الصحة بين جميع الطبقات ؟ بالأمس كنا نقول : اذا أردنا تحسين النسل والخلاص من الدمامة خلقا وخلقاً فما علينا الا ان نجعل الزواج خاضعا للرقابة العلمية فما بالنا اوبنا هذا المساء الى الحجرات التي بنيت في نظر الاجتماع للدميين ؟

ولما خمدت سورة الغضب فينا وحل الهدوء محل الاشمئزاز الذي يصحب السكون النفساني عادة أصبح باستطاعتنا ان نرسم بيتنا الجديد ونذق النظر في هندسته وتزيينه وطلائه ونمتنع النفس بالاثانة وريائه ، فإذا فراش أرضه اثيرة فيها النجود والانوار وقد زاد في جرائرها وهوائها ان عين الشمس ما وجدت اليها منفذا وعين السجنان أمرت بمراقبة الداخل والخارج من الانسان فقط ، ولم تؤمر بالتعرف الى الحيوان ، وحيطانه تعلو على الارض نحو أربع قامات ، وتظهر لأول وهلة انها مطلية بطلاء رمادي أثرق ، ولكن هذا الطلاء هو في الواقع مزيج من أوساخ وافرازات ، غير أن كثرة الادهان منعت التمازج التام بينها ، فكانت ترى اللطع والاطخات ذوات الاشكال المتنوعة مما يشبه اللذنيات الى ما يشبه الاشباح



وأنشيدنا وخطبنا ترون في أنحاء القلعة مما اضطر المحافظ الافرنسي أن يحذرنا من عملنا .

أما النوم فكان على بعضنا حراما بالنظر الى تغير المحيط والتحمس والأفكار السريعة التي كانت تدور في مخيلتنا دوران السنيما ، خصوصا وقد خرجت علينا من الجدران وثقوب الدف جوش من البق استمرأت مرعانا وطابت لها دماؤنا فكاتبها عرفت ان هذه البشرية الناعمة تختلف عما تعودت عليه من البشر القاسية الخشنة فكنت تراها تنهش من لحمنا نهشا لو رآه الكولونيل كانزو ( وكيل المفوض السامي ) لطار فرحا . وغني عن البيان أن الذين لم يحفلوا ببنادق الفرنسيين لا يابهون كتسير المراثف البق ولسع البراغيث .

قمنا في الصباح على تحية الاستقلال ، وبعد هنيهة دخل علينا خدمة السجن يحملون لنا جريتنا من الخبز الاسمر ومقلى القهوة الموضوع في سطل من سطل الجنود القذرة فلم نمسسه ولم نذق طعمه بل اكتفينا بما زاد عنا من كسر الخبز وذخيرة الامس ، ثم أخذنا في التسلي والقاء الخطب وأنشاد الاناشيد الوطنية ، مما اضطر العريف الى المداخلة في الامر وتحذيرنا كما حذرنا السجناء قبله ، ولكننا قلنا له أن تلك الاناشيد فرض ديني متحتم لا بد لنا من القيام بواجبه ، فقال هذا دين جديد وعبادة مستحدثة ، اني اعرف صلاكم بالركوع والسجود ، فلم تصلون في السجن وأنتم واقفون على شكل نصف دائرة ؟ فالتحطنا له الاعذار وبيننا له ان الضرورات تبيح المحظورات ، فلم يصدق كثيرا بل نذب جاسوسا من بين السجناء واسمه عبد الله المكة سجين لجنابات شخصية بالاداب وكان من قبل موظفا ترجمانا في البعثة فأتى من الموبقات ما أرغم البعثة نفسها على جسه فوكله بتتبع حر كاتنا ووعي خطبنا .

عدنا الى اناشيدنا كالعادة ولكن مع التحفظ وزيادة الحذر ،

## الراحة . وصول عدد من المجاهدين :

وعند الغروب سمعنا صليحة الحديد وصيرير السلاسل ووقع أقدام الجنود واذ أكثر الشباب الذين حيونا في دائرة الشرطة قد دخلوا علينا فقمنا لهم نحيبهم فردوا علينا بالهتاف للاستقلال والاهازيح القومية الوطنية ، وهالك أسمائهم وهي الوجبة الاولى : الدكتور خالد الخطيب والسادة نوري الزين تاجر وموظف سابق وخالد جمعة تاجر وعبد الهادي دياب تاجر وعادل حناحت طالب صيدلة ومحمد شخاشير وتاجر وثروت الجعفري ضابط سابق وعارف الادلبي قائد أركان حرب . ثم الوجبة الثانية بعد نصف ساعة وهي من السادة : رشدي ملحق صحافي ورشدي الحكيم صحافي سابقا وموظف في البلدية وطلعت السراج والدكتور شريف الرفاعي وتوفيق القضماني وحسن الزنبركجي ضابط قائمقام وصبحي الزنبركجي تاجر وصبري البديوي وعادل شيخ الأرض صحافي وفارس شيخوخ معلم نموذج في ( البحصنة ) ياسين الخانجي تاجر وحسن الطواني تاجر وسعاد جلي طالب صيدلة ومحمود نديم الحلبي طالب و خليل خطاب تاجر وسليمان القصار تاجر وتوفيق المعني تاجر وعمر الخربوطي ومحمد طاهر العمري ومهيب المطار تاجر ومحمد عبد الوهاب ومكي العفيفي وحسن الطرايشي تاجر وعبد المحسن زين الدين ( شيخ انخل ) المجموع ٣١ ، ونحن الاربعة فيكون المجموع ٣٥ .

## الحماس والالفة والاخاء :

ولم نحصل في ذلك المساء على جميع الحاجات التي طلبناها من بيتنا ولكن على كل حال اتانا من الاكل ما اشبعنا ومن الفرش واللحف ما وسعنا عن ضيق شديد لم نشعر به كثيرا . وقد قضينا ليلة من ليالي الحظ والانشراح لا تنتسى . فكانت أصوات أهائنا

والعاطفة المنيوية الخلقية والانذفاع الموصفي والانفعال الشعوري والتذكرات المؤلمة ، ووراء ذلك قلوب استحوذت عليها كبرياء الاخلاص المتقلب لا يقوى على دفع ثوته الجامد فضلا عن المتحرك .

لا شك أننا نلوم بعضنا بعضا في حجرة السجن ولو عرض لنا الموت على تلك الحالة لقابلهنا بالبشاشة فحين . انني لا اتول هذا من قبيل الشجاعة والفخر ، بل من باب تأيد الاخلاص في الاخلاص وسبك الروح للروح والسرور واستسلام الشبهة للشبهة بحيث كانت النفس الاكثر تأثرا كالرائد الخريت يتبعها اخوانها جيشا اتجهت بالفريرة ومن غير ان تفكر .

### أخبار الاستاذ العفيفي :

ولا بد ان الذين تتبعوا احاديثنا يذكرون ان الاستاذ العفيفي كان أحد من اشعل النار بخطابه على سيارة المستر كراين عند باب المنزل واليك ما جرى معه مختصرا عن مذكراته قال :

« هبطت الشام في اوائل شهر شباط سنة ١٩٢٢ برفقة احد الاعيان الدمشقيين الذين جمعني وايامهم الصداقة في القاهرة ، ورأيت من ملازمته لي ان اخلص له الولاية في وقت ازل وايام عصيبة لا لتفقد ميسور وضياح موفور بل لوطن رهين الاحتضار وعزيم الاقتدار . حكامه مارقون واعداؤه فائقون والند الابي يرى السدل عارا والضيغ شنارا فيروقه شوك القتاد في بجوحة الحرية ، ويؤرقه ريش النعام في قصور العمودية ، هذه سننه وهذه فطرته . واني لذلك والخطب شديد والخصم عنيد والحكومة دأبها الانتقام وعيبتها عن امثالي لا تنام وقدمنا ناواتني وفي اعماق المسجون الفتني لا لجرم جنيت او ذنب سوى انني من الرغليين والوطنيين المتحررين ناهيك ما اقترفته من مطاردتي في كل آونة عندما حرمتني من وظيفتي العلمية الشريفة . واني لذلك اذ عرضت علي اسباب السفر ، فبرحت من القاهرة لا فرارا من الظلم بل جهادا في سبيل الرابطة

فكان الاخ السيد ( بلاواكم ) لعنة الله على الجسد مرتين ، وأخذ الدكتور خالد الخطيب على عاتقه الادعية بصوته الطرب والحانه العذبة ومما زاد في انقار الصنعة استماتته بآبن عمته السيد محمد شخاشير و فكان يقف في منتصف الحلقة بطوله البارز ويقف الاخوان حوا اليه كالهالة حول القمر وكلهم رافعو ايديهم الى السماء للتبرك وهم يتلون الاناشيد الوطنية ولا سيما الشيد الذي نظمه في السجن اخواني على نحن نحن لا نرضى الوصاية لا ولا نرضى الحماية . نحن اولى بالرعاية لبني العرب الكرام :

استجنونا كبلونسنا لا نبالي بالقيود

عزمننا عزم شديد للمعالي كالحديد

كم اهانونا بقول وفعل سال لا تطاق

وحشة السجن لدينا نزهة تحيي النفوس

فتحملنا الرزايا تشهد السبع الطباق

وعلى الاعداء اضحى يوما يوم عبوس

نحن للموت خلقنا فلمنت موت الكرام

وليعيش ابنساء قحطان بعسر وسلام

وكان الحماس جامعا بين الجلالة الدينية والحماسة الوطنية والافصاح عما يخالج الضمائر فكانت المشاهد المدل على الانفعالات التي تجيش في النفوس . وقد رأنا العريف الفرنسي ونحن على تلك الحال من الهيبة الرهيبة والجهد ، فلم يبد حراكا ولم يبتث بينت شقة . ولا ابالغ اذا قلت اننا في الايام التالية بلغنا من التأثير في نفسه وتنويمه بالشعور الذي كان يتدفق من ملامحنا وحرارتنا انه غير معامته معنا وشدته نحونا رغم ارادته : وهكذا نفذت الدعوة الصادقة حتى الى قلوب الاعداء واصم الصخور . واتخذ الاستاذ العفيفي على عاتقه قراء القرآن الكريم فكان يحيي النفوس بتجويده المقن وصوته المطرب ، ولم تتجل العوامل الروحية في مجلس واحد مثل مجلسنا فكانما به بركان تتفجر فيه الحمم التي صهرتها الحماسة الوطنية

الى دار الانفصالية الاكلزيرية للتعليم على جـواز السفر وعوامل النشاط والسـرور تطير بي طيران القطار . ازعمت الخروج من الدار تأهباً للسفر بعد انتظار السيد منير افندي شيخ الارض انجارا لوعدنا المضروب ولا يحضر . وما وصلت سوق الخيل القديم حتى لفت نظري جموع من الناس تروح وتعود زرافات ووحداً فأقتفيت اثرهم وتبعمت خطاهم حتى باب الفندق فقلت في نفسي كأنه هو بلا ريب اوتيل المستر كراين ، ثم تقدمت الجهمهور فعرفني بعضهم اجرد التلميح ان القوم ما اجتمعوا بشق الانفس ميثونة بالجوا سيس والارصاد الا لتكريم المستر كراين وتوديعه في ذلك الصباح قبل سفره مع بسط امنيتهم بين يديه لارتباطه بفضيتهم العادلة وصادقته للمستر ولسن ذي المبادئ العروفة ، فرأيت من الواجب ان اشترك في هذا الفرض العيني على كل عربي وشرقي . دخلت النزل مع الشهم الجسور انور بك المبكري والوافدين معه . والجمع محتشد في البهو فالتقى المستر كراين كلمته الخالصة وترجمها للمستمعين الاستاذ شهنذر الذي بعث في النفوس محبته واملا في المستقبل الزاهر . راقنتي هذه الكلمة اللطيفة حول من يناصرها وهزنتي تلك الجراحة اللطيفة بمن يعبر عن ضمائرهما في حين ان الافواه ضامرة والقلوب واجفة امام ادارة مستبدة واوامر صارمة فاشتعلت لواعج اشجاني وازدحمت خواطر وجداني ، ولست ادري كيف عصيت عزيز الصبر وكيف اندمجت في ذلك الجمع ولا عهد لي بقوانين البلاد السورية . او كيف تناسيت نصيح صديقي الذي حذرني مراراً من خوض هذا الغمار القمقام . بلى ان للمنشأ سلطاناً وان للزراعة قهرماناً .

انتهى المستر كراين من الخطابة فنزل الفندق يتسأدى كالنك بين عباب المحيط ، وتيار الناس قوي ومهيّب . وما رسخت قدماه بالسيارة حتى امسك بها الناس فانسللت من بينهم وعلوت السيارة فرفعتني الايدي امام الاشهاد فالقيت على الجمهور

الشرقية وسعياً للتفاهم بين ابناءهل ، ولا سيما بين انشاء القطنين الشقيقين المصري والسوري . فنزلت الشام بصحبة السيد المذكور فكانت علاقتي الادبية به بصفتي استاذة في البلاغة وآداب اللغة العربية واسطة عقد التعارف بكثير من خاصة الشام واعيانها . وبينما كنت اتحين الفرض السانحة لولوج باب لا مندوحة عنه وانتهاج شرعة لا بد منها تمهيداً لا جئت من اجله ان فاجاني رقيم المعارف المصرية وهذا مدلوله :

« يعود المدرس الموقوف لاسباب سياسية الى مقر وظيفته اذا اعتذر عن الاضراب والتدخل في الامور السياسية التي لا تتفق مع مهنته طبقاً لقانون الحكومة ولوائح وزارة المعارف العمومية » . ولا مـر ذي بال آثرت مفارقة الشام وفي نفسي اشياء من انسان والله المستعان .

## اليوم الاول :

وفي مساء الاربعاء الواقع في ٥ ابريل - نيسان سنة ١٩٢٢ جاعني السيد منير شيخ الارض بصحبة ابن عمه فؤاد افندي شيخ الارض وطلب الي مرافقتهما الى نـزل داماسكس بالاس كراينة المستر كراين رئيس لجنة الاستفتاء الاميركية في البلاد السورية سنة ١٩١٩ وسفير اميركا في الصين الذي زار الشام في هذه المرة لتحقيق عن نتائج مباحثاته السياسية الماضية التي بنى عليها تقريره المشهور المودع في نظارة الخارجية الاميركية في وقت ترشح فيه الامة السورية الكريمة تحت نـر العصف والخصف والاستبداد والاستعباد غير اني وعدت الاخوين المذكورين بالذهاب الى المستر كراين صباح الخميس الواقع في ٦ نيسان نظراً لضيق الوقت وللقام فانصرفنا بسلام .

## اليوم الثاني :

وما اسفر صبح اليوم الموعود حتى وجدنتي مسوقاً بكيتي

## مجموعة ثانية من المجاهدين تدخل السجن :

وفي الليل الثاني ازدادت صفوفنا بمجيء السادة الدكتور محمود بك حمودة استاذ امراض الحنجرة والاذن في المدرسة الطبية في دمشق ومن رجال الثورة المروفين والسيد سعيد الشاب التاجر الحر والوطني الصادق والسيد حسن الطرايشي الشاب التاجر الذي أبدى من الوطنية الصادقة قبل السجن وفي غضونه ومن بعده ما يسجل له بمعداد الفخر والاستاذ رشيد بك بقدونس مدير المدرسة التجهيزية ومن رجالنا المفكرين وشباب ديري اسمه بديع خضر كان معاون الحاكم السياسي في الرمادي في العراق وهو رجل مجهول الهوية وله مسائل مستعرض لذكرها فيما بعد . ويكفي ان نقول هنا ان الدركي الفرنسي الذي ادخله علينا لا حل وثاقه امامنا تظاهر بانه يريد ضربه بجمع يديه ضربا مبرحا مما لفت انظار الجميع خصوصاً بعدما فقد بجانبنا مطرقا في الارض محمور الوجنتين لا يبدي حراكا . ويوم الاحد في ٩ نيسان و ١٢ شعبان سنة ١٣٤٠ أضيف اليها السيد توفيق الحلبي صاحب جريدة الراوي ورفيقي الى العراق سنة ١٩١٥ وعبد الرحمن الطباع ومحمود المصري ، وهما رجلان مجهولان الهوية عندنا . وكان الطباع رابطا ذراعه ويظهر ألا شديدا منه ويدعي ان الشرطة أنهكته بالضرب لانه كان يستنثر الناس الى اغلاق حوائطهم . وقد حاولت ان أفحصه وافك رباطة اعلي أكتشف شيئا من أمره وان كان صادقا أخفف عنه من ألمه ولكنه امتنع امتناعا باتا ، وقد علمت ان الدكتور محمود بك حمودة تمكن من فحصه في الليل ، فرأى ان كوعه مصاب بتدن بالعظم وأن الضرب الذي يدعيه مشكوك فيه . وحسبنا من حديث هذا الشاب الذي سألته عنه فيما بعد انه لا يخرج من السجن مع من خرج طلب مني ان اعطيه شيئا من الاوراق التي أريد توزيعها في الخارج ليقوم بهذه الخدمة عن طيب خاطر فامتنعت وقلت له : ليس عندنا اوراق

## ما مكنتني الفرصة من آيات يخطر لي منها بيتان :

بين مصر ونيها والشام عهد صدق ووحدة ووثام  
وابن الشام لابن مصر نصير وابن مصر نصير اهل الشام

ثم اثرت الى وجوب الجهاد في سبيل استقلال البلاد بالطرق  
المرية . فعلا الهتاف لمصر والمصريين ولهاالي سعد باشا زغول  
بطل نهضتنا ودليل قضيتنا ، فهتفت للحرية من أعماق نفس  
مفعمة بحب سورية والعروبيين وجاهرت بسقوط الانتداب  
والمتعمرين . وما زلنا بين الهاتفين والترنمين بالاناشيد الوطنية  
والسيارة تشق مسالك الطرق والناس سكارى بخمرة الوطنية  
الصميمة ، الى ان دب ديبها في موضع مدركاتهم الحسية والمعنوية ،  
فما شعروا الا بانبعاث السيدات والاناث الزافات من أفئدة  
فتفتها مدلهمات الشجون وجوارح انطلقتها مختللات الشؤون غير  
مكترئين بما ينجم عن ذاك الانفجار الذي يعجز المفترضون عن سنده  
في شعب ناهض ثائر . سرنا والسيارة سير الهويتنا ، وما هاجني  
ورائني غير منظر سيدتين مسلمتين تطايرتا من بين الجموع واعتلتا  
السيارة بالقرب من وضعي فيها واشتركتا مع الناس في القساء  
العبارات الحماسية والترنيمات النسيجية ، ولم يعقهما عن المطالبة  
بحرية البلاد بما بعثاه في النفوس من الشجاعة والاقدام وما أوقداه  
في القلوب من الفيرة بجذوات الاضطرام سدل الضمار الذي طوته  
كطي السجل للكتب السيدة التي لها المسبق في هذا المضمار الشريف  
حرم الاستاذ شهيدندر ، ولعمري ان مثل هذه السيدة الادية في  
ميدان كهذا سهم أخيب .

هذه خلاصة ما جرى للاستاذ العفيفي منذ مساء الخميس  
ومساء الجمعة حين مجيئه للقلعة ، وكانت هيئته لا دخل تدخل  
على الاحوال التي قاساها على ايدي المتمدنين في القرن العشرين وان  
السروور الذي بدى على وجهه وقت اللقاء بنا لبرهان على الاطمئنان  
الذي شعر به بيننا بعد عزله في تلك الليلة الموحشة .

هذا اليوم ، لان السيد عثمان الشرباتي افهمها ان الموقوفين سيخرج عنهم في الساعة الثالثة بعد ظهر هذا اليوم فقلت لها ان خروجهم الان ضرب من الحال ، وغاية رجائي المتابعة على عملكم ، ومع ذلك فاني سآتي الى دار الدكتور في الساعة الثالثة لارى وعد الحكومة للشرباتي . وفي الوقت المعين ذهبت وانتظرت الى الساعة الرابعة ، فلم يأت السيد عثمان ولا غيره ، فتأكدنا كذب الحكومة كما هي عادتها ، وقد قر قراري مع الانسة نازك والسيدة شهنيد على السعي للمظاهرة ، واقتال الحوايت ، فودعتهما وخرجت من الدار ، فقابلني رئيس تحري البعثة واسمه ابو رياح فقال لي : ان مدير الشرطة يود مقابلتك ، فقلت له : وانا هيأت نفسي لقابله ايضا ، فسار بي الى مخفر الشهداء حيث تسلمني بمدوح بك العابد مغوض مخفر الشهداء ، ومن هناك جيء بي الى دائرة الشرطة حيث انتظرت المدير خالي حمدي بك الجلال .

وحين تواجدنا وتقابلت العميون قال لي على صورة الاستفهام : لماذا لم تخبرني وماذا فعلت ولم خرجت من دارك ؟ . فقلت له : ارسلت بطاقة لتقابلني في داري وقت الظهر فكنت مشغولا ، فقال : انفذت اليك رسولا يخبرك ان تأتي الي ليلا .

السيد توفيق : - نعم جاعني الرسول ولكن القصد من اجتماعي بك لاجل مصلحتك لا لاجل مصلحتي ، واني خرجت من الدار وانا على يقين من ان الشرطة ستقبض علي وتسوقي اليك ، وحين تكلمت في الجامع الاموي لم يطمعني ان خالي مدير الشرطة وهو ينجيني ويسفع بي لدى السلطة الافرنسية ، واني قادم الى دائرة الشرطة بكل سرور وارتياح .

المدير : - لم افهم كلامك واني لاجب كل المعجب من عملكم هذا فاذا كنتم على نية من امركم فاعلموني لاكون معكم ، ومن الغريب ان الشرطين وجدوا في جيب الدكتور شكرا بعشرة الاف دينار محولا

التوزيع ، لانه خا مني الشك في امره ، وارجو ان اتبين حقيقته ممن يعرفه معرفة تزيل الشبهة من نفوسنا .

### التحقيق مع توفيق الحلبي والحاقه بنسا :

كنت قد ذكرت ما قام به الاخ الحلبي في الجامع الاموي من تعريض المجتمعين على الاحتجاج واليك تمة حديثه ، قال :

«مشيت مع المتظاهرين الى اول شارع النصر حيث ركبت التراواي الى بيتي في الصالحيية في شارع الشيخ محي الدين ، وفي المساء جاعني بعض الاصحاب فأخبروني ان الحكومة قبضت على كثير من المتظاهرين وعلى الذين وجدوا في قهوة القوتلي فسرنني هذا الخبر ووطدت النفس على السجن لانال قسطا من الفخر في سبيل خدمة الامة .

وفي اليوم الثاني ما رغبت ان اخرج من داري الا بعد القيام بما أستطيع عمله لاني أصبحت على يقين من سجنني ، فبعثت والدتي الى عقيلة الدكتور شهنيد لاتدركي معها وبعد نصف ساعة جاءت وعلمت منها انها سافرت نهار الجمعة الى بيروت فلم تجد المستر كراين بل قابلت المستر نيكولي رئيس الجامعة الاميركية فأخبرها ان المستر كراين سافر الى بركي لقابلة بطريك الموازنة . وقد عادت من غير ان يشعر بسفرها احد ودعوتها الى التشجيع فيما اذا لم يخرج الاستاذ الدكتور من السجن ، وانا على يقين انه لا يخرج فرأيت نفسي بحاجة الى استمداد الشجاعة منها ، فشكرت لها حماسها ووطنيتها واندفاعها ورغبت اليها الموازنة مع الانسة نازك العابد للقيام بمظاهرة نسائية وحث التجار على اقفال حوانيتهم والاستمرار على اظهار الحركة الوطنية بمظهرها اللائق فاطهرت استعدادا تاما . وبعد ظهر ذلك اليوم جاعني الانسة نازك العابد ويدها احتجاج من قبل نساء الحاضرة سمعت هي وعقيلة الدكتور بتوقيعه . أما المظاهرة واقفال الحوايت فلم تذهب للعمل لاجلها

صراحة ان الاوامر صدرت بوجوب اكلنا من طعام المسجون : علب لحوم دواب وخبز يابس ومعجن في آن واحد وتقوع القهوة كما تقدم ، فاتخذنا قرارا بالاضراب عن الاكل والصوم على الطريقة الايرلندية الا اذا رجعت السلطة عن هذا القرار الفادح ، فتناقلت الاسن هذا الخبر في سائر انحاء المدينة فحدثت ضجة على ما تبين لنا عظمة وارثاك شديد ، فتدخل بعض كبار الموظفين في الامر ليحسنوا من السمعة القبيحة التي اكتسبوها ، فلم يفلحوا ، الا ان السلطنة ادركت فيما بعد الخطر من هذه السياسة الطائشة فرجعت عن قرارها رغم انها سمحت بدخول الطعام على جري المادة .

كان اخواننا يضعون على الدف من الطرف الشرقي ، انواع الطعام الذي كان يأتي من بيوتنا مما لد وطاب على طريقة السماط القديم ، ونزدحم عليه منا قيام حوله وقعود فنأكل اكلا شهيا بقبالية فتحت مساهمها الروح الوطنية المنفشة التي كانت تدب في اعماق الجسم فتنبعث على النشاط والحركة والحياة ، وكنسنا تقاسم طعامنا اناسا واقفين وراء الابواب الحديدية وقد مرت عليهم المشهور وهم شركاء الذئاب في اكل لحوم الدواب . ولما افرج عن افرج عنهم وبقينا لوحدنا فضلنا ان يكون طعامنا من الطعام الوطني للسيد حسن الطوراني دفعا للمشقة وبعد الطريق ، فكان ذلك باعثا لابناء الوطن على المسابقة للتقدم في تأدية الحساب والقيام بأسباب الراحة .

### النشاط السياسي داخل القلعة :

اما الاعمال السياسية التي اتينا بها في سجننا فلا يجوز اغفالها لانها اتمت الدور الذي بدائه مظاهره المستر كراين ، من ذلك ان البعثة نشرت في الجرائد يوم السبت في ٨ نيسان يانسا مضلا للحوادث التي جرت والاسباب التي دعتا للقبض علينا ، وفيه من الهفوات السياسية والمنطقية ما حملنا على كتابة رد عليه

لاسمه من المستر كراين ( وشارة الى حوالة المستر كراين لاجل تعليم السيدتين الدمشقيتين ) .

السيد توفيق : - لا علم لي بالشك انما القصد من اجتماعي بك اسماء النصح اليك ، فانت خالي ولا ارضى لك الردى ، وغاية ما استطيع ان اقوله لك ان تخدم المصلحة الوطنية .

المدير : - وضع لي اكثر من ذلك ، فاني اقسام لك باي قسم تريده اني لا اتكلم وانما اريد ان اعلم واكون على بصيرة من المستقبل . السيد توفيق : - لا استطيع ان ابوح لك باكثر مما قلت (وربما لم اكن عارفا اكثر مما يعرف ) لانني اقول لك بصراحة تامة اني لا اتق بعهدك ووعدك ، وانت من الذين لا يؤمنون بشيء حتى ينظروا باعينهم ويلمسوا بأيديهم ، واكرر نصيحتي اليك بخدمة وطنك . فوعدني بخدمة الوطنيين وانا لست واقفا من كلامه لانه من عباد القوة والوظيفة ، وبقيت في دائرة الشرطة الى اليوم الثاني ، وفي الساعة التاسعة صباحا اخبرني المدير ان وفدا مؤلفا من العلماء والوجهاء سيذهب في الساعة العاشرة الى الكولونيل كاترو ليتكلم معه بشأن الموقوفين الذين بلغ عددهم زهاء الخمسين . ثم قابلته بعهد الظاهر ففهمته منه ان الاجتماع انتج اطلاق سراح المسجونين الاربعة وانا منهم لا بد من محاكمتهم ، فطلبت منه ان يلحقني برفاقسي بسجن القلعة ، فقال : ان حالة سجن القلعة سيئة جدا ولعلي اقدر ان ابقىك في دائرة الشرطة ، فلم اقبل كلامه فتركتني وانصرف . وبعد ثلاث ساعات جاء مفوضه الخاص وذهب بي الى سجن القلعة حيث القيئت عصا النرحال وبث ناعم البال .

### طعام السجن :

اما طعامنا في السجن فكان اول الامر يطبخ في بيوتنا ، وقد علمنا فيما بعد ان السلطة حاولت منعه وحتمت على السجنان الا يسمح بدخول شيء من ذلك اليها ، والواقع ان الرئيس اخبرنا

والفخر ، وان الجلوس على دفوف السجن البالية المنخورة فسوف ارض نشاشة في خدمة الامة واعلا ، شأنها هو الجلوس على عروش الملوك في القصور الفخمة ، اني لا اريد بعروش الملوك تلك العروش الفارغة التي بنيت على جماجم المستضعفين ووضعت قوائمها من عظام المساكين بل تلك العروش التي تحملها القلوب في الصمود وترتفرف عليها ارواح الشهداء في القبور . ولكن اين هذا الكلام من البلاغة الساحرة والبساطة الخالية التي ترتفرف من فم شاب يقم بخدمة اخوانه الاربعة واسمه محمود نديم الحلبي ؟ ان روحه كلاء الرلال من الينايع العذبة ، فقد وقف بيننا باليستة البسيطة النظيفة وقال بصوت واضح : اني اشعر وانا بخدمتكم انني سعيد وما اسمع الرجل الذي اذا خدم اخاه يكون قد وضع حجرا كبيرا في بناء هذا الصرح الشامخ . ولما جاء دور الاستاذ العفيفي وقف على جري العادة فجاء الاستقلال وسقط الانتداب وبث في الناس روح الشجاعة وازال عن العيون ستار الهم .

وفي نهاية هذه الخطب كتبت على ورقة يميننا حلف بسـه الحاضرون خمسة خمسة ، وكانت غايته منه توثيق عرى الاربطة بيننا وخالصة القسم بالله والشرف ان يخدم الواحد منا وطنه حتى الرمق الاخير وان يكون خاضعا للخطط الاستقلالية التي يضعها الزعماء من ابناء هذه الامة ، وانه اذا خالفها يكون مستحقا لعنة الله والناس اجمعين .

ومما هو حري بالذكر انني بعد الانتهاء من تحليف الاخوان بهني احدهم السيد محمود نديم المذكور ، فرأيتة يبكي بالدموع الغزيرة ، ولما سألته عن سبب بكائه تنهد وقال : الاعد مسن الوطنيين ؟ فقلت له كيف لا ؟ فقال : ولم لم تحلفني ايضا كسائر اخواني ؟ فاعتذرت له عن هذا النسيان الفادح بتحلفي له على انفراد وليطيب خاطره .

مستوف للقضايا التي يجب علينا ابرازها . وعند الانتهاء منه سلمناه لسعيد افندي عبيد وخرجنا عليه ان يطبعه في بسيرت ويوزعه بالسرعة الممكنة لاننا عرفنا انه سيطلق سراحه مع كثير من الاخوان في ذلك اليوم او بعده ، ويسودنا جدا اننا لم نحفظ نسخة من هذا الرد ولا ندري حتى الساعة ما فعل الله به ، ولكن ردا اخر ظهر في المدينة دلنا على انه لم ينشر .

ومن الاعمال التي اتينا بها ارسال النشرات الى الخارج وفيها تحريض الناس على تجنب الاعمال الطائشة التي تضر بسمعتنا باعتبارنا شعبا مهذبا يشهد الحرية ويطلب الاستقلال ، وقد مسكت نشرة من هذه النشرات في بيت الاخوان ظبيان ، فاطلمت عليها البقية ورات فيها ان يكون شبابنا الناضجين على اتصال تام مع الصحف في الداخل وفي الخارج ، ولا سيما مع صحف مصر . والظاهر ان وصيتنا للشعب بان تكون اعماله مطبقة على روح العصر لم ترق في عين المستعمرين لانها تقوي مركزنا وتظهرنا بالمظهر الذي يحاولون ستره بكل ما لديهم من قوة لذلك اخفوها في المحاكم ولم يرد ذكرها ابدا .

ولما رأيت ان الافراج عن الاخوان اصبح قريبا خصوصا بعدما زارنا في السجن يوم السبت الكولونيل مفتش السجنون ، فذكر لنا ان الذين لم يثبت عليهم شيء سيخرجون في بحر هذا الاسبوع ، والذين لا بد من محاكمتهم وهم القليلون يتأخرون الى ان ينظر الديوان العربي في امرهم ، خطر لي ان اقوي معنيائهم واشجعهم على الكلام في تجاليع العامة ، فاقترحت ان يقف كل واحد منا ويلقي كلمات ارتجالية في أي موضوع يختاره او يقترح عليه فیره مدة خمس دقائق ، فقام اكثرهم بهذا العمل احسن قيام ، واذكر انهم اقترحوا على ان اقول كلمة في السجنون فقلت مشجعا : ان الاغلال في الايدي في سبيل الشرف القومي اساور من الذهب الابرون توضع في زنود على الطريقة الحديثة لا للرينة والتجمل بل للتذكار

ستار . ان الانكليز لا يدرسون مباشرة بل يتخذون لدسائسهم وسائل شائهم في سائر اعمالهم السياسية ، فتراهم في الظاهر ابرياء وهم في الباطن اصحاب الحركات والسكنات .

هذا ما قاله لنا بديع خضر الديري وكانت علائم الجد والتحفظ والتستر بادية عليه في كل كلمة ينطق بها . وكان اذا لم يخاطبه احد يقضي اكثر اوقاته مطرقا في الارض ، كانه يكر في شبيه عظيم ويتوقع خطرا مداهما من دقيقة الى اخرى . اننا لا ننكر انه خامرنا الشك في اليوم الاول من مجيئه ، ولكن الاطوار التي طرات عليه والاحوال التي اكتنفته ازالنا من نفوسنا بعض الشك ، حتى اننا صرنا نؤانس ونطمئه ونعوذ الى التخفيف عن نفسه ، وراى اخيرا ان يقوي روابط الصداقة بيننا فاعطاني واعطى السيد حسن والسيد سعيد صورته الشمسية مع بطاقة فيها ذكر وظيفته في الرمادي .

ولكننا رايه للاسف علمنا بعد حين من السادة ظبيان اخوان ان هذا الشاب ربما كان جاسوسا نقل منهم صور بعض المنشير التي وزعت في المدينة ، وظهرت مثل هذه الصورة في الدعوى التي اقيمت عليهم في الديوان العرفي ، وكذلك كان حريصا جدا ان ياخذ منهم رسالة بخط يدهما للملك فيصل والامير عبد الله فامتنعنا . وعلى ذكر بديع ارى ان اذكر رجلا اخر حامتا التهمة حوله كثيرا وهو الشيخ عبد المحسن زين العابدين الحوراني شيخ قريسة انخل ، فان هذا الرجل ليس بالعير ولا بالنفير ، ولم يدل حديثه على انه يعرف شيئا من امور السياسة التي نحن بصدددها ، ولا سألناه عن سبب الحشرة التي حشرها معنا اجاب بأنه كان له بعض علائق بشرقي الاردن ، وانه سيق الى السجن بسبب هذه العلائق ، وقد صادق الاخ حسن بك على ان الرجل كان في شرقي الاردن حقا وانه تعرف به هناك بواسطة الاستاذ الشيخ كامل القصاب ، الذي كان يسلم عليه ويؤانسه بالحديث كلما رآه ، ولكن الاخ حسن بك

## الكتكم بالاتصالات والشكوك بالجواسيس :

ثم صاروا يسألوني عن الرجل الذي يجب ان يعتمدوا عليه ويراجعوه ويستشيروه في امورهم فأثرت على بعضهم بمراجعة فلان ، وعلى بعضهم الاخر وهم الذين يوثق بهم بمراجعة فلان ، واما الذين رابني امرهم فتكتمت امامهم اشد الكتمان . وقد اثرت فيما سلف الى عبد الرحمن الطباع وما داخلي منه ، وكان حريصا كل الحرص على ان ياخذ من يدي منشورا وكلمة اضطلها ، ولكنني امتنعت كما ذكرت ذلك . وافضى بعض الاخوان اليها بكتب من اسرارهم وتعهد احدهم ان يفارق منطقة الانتداب الافرنسي سريعا لبث الدعوة الوطنية والقيام بالواجب القومي ، وكنا حريصين ان نلتقط من فم الشباب الديري العراقي ما نستطيع من اخبار البلاد التي كان فيها ، وكنا احرص على معرفة كنهه فذكر لنا انه قدم من الرمادي الى حلب لامور خاصة ادعى لنا انها سياسية ، وانه وضع في حلب تحت نفاق من المراقبة الجاهة الى المجيء السني دمشق ، حيث زار محمد باشا العصمي العراقي النفعي حليف الافرنسيين ومندوب ابن سعود في سورية ، وبعد هذه الزيارة سيق الى السجن مكيلا بالحديد كما راينا باعينا بوشاية على زعمه وشى بها احد الجواسيس ، والكتاب بخطه ضبطه الافرنسيون ، ومما زاد هذه الدعوى ترويقا انه في اليوم الثاني من سجنه اتي احسد الضباط المستعمرين فاستكتبه عشرة اسطر على عجل من كتاب عربي كان بجيبه . قال صاحبا : ان المراد من ذلك مقابلة خطي مع الكتاب الذي ضبطه ولكنهم لم يفوزوا بالفاية التي يتوخونها لانني غيرت خطي حين كتبت الاسطر كما غيرته يوم كتبت الرسالة .

ومما قاله لنا ان قبائل عنزة بامرة ابن هذال هاجمت دير الزور واحتلته منذ امد قريب ، وسوف لا يمر سنتان على هذه البلاد من غير ان يستولي عليها العراق . فسألنا عن الذي استنفر عنزة للقيام بعملها هذا فقال : فيصل الذي يدفعه الانكليز من وراء



عليهما بالسجن ، واذا عجب القارئ من سجن السجين فليسمح لي اقول له ان طرق مجازاة السجناء متعددة ، ومن اهمها سجنهم في حجرية تسمى في مصر ( بالزناينة ) وهي حجرية لا نافذة فيها فرشها الترى وحجمها القبر وطعامها الخبز والماء - اكل العلماء مع الانقطاع التام عن اخبار العالم الخارجي اللهم الا ما يسمع من صاعلة الحديد ، ولكننا مع ذلك استطعنا الوصول اليهما بتسرب المحيطان فأوصلنا لهم الطعام والشراب وسائر حاجتهما الضرورية .

### نظام السجن ووضعه الاجتماعي والصحي :

وعلى ذكر نظام السجن ارى ان اذكر شيئا مما سمعناه عن اخبار السجناء ليطالع القراء على هذا الوضع الاجتماعي السليدي بجهله اكثر الناس ، والذي لعب اصلاحه دورا مهما في تاريخ المدنية الحاضرة ، ومتى ذكر ان الغاية الشرعية من السجن هي اصلاح النفس وردّها الى حالتها الصحية الطبيعية مع دفع ضررها بعزلها عن المجتمع عرفنا شأن هذه الحالة الناقصة في كل حجرية تجمع السجناء (متزعم) وهو لسان القوم والتكلم عنهم والمدافع عن حقوقهم يسمى العريف او الجاوش ينال مقاما بينهم لشخصيته وسوابقه وشدة الحكم الذي استحقه ويجلس على فراش طينية عجمية باحدى زوايا الحجر وفوق بابه نعلية مزخرفة ويضع فيها ذخيرة من الطعام الطبخ ، وهو الامر الناهي بينهم ، واليه يرجعون في خصوصتهم ، وربما وضع لهم الدساتير التي عليهم ان يسيروا عليها من كنس ورش وتنظيف وطبخ وتحضير مائدة الاخوان ، فوظيفته الاساسية المراقبة والاشراف واسداء النصائح المؤثرة وان شئت فقل بلسان السياسة الحاضرة ( انتداب ) . لا جرم ان نزيلة الحشيش لا يجوز لاحد ان يمصها قبله ، والطعام الطيب لا يدوقه فم قبل فمه ، وهو مثل حضرات المندوبين كلامه نافذ لا يقبل الاستئناف والتمييز . يجلس في زاويته ويجلس السجناء حوليه فيقتضون النهار على عزف ( البرق ) وتدخين الحشيش

وسعيد بك كانا بمقدمة المشائمين . وقد دلت الحوادث فيما بعد على انه ربما كان جاسوسا ايضا لانه ما كاد يطلق سراحه مسن سجننا حتى اعيد الى السجن مع السادة ظبيان اخوان واعضاء حزب الحديددي حيث بقي نحو شهرين كاملين يسترق اخبارهم ، وذكروا لي انهم كانوا آخذين منه تمام الحيلة .

اني ما ذكرت اخبار هؤلاء الجواسيس الا ليكون شبابنا على حذر فلا يقعوا في الاثراك التي تنصب لهم كما نصبت لنا ، وان حركتنا القومية التي ترمي في الدرجة الاولى الى احياء مجد العرب صادفت في كل حين أعظم مقاومة من بعض الذين بمظاهرهم ولباسهم وعاداتهم اقرب الناس الى العربية الصميمة كشيخ انخل هذا ومن على شاكلته ، ومن كان في شك فليذكر الادوار التي لعبها شيخ الرولة مثلا ايام الترك والعرب وايام الفرنسيين على السواء ، ولا يوجد لباس لا يلبسه الجاسوس او طبقة من الطبقات لا يكون من اهلها ، او دين من الاديان لا يدين به ، وللدراهم جرة ان تنفذ الى اسمى القلوب في ظاهرها كما نفذت الى نفوس خونة كسان الناس الى مدة قريبة يصلون على اذيالهم ، فحذار ايها الشباب المتقد غيرة ، حذار من المظاهر ولا سيما ما كان منها مغرطا في اظهار التقوى والصالح .

ومن الاحاديث التي تداولناها بالسجن احاديث التجسس الشخصية التي مرت على كل واحد منا ، واذا كنت اني والسيد توفيق الحلبي ذكرنا لاجواننا من اخبار رحلتنا الى العراق والاطار التي لقيناها والايام العصيبة التي قضيناها قبل الوصول الى ارض السلامة ما استدعى عجبهم واستغرابهم .

وحدث في العاشر من نيسان ان السجناء دخل الى حجرتنا فوجد الدكتور خالد الخطيب والسيد ياسين الخانجي في النافذة وكان قد خطر علينا ذلك من قبل خشية اتصالنا بالخارج ، فحكم

الطلحاء السجن وخرجوا منه صلحاء ، وبالعكس طالما الصلحاء الذين زلت بهم القدم مرة في العمر فخرجوا منه طلحاء الى الابد والشاذ لا حكم له .

ومن النعم التي انعم الله بها على القلمة ، ان الحكومة العثمانية جرت اليها ماء عين الفيحة ، فاصبح السجناء يشربون من هذا المنهل المذنب بعدما كانوا تحت رحمة القفل التي كانت تملأ من مياه كيماء المر احيض . اقول ذلك بناء على ما رأيته بعيني فسان الخادم السجن الذي كان يجلب لنا المياه لشربنا كان لا يرى فرقا عظيما بين ان يملأ قنفيه من الانبوب مباشرة وبين ان يفرقها من المياه المتجمعة في البرميل تحته وكثيرا ما يفعل الطريقة الثانية لسهولتها وقرعها للتناول .

وما دامت نظرية السجنائين ان السجنون آلة للتعذيب فقط ، فمن العيب ان نصلح حال السجنون ، ومن دواعي الاسف ان السجن الافرنسي الذي يباهي بمدينته ويروي على الشرقيين مدينتهم وتريتهم ، ربما كان بهذا المعنى دون السجن الشرقي في بلادنا على اقل تقدير ، لاني رأيت من سوء معاملته واهماله بشأن النظافة الحققة كسكوته عن الخادم الذي كان يعرف لنا الماء القدر من البرميل امام عينيه ما لا يدع مجالا للشك . ورب قائل يقول ان تعذيبنا كان مقصودا بالنظر للثورة السياسية التي احدثناها في البلاد ، فاقول ان من يحرا على تعذيب خريج المدارس العالية وارباب الصناعات الفنية في سبيل الحركة لا يحجم مطلقا عن التمثيل بالجناة اذا سمحت له الفرصة . والانسان مؤلف من مشاعر محكمها الحوادث ، فمن كان حيوانا شرسا مع ابناء النور لا يكون ملكا كريما مع ابناء الظلام . وسيقرا القاريء في وقائع السادة ظبيان اخوان واعضاء حزب الحديدي من خبر التعذيب الطويل ما يكون عبرة للمعتبرين . ويرى الاستاذ حيدر ان نحو الاربعين في المائة يدخلون السجن ظلما وعدوانا لاجرام اقترعها غيرهم ، فاذا اضفنا

وسب الدين وحلف الطلاق والصلاة لله تعالى في الاوقات الخمسة حاضرا مع قراءة القرآن الكريم والادعية والتبريك ، ومنهم من يعمل مطبورة او خابئة صغيرة يضع فيها حمصة كل اسبوع او كل شهر ليعرف بها عدد الايام التي قضاه . ومن عاداتهم انه متى دخل عليهم سجين جديد استقبلوه بالترحيب ، ثم سألوه عن سبب حكمه بقولهم ( ویش حمولک ) يعني اي شيء حملك ؟ فان كان قتلا مثلا قال لهم : ( دم ) فيحيونه ، حي الله حي الله يا هلا يا هلا . وكل جنابة مهما كان نوعها من السلب والنهب تقابل بمثل هذه التحية ولا يستحي جانبها من ذكرها الا جنابتي السارقة والعمل الشنيع فان فاعلها يموت في جواربه الى ان يعرف بعد هنيئة فيقابل بالازدراء والسخرية وبكلمة ( اخسا ) .

واذا كان الجنابي الجديد من اهل المكانة والشان بين طبقة الجناة ، فان العريف يستقبله استقبالا خاصا ، ياخذ بيده الى مرتبة مؤقنا الى ان يأتيه فراشه ويخصص له موضع . وفيما سوى ذلك لا يجوز لاحد ان يجلس على فراش الآخر او يمر من فوقه ولو قمرا . والعيشة في الحجرة هي اشتراكية او ما يقارب الاشتراكية في الاكل ، فيأتي الطعام ويجلس الجميع على المائدة ، فاذا لم يأت لاحد منهم طعام باسمه فالآخرون لا يشعرون به واذا شعروا فلا يظهرون ذلك له . ومنهم من ليس له مكانة ولا يأتيه طعام فعيش بينهم مقابل الخدمة التي يقدمها لهم . واذا وجدت ان احد الاغنياء المروفين حكم عليه بالسجن لمدة قريية فانهم والعريف بمقدمتهم يطعمون فيه ولو استطاعوا لسلخوا جلده ، فالاشتراكية الشيوعية ورأس المال يتطاحتان في اعماق السجن وظلمة الحجرات . والسجناء عادة ساعتان للفسحة والريضة في صحن السجن ، ساعة في الصباح وساعة في المساء ، والقانون يحظر عليهم جلب الكيفيات ولكن دراهمهم تأتيهم بجميع انواعها من الحشيش والافيون والكو كائين الى المشروبات والكحول المختلفة ، لذلك قلما دخل

من اشرف سيدات البلاد) ، بعضهن في البيوت المجاورة بل في منعمفات العرفقات خشية مداخلة رجال الشرطة ، ومع ذلك فالقسم الاعظم تمكن من الاجتماع عند عقيلتي ، وفي نحو الساعة الثالثة زوالية خرجن في وقت واحد رغم انف المفوضين والشرطين ورجال التحري الذين كانوا يراقبون باب داري ، وصرن يهتفن للحرية والاستقلال ويحيين رجال الوطن بمناديلهن البيضاء .

منظر جديد في جلق شريحة الشرق وظاهر اجتماعي غريب في بلاد مضت عليها الاحقاب وهي ساكنة ساكنة تحذو حذو الاسباء والاجداد فكانني بحضارتها هبت الاعاصير فيها فجأة فاصبحت بحرا خضما يعب عبابه ، وتلاطم على شطوط القديم امواجه ، ولم يعد مثله مستقرا في بلاد كالقسطنطينية والقاهرة وقازان مثلا اذ تختلط فيها المدينتان الغربية والشرقية منذ عشرات السنين ، بقدر ما يعد مستقرا في هذه البلدة التي كثيرا ما وصفها الناس بانها شرقية بحقيقة المعنى المنطوي تحت هذا الوصف من الاستمرار على وتيرة واحدة في اساليب المعيش . نظر سطحي وخطا في التقدير والحساب لان جلق ايام العهد العثماني كانت بؤرة النهضة القومية . وسواها من المدن وان امتازت لكثرة معاهدها وضخامتها الا ان جهة الحياة كانت اما مذهبية طائفية او تجارية مادية ، ومثل هذا التنظيم الاجتماعي لا يولد الروح التي تشعر بوجودها وتترك التبعة الملقاة على عاتقها ، والاهلون هناك لا يزالون حتى هذه الساعة يا للأسف ينظرون الى العالم عابئين ، عالم الاسلام والنصرانية ، بدلا من عالم الشرق والغرب ، وغنى عن البيان ما في النظرة الثانية من توحيد العمل بين البوذيين والبراهمة والمسلمين والنصارى والجوس والترك والعرب والكرد الخلاص من الكابوس الذي اناخ بكله عليهم جميعا فكاد يقضي عليهم ، ولعل الاستاذ اللبناني الذي كان فسي المجالس الرسمية يسخر بداخليته سورته ويصفها بالقصور والانحطاط عن الساحل يتذكر ان في الداخل — وفي الداخل فقط — ظهرت الروح

الى هذا العدد الكبير من ليست الجنيات من طبعهم بل سيقوا الى السجن بشورة عصبية آتية او لدفاع عن شرف معنوي لا تنظر الى قيمته الشرائع والقوانين او لعداوة متأصلة ليس المحكوم عليه بادىء في احداثها . وذلك عدا الاحداث المراهقين السذي كان السجن باكورة اعمالهم الدنيوية — اذا جمعنا ذلك كله تبين لنا شأن المسجون وخطرها الاجتماعي والادبي بقطع النظر عن موقعها الصحي واعتبارها في بعض الاحايين بؤرة تنبعث منها اقبح الامراض الوبائية كالصمى النمشية مثلا .

### الانفجاس في المدينة :

لترك السجن والسجناء الآن ولننظر ما حدث في الخارج ، وهل اهل الوطن فترت عزيمتهم فكان حسنا رشاشا باردا (دوشا) اخمد حواسهم ؟ كانت ثائيتا الاخبار رغم حرص الفرنسيين على منعها بقرهم . طاقا حاجزا حوالينا ، بأن البلدة في هياج عظيم تفلي كالرجل ، ولكن لم يظهر اثر مادي لهذا الفيلان الا يوم الاثنين اذ حدثت على ما اعتقد اعظم حادثة اجتماعية في تاريخ دمشق عاصمة العرب واقدم مدينة ذكرها التاريخ .

### النشاط النسائي الوطني :

كان الباحث البسيط يظن ان السيدات يعملن عن كل روح وطنية او شعور اجتماعي حي ، اللهم الا ما كان من نوع الحماس الدنيوي بقلاب الافراط في العبادات عند بعضهن وأن معظمهن ما اخذ من المدنية العاصرة الا ازياءها من الاحذية ذات الاعقاب العالية والجوارب الحبرية الشفافة الى الالبسة القصيرة والشعور الكوزة ، ولم يكن نظر الرجال فهن يسمو عن هذا الاعتبار كثير ابجيث كن عند اكثرهم من متاع الدنيا .

في يوم الاثنين حدث ما غير هذه النظرة وقلها راسا على عقب اذ تجمع في عروس ( وهو الحي الذي تقطنه سبعون انسة وعقيلة

وتحول دون مرور أحد ، فلما وصل الى هذه النقطة اضطر من  
الشرطيون بالقوة الى التفرق . وهكذا انتهت هذه المظاهرة الفذة  
في البلاد العربية كما ابتدأت بنشر الناديل البيضاء في الهواء والهتاف  
للبلاد وشبابها المناهضين .

اما البلدة فتتها لما بلغها أخبار السيدات وما قمن به من الاعمال  
التي تزري بأعمال الرجال دب الحماس في جميع طبقاتها ، فرأوا  
احسن فرصة لبدء العواطف الوطنية التي افتدتها ، وللإحترام  
الذي يجدونه نحو رجالهم ، فأغلقوا حواشيتهم ومخازنهم بحيث  
أصبحت المدينة في لحج البحر من أقصاها الى أقصاها مضربة  
احتجاجا على العمل الجنائي الذي أقدم عليه القومندان اولا بوس  
ومن نحا نحوه من طائفتي المستعمرين الذين كانوا حتى تلك الايام  
يعتقدون ان عاصمة البلاد العربية بعد نقطة الاستقلال مدة سنتين  
عادت الى نومها العميق واهلامها اللذيذة بمعاولية وهشام وعمر  
ابن عبد العزيز والرشيد وزبيدة وابو نواس وسائر المناظر في الان  
ليلة . وليلة كلها اخذت تمر على النائمين من السحاب !!! ولكن فات  
هؤلاء المستعمرين ان الامم التي لا ماضي لها يستحق الحلسم لا  
مستقبل لها يستوجب الاحترام ، الماضي كنز مدفون والمستقبل  
عزام يستخرجه والاجداد شجرة السطور والاحفاد مر سسائها  
الكليم يستمد منها نشوة والهاما ، ولا شك ان الروح التي بسطت  
سلطانها من البحر الى البحر في ظرف اربعين سنة وحاربت سلف  
المستعمرين في عقر دارهم لا تتلاشى وتذهب مع الرياح ، بل على  
الاحفاد لاستعادة المجد الفابر ان يلبسوها حلة زاهية من عمل  
الصناعات الحاضرة مزركشة بالفن والادب .

### الاتصال بالوطنيين خارج السجن :

كان اتصالنا بالخارج بفضون هذه المدة سهلا بواسطة  
المستخدمين من السجناء وبواسطة الوطنيين من رجال الدرك

الوطنية الخالية من شوائب التعصب البارد والسجج العالق باذنان  
القرون الوسطى .

سارت السيدات من هناك الى القنصلية الاميركية حيث  
احتججن على العمل الثائن الذي ارتكبه المستعمرون اللطائون ، ومن  
موجبات الاسف انهن لم يجتمعن بالقنصل نفسه ، فذهبن توا الى  
القنصلية الإيطالية هتفن للاستقلال واحتججن ايضا ، ومنها للقنصلية  
البريطانية وكن اثناء الطريق محطات برجال الشرطة من كل جانب  
خشية اضرار نار الثورة في الرجال .

لم يكن القنصل البريطاني في داره ، لذلك بعد ان وقفن على  
باب القنصلية بضع دقائق ملن الى جهة المناخية منها سررن في طريق  
باب القامة ، ولكن الحكومة هنا اتخذت أشد الاحتياطات لان هذا  
الطريق يؤدي الى سوق الحميدية اعظم شارع في دمشق ، فارسلت  
الجنود من كل حذب وروب وسدت جميع الطرقات والمنافسد ،  
واصطفت السيارات المصفحة عند المرف المشرابي القديم ، والديابات  
بسوق الحميدية ، ولكن السيدات مع ذلك حاولن بكل جهد المرور ،  
فوقف الضباط الافرنسيون حائلا دون ذلك ، وهنا جرت ملحمة  
بين سيدة واحد الضباط ، فصاحت في وجهه صيحة ادبت الرعب في  
قلبه والحماس في احد المشاهدين ، فاسل هذا مدية من جيبه وحاول  
طعنه بها ، ولكن الشرطيين تتدخلوا في الامر وامتنع هو برعويته  
الابرانية ، ولا ادري الان ماذا جرى له بعد ذلك .

رجع السيدات بالطريق الذي اتين منه وهن يهفن للحرية  
والاستقلال وللسجناء ، وما زلن بهذا الحماس والناس يتبعن  
خطواتهن والشرطيون يحيطون بهن من كل جانب ، حتى ضاقتوا  
بهن ذرعا وحاروا في الامر ، واخيرا لما عرفوا انهن سائرات الى  
المصالحية بطريق سوق ساروجة أوعروا الى السيارات الاميرية  
وغيرها من السيارات أن تعترض الطريق امام المستشفى العسكري ،

تقترب من الباب نروح النفس بما يهب علينا من الحجرة المقدسية  
من النسيم الذي صرنا نعهده عليـسلا وان حمل بين طياته روايح  
الحشيش ودخان النراجيل ولفائف التبغ وابخرة المسجونين .

### طريقة جديدة لتبادل الرسائل :

ولكن عشنا حاول الفرنسيون بترنا عن الخارج؛ فالسيد المشار  
اليه وجد من استأمنه الخدمة ، فكان يرسل لنا بواسطته كل ما  
يستطيع من الاخبار ، واذكر اننا حصلنا بهذا الطريق على عدة  
رسائل من عادل بك المعظم وحسن افندي الطرابيشي والسيد  
عثمان الشرباتي ، حتى انهم ذكروا لنا ان نطلب ان تكون محاكمتنا  
علنية وان يحضرها قناصل الدول بدعوة من المحامين عنا .  
والظاهر ان الفرنسيين احسوا ان جبل الاتصال بالخارج لم ينصرم  
مع كل الاحتياطات التي اتخذوها فزادوا بالتشديد ، وكامل بك  
زاد في الجبل الى ان اخترع طريقة مبتكرة لم يسبق لها مثيل على  
ما نعلم ، وهي انه اتفق مع الخادم المستأمن ( باطلاع منا ) على قطع  
النور الكهربي عن جميع المسجونين في الساعة العاشرة ليلا بواسطة  
الزر الكهربي الموجود بالقرب من حجرته ، حتى اذا استولى الظلام  
امره ان يقدف من النافذة الجنوبية الرسائل التي عنده وان يقدف  
له في تلك الغضون الى حصن القلعة الرسائل التي عندنا واللاحضات  
التي كنا بحاجة الى ابلاغها لاصحابنا ، وقد نجحت هذه الحيلة اتم  
النجاح امام أعين السجناءين الافرنسيين الذين اتخذنا لهم من ظلمة  
الليل حجابا كثيفا سترنا به عملنا واذ عد البعض الليل كافرا للظلمة  
التي يستتر بها فاني اعد كفره في تلك الليالي ايماننا كاملا .

حينما ينطفئ النور في الظلام الدامس كان كل واحد منا يلازم  
مكانه وبعد هنيهة كان يسمع وقع الاقدام الخفيفة ، فيعقبها  
حفيف الرسالة المقدوفة ثم همس ، فيتسلق احدنا الجدار الى  
النافذة فيقتطف الرسالة التي معه فيعود الرسول بها ، وهكذا

ضباطا كانوا ام افراد واخص بالذكر منهم (١) . . . .  
فكانوا اذا تعذر اتصالهم بنا ، يأتوننا من الكوة على السطح  
فليقون اليـنا بالاخبار والرسائل التي يحملونها ، ويتناولون بخيط  
مدلي الرسائل التي نجيب بها ، ومما نذكره مع الشكر الخالص ما  
قام به الشريف الحلبي المعتقل في حصن القلعة الخارجي في هذا  
الاباء ، فقد كان عقدة الاتصال بيننا وبين ابناء الوطن ، وانني الى  
الان لم ازوجه هذا الشهم ، ولكن عرفت من قبل انه محكوم عليه  
بالاعتقال مع البطل الشهير الذي ازعج المستعمرين كثيرا ( يعني  
بالبطل ابراهيم بك هنانو والثاني كامل بك ) . .

### الافراج عن معظم الموقوفين :

وفي مساء الاثنين في ١٥ نيسان سنة ١٩٢٢ ، خرج اربعة من  
الموقوفين ، وفي اليوم الثاني اخرج الباقيون زمرا زمرا ، بحيث لم  
يبق حتى الليل احد من السجناء غيرنا نحن السبعة : الدكتور  
شهبندر حسن بك الحكيم سعيد بك حيدر منيسر افندي شيخ  
الارض السيد العفيفي خالد بك الخطيب وتوفيق افندي الحلبي .  
وقد لاحظنا شدة في منع الاختلاط لم يسبق له نظير في معاملتنا بعد  
خروج اخواننا ، فأتى الرئيس الافرنسي ومعه افراد من الدرك  
المختلط فسدوا النافذتين العلويتين في السقف ، فأصبحت الحجرة  
اشد ظلمة والرائحة الكريهة المحصورة فيها لا تحتمل ، وحقا انها  
الان قبر الاحياء فنور الشمس اصبح نيمنا نتهساداه مهاداة لان  
الاشعة الضئيلة التي كانت تدخل علينا من احدى النافذتين  
الصغيرتين الباقيتين نحتسبها فنمرها على ايدينا وجوهنا ولو  
استطعنا لخبانا منها في جيوبنا للمساء ما يدفع عشوته ، واخذنا

(١) لم يدون الشهبندر أي اسم في النص المحفوظ من  
مذكراته بخط يده .  
الناشر

كما يقول المثل العامي ( كالأطرش في الرقعة ) لا نعرف مما حولنا الا ما أمله الخيلة وقوة التكهّن من حدوث ثورة في المدينة اندفست لسان الهيكل الى السجن ، فحدث ما حدث وأنا لكذلك في تكهننا اذ دخل علينا العريف فشهّر مسدسه وصاح بصوت مرتجف : من تحرك منكم من مكانه فأنا ذابحه من غير ادنى توقف ! فلم نجبه بحرف واحد وكانت نتيجة الثورة في السجن جرح ثلاثة او اربعة من السجناء جروحا بالغة واحدهم فقد احدى عينيه .

### مظاهرات الطلاب واستشهاد بعضهم :

وقد علمنا في المساء من مراسلة السيد شريف ابو علي ان تلاميذ المدرسة السلطانية ومدرسة ملك الظاهر ومدرسة التجيز قاموا بمظاهرة عظيمة في البلدة احدثت هياجاً بين الاهلين واضطربا لم يسبق له مثيل ، لان الحكومة اقدمت على القبض على بعض هؤلاء التلاميذ والرج بهم في دائرة الشرطة فادى هذا العمل الى هجوم اهل الوطن على الدائرة نفسها لانقاذهم فقتل بسبب ذلك السيد عيسى شموط من الميدان الوقائي وعمره ١٨ سنة وبدر الدين عرار من الحي المذكور وعمره عشرون سنة واخرون من قبر عاتكه وجرح نحو الستة جروحا بالغة ، وبقيت المدينة مقفلة كسايوم السابق .

ان هذه الدماء البريئة مضافة الى دماء الشهداء الذين بذلوا نفوسهم من قبل في سبيل القضية العربية هي شاهد ناطق بالحق الصريح الذي لنا ودعوة صريحة تسمو بنا الى مصاف الامم الحرة ، لان الشعب الذي ليس لديه من ابناءه من يذل النفس في الخطر المهد لهم الذي يهد كيان الامة لا يحق له التربع على اريكة الاستقلال ، سنذكر هذه الدماء كما ذكرت دماء ابطال سنة ١٩١٥ وسنة ١٩١٦ وستسج عليها عقيلات سورية بالخيوط الذهبية روايات البطولة العربية ونبغها للابناء والاحفاد في اليوم الذي تباهي الامم بتالدها

تنتهي الرواية في بضع دقائق والعريف الافرنسي على كرسيه غير شاعر بما حدث حوله وفي حجرته .

ولا ننكر اننا بعد الافراج عن اخواننا شعرنا بشيء من الوحشة خصوصاً بعد انقطاع الجرائد عنا والتشديد في الحجز علينا ، ومع ذلك فقد صح قول شاعرنا العربي :

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلاً وبأنيك بالاجبار من لم تزود

اذ تيسر لنا فرد من افراد الدرك اسمه ( . . . ) كان يحمل لنا شيئاً من اخبار اعدائنا وحالة بلادنا ، وكان هذا الدركي كما علمنا من بطاقة تركها لنا بخطه على اتصال بالسيد ( . . . ) ولج بطرف من اخبار الوطنيين ، والظاهر انه مخالف لحكومته ولا يرى رأيها في الاستعمار ، ولم نر عليه اقل علاقة تدل على طمع في مال او في جاه او اسداء مساعدة ، ومما يسجل له مع الشكر انه الوحيد الذي نبهنا الى موعد محاكمتنا وذلك قبل حدوثه بثلاثة ايام ، فآزال عنا بهذا العمل عناء شديداً كما سيرى القارئ في التريب المساجل .

ولم تختلف حياتنا بعد خروج اخواننا كثيراً لا كنا عليه معهم ، فكنا نشهد الاناشيد كالعادة ، ونقرأ ما يصل الى ايدينا من الاخبار بشوق ولهف ، وجرّت حادثة يوم الثلاثاء في الحادي عشر من الشهر حرية بالتدوين ، وهي اننا كنا نتحدث في عصمانري ذلك اليوم اذ سمعنا من بعد صوتاً يشبه الطلق الناري ، قمنا وصرنا كلنا آذاناً ، وبعد هنيهة سمعنا طلقين آخرين ، ثم اخذ اطلاق النار يشتد وباشتداد هبت عاصفة في القلعة في رؤوس السجناء ، كسرت الابواب الحديدية ودكت بعض الجيطان ، واخذت القوضاء تملأ الفضاء ، والصراخ في جميع الزوايا يعم الاذان ، ولا يفهم منه الا بعض عبارات التهديد ، فملا عليهم السجناءون البنادق واخذوا في اطلاقها ، فاختلط عويل الجرحى بوعيد العصاة ، ونحن في ذلك

العامّة ويسيء الى سمعة القائمين بها . وكثيرا ما كنا نحمل على الثورات التي حدثت في الماضي فادت الى فرار السجناء كما حدث عقيب الانقلاب العثماني في اواخر الحكومة العربية .

### نبيلنا التهم الموجّهة اليها :

وفي مساء السبت نحو الساعة السادسة انى ضابط افرنسي بلحية شتراء هو كاتب الضبط في الديوان العسكري يحمل أوراقا ، ومعه ترجمان دمشقي ، وأخذ ينادي كل واحد منا على حدة ويلفه التهمة الموجهة ضده . وقد قرأت في وجه بعض الاخوان الذين سبقوني بالاطلاع على التهمة علائم الاضطراب الهادي ، فأطرقوا في الارض وخاضوا في بحر من الافكار لا يلتفتون الى احد ، فلما جاء دوري والقي الضابط على مسامعي التهمة الموجهة ضدي وناولني اياها مكتوبة بخط سقيم تأملت فيها فاذا فيها المवाद الجزائية التي يقتضيها الحكم ، فطلبت اليه ان يقرأها لي لاتفهم معناها ، فقرأها فلم أجد فيها ما يدعو الى ذلك الاضطراب ، والظاهر أن اقتصاره على ذكر التهمة فقط للاخوان الذين سبقوني - وهي تهمة جزاؤها الاعدام في القانون العثماني - اوجب هذا القلق الطبعي الذي يشعر بمثله كل انسان اكتنفته الاسرار كما اكتنفتنا .

عدت اليهم فأوردت لهم شيئا من معاني الجمل التي سمعتها ، ثم فتحت ورقة الاتهام واخذت في ترجمتها حرفيا بمعونة أحد الاخوان المطالعين على الاصطلاحات القانونية الاستاذ سعيد بك حيدر وهذه هي بنصها وفصها :

### نص المذكرة الاتهامية بحقي :

### الجمهورية الفرنسية

رقم ٩٦٤ المحكمة العسكرية : مذكرة اتهام احضائية

ديوان المحكمة العسكرية لمقاطعة دمشق - جلسة في دمشق :

وطريفها ما قدمت في سبيل الجلع من النفس والنفيس .  
**الحكومة تعلن الاحكام العرفية والشعب يفلق حوائيه :**

ولما رات السلطات الفرنسية الخطر الداهم ، اتخذت كل انواع الحيلة فاعلنت الدائرة العرفية ، ومنعت خروج الناس الى الطرق من بعد الساعة السادسة مساء ، واورزت الى الحكومة الوطنية ان تنشر في الجرائد المحلية ان كل من لا يفتح حالوته يفرم بثلاثين ليرة سورية ، ولكن لم يلتفت احد من الاهليين الى هذا الاعلان البارد بل داومت المدينة على الاعلاق يوم الاربعاء ايضا .

ويوم الاربعاء صباحا بلغنا ان احد ابناء الوطن بينما كان مارا في الليلة الماضية في سوق مدحت باشا ، صاح فيه الجنود السنغاليون ان يقف ، وكان اصم لا يسمع كلامهم ، فما كان منهم الا ان اطلقوا عليه النار فأردوه صريعا يتخرج بدمه ، فبلغ هذا الخبر مبلغا اثر فينا . فمقعدنا حفلة تأبين ذكرنا فيها شهداء الوطن بقصد ام بغير قصد من الشأن في رفع كلمة الامّة ، ومن الغريب اننا ونحن في دمشق لم يبلغنا خبر عن الشهداء غير هذا الخبر فكان السلطة اخفت سائر الاسماء سترًا لجرائمها وتهدئة للافكار .

والان وقد مضى علينا نحو اسبوع في السجن من غير ان نخرج للهواء الطلق ونور الشمس ، فان انفسنا اخذت تشعر بشيء من الضيق ، ومع ان الرئيس الافرنسي ابلغنا رسميا يوم الاثنين الماضي ان البعثة سمحت لنا بتناول طعامنا في بيوتنا والخروج الى صحن القلعة مرتين في اليوم ، فان الشطر الثاني من هذا السماح لم ينفذ ابدا . والظاهر ان الافرنسيين اعتقدوا ان لنا ضلما في الثورة التي حصلت في السجن ، وهم ليسوا بعيدين عن الصواب اذا كان المقصود بهذا الضلع الخطاب التي تلوناها والانشيد التي انشدناها ، واما اننا اتصلنا بهم مباشرة فهذا خطأ لان كل واحد كان يعتقد ان ربط القضية الوطنية بالاشقياء عمل يضر بالصلحة

١٩١٦ المتعلق بالادارة العرفية . وذلك كما يأتي :

قانون الجزاء المادة ( ١٧ ) : الحكم بالنفي يكون بالجلاء عن البلاد والسكن الدائم بأراضي يعينها القانون بعيدة عن أراضي الجمهورية في أوروبا وإذا عاد المنفي الى أراضي الجمهورية فيزداد حكمه بالإشغال الشاقة الدائمة ، وأما المنفي الذي لا يدخل أراضي الجمهورية بل يقبض عليه في الأراضي التي تحتلها الجيوش الفرنسية فإنه يعاد الى منفاه السابق .

المادة ( ٨٧ ) من قانون الجزاء : — المؤامرة التي من شأنها تدمير الحكومة وقلبها يجازى صاحبها بالنفي .

المادة ( ٢٤ و ٨٢ ) من قانون ٢٩ تموز سنة ١٨٨١ كما يأتي : ان الذين يرضون على ارتكاب الجرائم المذكورة في المادة ١٧ وعلى الاخلال بالامن العام كما في المادة ٨١ يجازون بالسجن أحيانا من سنة واحدة الى خمس سنوات وجزاء تقدي من ١٠٠ الى ٢٠٠ فرنك .

المادة ( ٦٧ ) من قانون الجزاء العسكري : — للمحاكم العسكرية السلطة التامة بأن تحكم بموجب القوانين الجزائية العادية في كل الجرائم .

قانون ٩ أغسطس سنة ١٨٤٩ مادته الثامنة المعدلة لقانون ٢٢ نيسان سنة ١٩١٩ : في المقاطعات التي تعلن فيها الادارة العرفية للسلطة العسكرية الحق في الخطر الواقع الناشيء عن الحرب الاجنبية أن تقبض على المتهمين الاصليين للجرائم المذكورة في المادة ( ٨٧ و ٨٩ ) من قانون الجزاء وعلى المشتركين بمعرفتها مهما كان نوعهم .

والشهود على المتهم هم :  
١ — الملازم أوليف من البعثة الافرنسية . ٢ — الضابط

في الساعة الثامنة من اليوم الخامس عشر من شهر نيسان سنة ١٩٢٢ .

نحن الرئيس بوزانية المدعي العام لدى المحكمة العسكرية لأراضي دمشق ندعو عبد الرحمن شهنندر دكتور من أطباء دمشق من الجنسية السورية بواسطة هذه المذكورة الاتهامية الموجهة ضده للحضور الى المحكمة العسكرية المتقدم ذكرها ، والتي هي تحت ادارة الكولونيل قائد الجيش في حكومة دمشق في الساعة السابعة من صباح الثامن عشر من شهر نيسان سنة ١٩٢٢ ، وذلك لاجل محاكمته على الاعمال المتهم بها وهي :

اولا : مؤامرة غايتها تغيير شكل الحكومة يتبعها عمل ارتكب او بوشر به تمهيدا للتنفيذ .

ثانيا : التحريض على مؤامرة غايتها تغيير شكل الحكومة مع اسباب مشددة نشأت عن أن المؤامرة اتبعت بعمل ارتكب او بوشر به تمهيدا لتنفيذها .

١ — حصل في الشام من ٤ نيسان الى ١١ منه سنة ١٩٢٢ بواسطة اجتماع مع أكثر من شخصين على قرار لعمل مشترك بقلب الحكومة المؤسسة في دمشق ، وأن المؤامرة اعقبها عمل ارتكب او بوشر به تمهيدا للتنفيذ .

٢ — لتحريض الشعب في نفس هذه الظروف في زمان ومكان وبواسطة خطب القيت في المحال العامة وبواسطة منشورات وزعت على ارتكاب جناية المؤامرة وأن هذا التحريض اعقبه اثر .

وهما عملان نسب اليه وحكهما الجزاء بحسب المادة ( ٢١٧ و ٨٧ و ٨٩ ) من قانون الجزاء والمادة ( ٢٤ و ٣٢ ) من دستور ٢٩ تموز سنة ١٨٨١ والمادة ( ٢٢٦٧ ) من قانون الجزاء العسكري والمادة ( ٨ ) من دستور سنة ١٨١٩ معدلة بقانون ٢٧ نيسان سنة



بد لنا من مرشد حكيم ( أو ام رؤوم يقول الاصطلاح الاستعماري ) يعلمنا ايها . ومن الغريب ان موظفا في البعثة بدمشق يقول لمراسل المقطم أنه لو لا ما حدث في السجن بعد التوقيف لكان الجزاء بسيطا لا يؤبه له ، فبارك الله بهذا البسيط الذي بدا فائحة اعماله بالسلارسل والاغلال ، وحمدنا الله أنه لم يكن مركبا لان الجرم المركب والجنانية الفظيعة كان لحسن الحظ من عمل العالائين الذين نصبوا ذقونهم على مقاعد الحكم منذ اواخر تموز يوليو سنة ١٩٢٠ وجمعوا حولهم زمرة من الجواسيس المحتالين وحالة من الوظائف الخائنين فأصبح كل منهم آلة للضحك والسخرية . المستعمرون يسخرون الاذئاب نفعا لغاياتهم وأوطارهم الذاتية الدنيئة ، والاذئاب يضلون ساداتهم فيهبطون بهم الى الهاوية ويدون بهم الى مسارح الروايات الهزلية .

### تعيين محامين وطنيين للدفاع عنا :

قرنا في المساء تعيين محامين وطنيين عنا ، ولم يامن احد منا الى المحامين الذين عينتهم السلطة التي لفقت علينا هسلنا النزوير العيب ، فوقع اختيارنا على السادة والاساندة جلال بك وزير العدلية في الحكومة الوطنية وفارس بك وزير المالية والياس بك نمور وسعيد افندي محاسن وحسن افندي الخطيب وسعيد افندي الفزي . فارسلنا اليهم بواسطة السجان رسالة ليوажونا حالا ، واخبرنا المحكمة العسكرية اننا انتخبناهم ليدافعوا عنا وطلبنا اليهم أن تسمح لنا بانتخاب ترجمان قدير في اللغتين العربية والفرنسية . فكان جوابها بقبول المحامين ورد الترجمان اعتمادا على ترجمانها الذي ارتبك يوم محاكمتنا ارتباكا شديدا ولم يستطع تأدية المعاني التي بسطناها كما سيراه القارئ في جينه . أمسا نحن فكنا نفضل ان يكون ترجماننا أحد ثلاثة جميل بك سرودم بك او حليم بك حروفش او عارف بك النكدي .

الترجمان سينا ٣٠ - الرئيس مويو سان عن الانشاءات . ٤ - مفوض الشرطة حسن أفندي المأمون ٥٠ - مفوض الشرطة مهدوح بك العابد ٦٠ - مفوض الشرطة صبحي أفندي ٧٠ - مفوض الشرطة محي الدين أفندي ٨٠ - الشرطي عبدو أفندي البخاري رقم (٩) . الشرطي رقم ١٠٢ محي الدين أفندي ١٠٠ - الشرطي رقم ٢٣٨ وعارف أفندي (٢٢٣) ١١٠ - الشرطي رقم (٢٦٦) حسني أفندي . وقد عيننا الملازم من الجيش المختلط بدمشق محاميا عنه وأعلنا أن له الحق دائما أن ينتخب واحدا حتى ابداء المحاكمة .

### الامضاء : المدعي العام : بوانييه

\* \* \*

### تعليق على المذكرة :

يرى القارئ من هذه المذكرة الاتهامية كيف تطورت مسائلنا ودخلت في أدوار من النشوء والترقي التي يلذ تتبعها ، فكانت في بدايتها جرما عاديا دفع الحكومة الوطنية الى مجازاته بحسب قانون التجميع العثماني فلم تغلج ، ثم أصبح مؤامرة على تغيير شكل الحكومة ، ثم اكتسبت شكل الاسباب الشددة بالنظر الى محاولة التغيير على زعم الفرنسيين . فهل يشك احد بعد هذه بنظرية النشوء والترقي ؟!

أوقفنا الحكومة في عصارى الخميس في السادس من نيسان فأصبحتنا منذ تلك الساعة تحت اشرافها وتصرفها ونطاقها الحاجز ، فليت شعري هل تمتد جمعنا وطال كما تمتد الاجسام بارترفاع الشمس وتزايد الحرارة وطول النهار حتى صار شاملا ما قبل التوقيف وبعده الى نهاية الحادي عشر من الشهر المذكور ؟ هذه حكمة في القانون تعجز افهامنا معاشر الشرقيين عن ادراكها ، فلا

ثم انني سألت الياس بك عن المحاكمة هل يطول أمورها ؟ فقال :  
جرت العادة في الديوان المرفي الافرنسي في مثل هذه المسائل  
الثابتة عندهم ، ان يتوا في أمورها في يوم واحد بل في جلسة واحدة  
ان امكن ، وان اقتضى الحال في بعض الاحيان ان لا يذهبوا الى  
الفداء ، وربما اذا اضطر احد الاعضاء الى قضاء حاجته ابعدوا رجل  
ينتظر الى ان ينتهي فيعود به الى الجلسة خشية ضياع الوقت .  
ودعنا الاساندة على أمل ان يضمنوا مشتركين صورة المدافعة .

### المحاكمة تختار ثلاثة افرنسيين للدفاع عنا :

وفي المساء دخل علينا ثلاثة من الشبان الافرنسيين بزرهم  
المسكرية ففهمنا انهم ضباط في الجيش المختلط الذين عينتهم  
المحاكمة للدفاع عنا .

ان حديثهم اللطيف وحر كاتهم الهادئة الانيسة والبستههم  
النظيفة والاحترام البادي على وجوههم ، كل ذلك دلنا على انسا  
نخاطب الان اناسا ذاقوا من التهذيب واصابوا من المدنية نصيبا حال  
دون الفطرسة التي تبدو عادة على المستعمرين في بلاد الشرق ،  
وفهمنا منهم انهم من تلاميذ الحقوق في فرنسة لم يحصلوا على  
شهادتهم بعد وانهم يدرسون الان في المدرسة الحربية .

ذكروا انهم طالعوا اوراقنا واحاطوا بوجهة نظر المدعي العام ،  
وانهم اتوا الينا ليطالعوا على رايانا ويلموا بقضيتنا ، فذكرنا لهم  
تنصينا للاساندة السابقين بالنظر لمرقتنا بهم ، فعدرونا على  
ذلك ، ثم اخذنا نقص عليهم ما جرى ونبين لهم الخطيئات المتسلسلة  
التي ارتكبتها السلطة وآخرها هذا التزوير الذي اقدمت عليه  
فاظهروا تفاهلا عظيما واجمعوا على ان الحكم لن يكون خطرا .  
ونصحنني اللازم له (leme) المدافع عني كما نصح سائر الاخوان  
ان نبين للمحاكمة الضيق الاقتصادي المستحوز على البلاد وأنه  
هو السبب في هذا المعجز الذي بدا على الوجوه ثم ودعونا وانصرفوا

ويوم الاحد قرب الزوال دخل علينا الاساندة جلال بسك  
وفارس بك والياس بك ، واخبرونا انهم كانوا في المحاكمة العسكرية  
منذ الصباح ، فاطلموا على المدعى من اولها الى آخرها ، وعرفوا  
دخائلها وهم يخشون ان تكون مفعمة بتزوير الشرطة وتلفيق  
المفوضين فيما ذكره انه صورة اوراق تدعي انها خرجت من  
السجن فيها استفزاز الامة الى الثورة وخلع نير الاستعمار ، فآظهرونا  
بطلانها ، وكان الياس بك خلاف رقيقه تظهر عليه علائم التشاؤم  
ولم يخف ما كان يساوره من الهموم والشكوك ، ولا سألناه لم لم  
تؤخذ للاستئناف ؟ قال : تعتبر السلطة ان التقارير التي حصلت  
عليها من الشرطة ورجال التحري كافية لتجريمكم ، ومنذ عرفت  
انها وحدت الحوادث التي جرت قبل السجن وبعده تأكدت ان  
نيتها سيئة ، والا لكان الامر هينا لا يؤبه له ، فسألناهم : وما هي  
هذه الحوادث الموحدة ؟ فذكروا الاجتماعات التي عقدناها للمستمر  
كر اين والمظاهرات التي قمنا بها والدعوة الى العصيان التي اثرنا  
ثاثرتها بالسجن ثم التفتوا وقالوا : اي مسلك ستسلكون في الدفاع سلوك  
اللائنة والاعتدال أم السلوك الذي يلثم مع غايكم قتلنا : سلوك  
الحق والواجب .

ولم ينفك فارس بك وجلال بك من القول بان الحكم علينا  
لا يتجاوز الشهر بالنظر للايضاحات التي أوضحنها ، وأما الياس  
بك نمور فبقي على تشاؤمه ، وظهر لنا من حديثه انه زار القوماندان  
أولا بوس خصيصا لهذا الغرض فعرف منه الشر الذي تضمنه  
السلطة الاستعمارية لنا .

قد يكون الحكم اشتدت صرامته بعد حركات السجن ، ولكن  
المؤكد عندي ان علائم الشر ابتدأت منذ وضع الاغلال بأيدينا في  
دائرة الشرطة ، والتزوير علينا بالوامرة لتفسير شكل الحكومة ،  
حتى ان شرطي التحري الذي وقف ببائي ينتظرني عرف انني  
سأنفي مع اخواني .

على امل اللقاء في صباح الثلاثاء في المحاكمة .  
**المسيو بيجان يحقق معي :**

وقد صبح قول الاستاذ نور فيما ادعته السلطة من الاعتقاد الكاذب بان التهمة لاصقة فلا حاجة لاستجوابنا لو لا انها ارسلت الي قبل اخلاء سبيل الذين اخلي سبيلهم المسيوييجان مستشار الشرطة ليستجوبني عن حوالة المستر كراين التي ذكرتها سابقا . انفاالي يوم الاحد قرب الغروب فاجتمعت به في الغرفة التي نسجلت فيها هويتنا في اليوم الاول من سجننا ، فاخذ يسألني خطيا لم اعطاني المستر كراين هذه الحوالة وما هي غايته منها ؟ فاجبته بالاختصار كما يأتي : ان المستر كراين لما زار دمشق في هذا العهد ، سألني : هل يوجد في نساكنكم معاشر السوريين من تضارع في علمها الكتابية التركية خالدة اديب خانم ؟ فقلت لا ، فقال اني مسرور ان اخبرك انها تخرجت في مدرستي في الاستانة ولي ضلع كبير في حثها على العلم وقد علمت على حسابي من بني قومها في أمريكا وفي غيرها نحو انني عشر طالبا وطالبة ، وانا عازم ان ادعو طالبة او طالبتين من اوانس سورية للتعليم في أمريكا على حسابي ايضا ، فما رأيك ؟ فشجعتهم كثيرا ، وبعد البحث الدقيق وقع اختيارنا على الانسة نازك العابد والآنسة اليس قندلفت فقاطمني سائلا :

لم انتخبتي الانسة اليس قندلفت ؟ فقلت : بالنظر الى سننها وقابليتها وعلومها التحضيرية . فقال : الا يوجد مثلها في هذا المعنى كيرات من الدمشقيات ؟ فقلت : بلى يوجد ولكن العارفات الاكثيرة مثلها بحيث يستطعن تتبع الدروس في الولايات المتحدة قلائل ، ثم اتهمت حديثي فقلت : ان هذه الحوالة هي اجرة طريق تعطى لكل واحدة نصفها وهو خمسمائة ريال امريكي (خمسون جنيها) . وقد راجعت الانسة قندلفت اهلها فقبلوا فارسلت الي بطاقة صباح سفر المستر كراين تعلمني ذلك كما علمت المستر كراين نفسه ، واما

الآنسة عابد فاني ذهبت مع المستر كراين لبيتها لتكليفها فاظهر ايوها تمعا ، ولكن جاءني في اليوم التالي الى البيت فوضعت خيرا انها تريد السفر من صميم قوادها وان ايوها يقبل على الأرجح اذا اننا اقنعته ، وهذه يمكنني ان اقول انها قبلت ايضا وان كان الامر معقلا على رضا والدها .

قال المسيو بيجان : الم يدعك المستر كراين للسفر معه الى بعض البلاد كالاستانة ؟ الم يكافئك السفر معه الى بلاد العرب ؟ فعجبت من وصول هذا الخبر اليه كل العجب ، خصوصا والمستر كراين كان حريصا على كتمانها وانا لم افاتح احدا به .

فرأيت الواجب ان ابين له الامر بدون اكتراث فأتملت له حديثي كانه لم يقاطمني قائلا : اذا لم تستطع الانسة نازك عابد السفر فقد كلفني ان اشترى له بالخمسمائة ريال الباقية معدات سفر الى بلاد العرب مثل كوفيات وعقل ومقدرات ومحفوظات ونراجيل الى غير ذلك من الحاجات التي خبرتها أثناء سفري الى بلاد العرب لان المستر كراين يريد السفر الى الجزيرة فاليمسن فالعسير وقد كلفني السفر معه فلم اعطه وعدا قاطعا بالنظر الى مشاغلي الخاصة .

هنا ثم الاستنطاق وبعدما كتبه على نحو ثلاث صفحات من القطع المتوسطة اعطاني اياها لامضييه ، فتربصت ريثما عدت قراءته بانعام نظر وامضيته . واخيرا سألني : هل تأتينا الطعام من بيوتنا ؟ فاجبته بالايجاب ، ولكنني بينت له الشدة التي تتأبنا من قلة الشمس واستنشاق الهواء فوعد ان يقدم المساعدة ثم ودعني وانصرف .

من القصر استعمل كلمة المفصلة ، وعبارة الدركي ( فلان ) وان كان فيها ما يدعو الى الاطمئنان الا انها تضاعلت بجانب هذه التصرّيات المزعجة .

### مفادرة سجين القلعة :

كنا عارفين ان الطلب سيكون في الساعة العاشرة ليلا ، لذلك حلقنا ذقوننا في النهار ، وقرب وقت العشاء لبسنا ثيابنا وحياتنا انفسنا وقعدنا على فرشنا ، فلما ازفت الساعة دخل العريف علينا فجأة وصرخ علينا : استعدوا للمشى بعد نصف ساعة واطسوا فرشكم ولحفكم . ولكنة حلق فينا فرآنا قد سبقناه الى طلبه ، فدهش من تسرب الاخبار اليها وخرقنا النطاق المضروب علينا . عاد اليها بعد نصف ساعة ومعه سرب من الدركيين فأمرنا ان نمد أيدينا فوضعوا فيها السلاسل والاغلال ، وخرجوا بنا الى صحن القلعة بعدما حملوا امتعتنا ومنها الى مركبة كانت تنتظرنا عند البوابة الخارجية .

صعدنا الى المركبة وصعد معنا الدركيون يحيطون بنا من كل جانب ، فأخذت تسير بنا الهويتا ، وكان يجرها أربعة بغال كبيرة ، وهي المركبات المستورة التي لا قوس لها يدفع عن ركابها صدمات الطريق والتي يساق عليها الجناة عادة .

كنا مطربين من هذا المنظر الرهيب الذي زاد في وحشته ان الطرق مقطوعة من كل جانب عملا بأمر الاحكام العرفية التي خطرت التجول في المدينة من بعد الساعة السادسة مساء . وكان امامنا نحو خمسون جنديا واقفين بنادقهم وعليها الحراب قائمة طمع من بين طيات الليل كما يلمع البرق بين الضباب القاتم ووراءنا عدد يقاربهم .

صوروا البنادق عند منفرج ( السروجية ) ومالوا عن الطريق العامة كما مالت المركبة بنا معهم ، ثم وقفوا هنيهة فما الذي طرأ ؟ طرأ ان ثلاثة من رجال التحري كانوا يرصدون الطريق لاتخاذ

## المحاكمة وأسرارها

### اقتراب الموعد وازدياد المضايقة :

اقتربت ساعة المحاكمة وازدادت شدة السجانيين في احكام الحجر علينا ونش طعمانا بحيث كانوا يتحرون اللبن الرائب الذي يأتينا بأصابعهم ويقطعون الارغفة اربا اربا خشية ان يكون فيها رسالة من الخارج .

ومما يذكر لهؤلاء الجناة ان الاخ منير بك شيخ الارض كان يوم الاثنين يسأل السجنان ( دوس ) بعض اسئلة تتعلق بنا ، فقال له هذا تشفيا : غدا سيكون يوما مذكورا تعد فيه المقصات ، فقال : لم المقصات ؟ فقال : لقطع رؤوسكم ، وأشار بكفه على رقبته بالحرة ، فوجم الاخ وعاد اليها وعلائم الاضطراب بادية على وجهه ، فقص علينا الحديث من اوله الى آخره فاطرقنا الى الارض جميعا ، وبقينا واجمين جينا من الزمن ، وقد قضينا يوم الاثنين على آخر من الجمر ننظر تقلبات الحدثنان ونحسب لعبارة ( دوس ) الحسابان ، خصوصا وقد سبقها من سجان آخر عبارة تشبهها ، ولكن بدلا

وأفطرت معهم وما كدنا ننتهي من اكنا حتى جاءنا الضابط الدركي ووراءه عدد من الجنود يحملون البنادق وعلى رؤوسها الحراب ، فأمرنا أن ننتهي الى المحاكمة في الساعة السادسة والدقيقة الثلاثين . سار بنا الى الطابق العلوي حيث انتظرنا في غرفة خاصة نحو نصف ساعة اجتمعنا خلالها بجلال بك محامينا فتذاكرنا مليا بشؤون المحاكمة .



الاحتياطيات ، فظنهم الجنود الفرنسيون أنهم واقفون لاجلنا ، فلما اطلعوا على الوثائق التي بأيديهم عادوا بنا الى السير في طريقنا الى ان وصلونا الى ساحة الشهداء حيث دخلوا الى بناية العابد .

### في بناية العابد :

انزلونا وانزلوا متاعنا في صحن البناية ، ثم ساقونا والجنود محيطة بنا الى حجرة مظلمة تتبعث منها الروائح الكريهة وتشعر الاقدام فيها انها تدوس على الاقدار ، وبعد هنيهة نوروا مصباحا كهربائيا بجانبنا فرأينا ما حولنا ، فاذا نحن في مطبخ مهجور يدل العرق الحديدي المنسوب في وسطة والرماد المبعثر على جوانبه على انه لم تشعل به نار منذ سنوات ، وبجانب النزن بركة فيها مياه راكدة اسنة تتصل بأنبوب ناشف ينتهي بحجرة خشبية قائمة بجانب البركة .

كنا عطاشى ظمأين فطلبنا ماء ، فاحضر لنا الجنود الافرنسيون الكلفين بحر استنجا جرة شربنا منها حتى ارتويتا ثم اخذنا نلاحظ اطرافنا وجوانبنا فرأينا امامنا كوخا جالسا فيه مفوض اسمه الحاج صادق المغربي رئيس القسم العدلي في الشرطة ومعه شرطي آخر فصارا يخاطبانا بطرف عيونهما وكان الجنود الافرنسيون يأتون من حين الى آخر فيطلون علينا .

اما نحن فكنا غير مكترئين بكل ما يجري حولنا وقد شعرنا بالافه صرنا نعد معها ايد الظالمين احقر من أن تنالنا بسوء ولو توصلت بكل انواع المكاره ، وصارت قصور الملوكة وحظائر الماعز بنظرنا سوية كاستنان المشط ، لاننا سمعت بنا نفوسنا محقة في سماء العظمة حتى صرنا مثل الدنيا بعين النسر لا فرق فيها بين الاشباح التي تتراءى منها لانها كلها صغيرة بجانب قبة السماء . اتخذت ظهر القرن - الوجاق - سريرا فوضعت عليه فراشي ونمت نوما هادئا حتى الصباح ، اذ ايقظني وقع اقدام اخواني ، فقممت وفسلت وجهي

افندي الغزوي .

ثم اخذ المستعمون يدخلون الى النرفة الخاوية واحدا بعد واحد ، والجنود المسلحون يتنادقهم وحرابهم وقفوا مكانهم ، وقد عرفت من بين ارباب الصحف مراسل القطم ، وصاحب جريدة فتي العرب وسورية الجديدة ، ومن المحامين المستمعين عادل بك العظم وعبد السلام حلاينة المصري ، ومن الموظفين الافرنسيين الكومندان اريابوس صاحبالقائع المشهورة والمسيو سبرو مستشار العدلية والمسيو بيجان مستشار الشرطة وكثير ممن لا تحضرني اسماءهم ، ورايت من ابناء الوطن يحى بك حياتي ويوسف افندي الحاج صاحب مجلة الانوار وسري الاناسي وغيرهم ، وامتلات غرفة الاستماع بالخلفية بالوطنيين لحظت منهم الشيخ توفيق المنيني والسيد عثمان الثرباتي وزكي بكشيخ الارض وندرو افندي مشافه ترجمان القنصلية البريطانية والحاج اديب خير واسبر افندي الدادا الى اخره بحيث تكسرت المقاعد من كثرتهم واخبرت ان البهسو الخارجي كان طافحا بالمستمعين والمنتظرين الذين كانوا على احر من الجمر ينتظرون نتيجة هذه المحاكمة التي لطخت اسم المدينة الحاضرة .

اما الاحتياطات التي اتخذت خارج الديوان العرفي ، فيكفي ان يقال ان العساكر انتشرت من شوارع السنجقدار الى نزل فكتوريا وكلهم شاكي السلاح ، والديابات تفرقت في ساحة الشهداء ورجال الامن من الشرطين ودرك ووطنيين وافرنسيين ملأوا المنعطقات والزوايا . وبالرغم من كل هذه الاحتياطات الرهبة كانت الساحة المذكورة تهييج كالبحر المتلاطم بالامواج من كثرة المنتظرين .

المحاكمة :

في الساعة السابعة والدقيقة ١٥ بدأ الرئيس الكولونيل الى آخره . . . . ( ولأجل الاطلاع على اطراف الدعوى وسير المحاكمة يلزم مراجعة الجرائد ) .

## يوم المحاكمة

طورا ووزير وطورا سجين :

وفي نحو السابعة سار بنا الدركيون والجنود المسلحون حولنا بحر سونا الى غرفة كبيرة ، شعرت عند رؤيتها بتيسار كهرائي يتمشى في بدني فيعثر في منابت شمري لان اندثار معالمها لم يمنني ان اذكر انها كانت مكتب الأوامر السوروي يوم دخلتها وزيرا بمحفظتي ويزني السوءاء العلوية لاصحح فيها بيان وزارتنا قبل تلاوته على النواب الكرام وهانذا بعد مرور سنتين ادخلها سجيناً مكبلاً بالحديد بلباس يكاد السجن يجعله من الاطمار البالية ، وبدلاً من الجنود الواقفين بسلاحهم لتحيتي ارى جنوداً مقومين حرابهم خشية هربي ، فسبحان مقلب الامور ومحول الاحوال .

امرنا ان نقعد على مقعد خشبي على صف واحد كنت على راسه ، وبجاني حسن بك ثم سعيد بك ووراءنا مقعد للمحامين ، وعن يسارنا مقاعد متعددة لارباب الصحف والوظفين ملكيين وعسكريين وعن يميننا خمسة متكات لاعضاء المحكمة ورؤسها ، وامامنا مقعد للمدعي العام في الديوان العرفي ، ووراء مقاعد الموظفين حجرة اخرى للمستمعين ورأينا العلم الافرنسي منشوراً على الحائط وراء التكاات وفي وسطه رمز الجمهورية .

وما استقر بنا القام حتى دخل علينا رجال المحكمة جميعاً فقمنا لهم بحسب الاصول ، وامتلات اكثر القاعد بأصحابها واصطف ووراءنا المحامون عنا الاساتذة جلال بك وفارس بك والياس بك وسعيد

بأشأ القدارء لتوقف الشعور الفاتر في هذه الامة، لم تجد فيها من القوة ما يشفي الفيل ، فأرسلت عليها ريحا صر صرا من أردان قضاة من الجنود المستعمرة فحركت الاموات في قبورهم وتجارب صداها العالمان القديم والحديث .

جرت السنة المحكمة ان الامم اذا احتاجت الى التبدل ، ان لا تتخلق خلقا جديدا ، ولكن ان تكيف تكييفا جديدا لموامل تدريجية متنوعة ، ربما كان على رأسها ظلم الظالمين . فهنينا لنا ثم هنينا اذا بلغ اعتناء القدرة بنا ان أرسلت علينا منذ الاضطرابات الاتحادية حتى اليوم ، جيشا من الظلام لم يترك زاوية من الزوايا المهمة ، بل ان الظالم والمغارم وانواع الضغط في كل ناحية وصقع ، بلغت حدا لا يجهله حتى اقرب الناس وأشدهم اتصالا بالمستعمرين ، وأحرصهم على تحقيق رغائبهم ، ولو كان في ذلك زوال المجد القومي وانهيار الاوطان .

لم تؤثر فينا قسوة هذا الحكم سوى اثر الاستهزاء والاحتقار ، اذ شعرنا بعد رجوعنا الى المطبخ ، بشيء من الراحة التي تحدث عادة بعد البت في المسائل الخطيرة المتعلقة . فلما تقدم اليها الطعام في المساء اكنا بقابلية وانسراح خاطر ، وقد بدا اثر من التعجب على وجوه الجنود الافرنسية على ما رؤا منا من قلة الاكتراث ، فكانوا يطلعون علينا فيتهمسون فيما بينهم ويتخاطبون برفع الحواجب ثم يعودون من حيث اتوا .

### العودة الى سجن القلعة :

وفي نحو الساعة العاشرة ليلا ، دخل علينا الرئيس ، فقال استعدوا للخروج من هنا . وبعد هنيهة ركبنا المركبة التي اقلتنا في الليلة الماضية بعدما وضعت في أيدينا الاغلال ، وما كدنا نخرج من باب البناية حتى احاطت بنا الجنود من جميع الجهات وخرجت علينا الانوار من السيارات المصفحة والديابات التي كانت تحرس

وبعد تليفنا الحكم ونحن عتفرون وليس معنا الا الاستساز جلال بك وفارس بك ، بدت على وجوهنا علائم الاستهزاء والسخرية ، وضحك غير واحد منا على هذه العدالة ، التي يمن علينا بها القرن العشرين ، ويبني عليها الخيالون حصونا من صفائح المعدن لاثبت امام غمز المهماز في أرجل الطففة المسكزية ان تشق من كل جانب .

ان القوانين اذا لم يكن لها في قلوب رجالها تلك القوة والحرمة التي اكتسبت بها الشرائع السماوية بودة من التبجيل والتعظيم والتقدير ، تكون آلة بيد هؤلاء الطائشين ليسخرونها لاغراضهم الدنيئة ، ولشتمان بين العدالة التي تبغيها القلوب التي لا تخاف الوزارة والصدور بل واللوكة أيضا ، امامها غير عارفين حكمها لهم ام عليهم ، وبين دساتير كتبت على ورق ليسخر بها متنوع من منطقي الجندية ، فيجعل اسم المدنية الحاضرة بعملة عارا وشنارا على مرور السنين والاحقاب . وترانا اليوم وقد جربنا الامسور بانفسنا وعرفنا تزوير المستعمرين وقدرنا قيمة محاكمهم قدرها ، اقرب الى الاعتقاد بان دريفوس كان بريئا ، وكابو كان مظلوما ، وبولو اعدم غدرا ، وان المسيو بوكاكره لا غليوم الثاني رب الحرب كان سبب بلاء العالم في اوجسطس سنة ١٩١٤ .

ويل لكم ايها المستهزؤون بالانسان ، المستصغرون بقيمته ، العابثون بما زرعتم في قلبه يد القدرة من الشعور الذي اذا تفجر دك الحصون والمعاقل . هلا ثبتتم الى رشدكم بعدما امتدت ايديكم الاثيمة الى احرم المحرمات واقدس المقدسات ، فهتكها في هذه السنين الاربع ؟ اما ارتويتيم من الدماء التي سفكتموها في الشرق والغرب ؟ حتى جئتم الى هذه البلاد التي ذاقتم من ولائكم وبسبيكم من المجاعة والبلاء والتعذيب والشنق والقتل ما لا يقع تحت حصر ، لتقفوا على آخر رفق منها باسم الام الرؤوم ، والاب الحنون ؟ . والظاهر ان القدرة التي سخرت محكمة عالية العسكرية ، ايام احمد جمال

## وصول الاجبار من خارج السجن :

ففيما نهارنا تساورنا الافكار ونحن مقفون عن العالم الخارجي انقطاعا تاما ، وفي الليل بالوقت المعين انقطع النور الكهربائي فجأة ، فالتفت اليها البطاقة الملوثة ففضناها ، فإذا صديقنا شريف أبو علي : لا تصدقوا ما يشاع من نفيكم بل تقرر ان تسلمكم السلطة المحلية ، لذلك ستكونون غدا في ادارة السجن الوطني .

سرى عنا هذا الخبر بعض الهموم ، ولكنه لم يشف غيلتنا ، وكنا نود ان نطلع على جريدة من الجرائد المحلية لنرى فيها خبر محاكمتنا والحكم علينا ، ولكن ذلك لم يتيسر لنا ، فذهبتنا الى فراشنا اكثر تعباً واقبل اطمئنانا من ليلتنا الماضية ، فلم يغمض لنا جفن حتى منتصف الليل ، فنمنا اضطراباً من كثرة الجهد .

وبينا نحن في احلامنا المزعجة ، وكان الوقت قبل الفجر بنحو نصف ساعة ، او الثالثة بعد منتصف الليل ، اذ سمعنا صليسل الحديد ، فما كدت افتح عيني الا والعريف داخل ، فجلست وجلس من بعدي اخواني ونحن نساءل في انفسنا عن هذه الزيارة المستغربة في مثل ذلك الوقت المشؤوم . فصاح العريف في وجهنا قائلاً بصوت جهوري ونبرة حادة : استعدوا فانكم ستذهبون من هنا بعد نصف ساعة ، ثم قال : اطروا فرشكم واكتبوا اسماء اهلكم لانكم لا تستطيعون ان تأخذوا شيئاً معكم !!!

## رسالة الى زوجتي ووداع الاهل :

تهمتنا كانت شديدة تتعلق بثورة غايتها قلب الحكومة ، الحكم علينا كان جائراً وبمهما تكنفه الاسرار ، ولم يسبق له مثيل ، وخصمنا استعماري عنيد لا يراعي الا ولا ذمة ، والوقت هو الوقت

ساحة الشهداء بجانب المجلس البلدي .

سرنا الى جهة السجنقدار ، فسارت الجنود اماننا ووراءنا ، وكانت تتماوج كتماوج الزرع في الحقول عند هبوب الرياح ، ولم نصادف في طريقنا احداً حتى انتهينا الى القلعة فاعدنا الى حجرتنا ، حيث نمنا نوما هادئاً لم نمنه في ليلتنا الماضية .

وفي الصباح دخل علينا السجنان دوس ، وصاح في وجهنا قائلاً : الان صرتم من المحكوم عليهم ، ولم تعودوا من الموقوفين ، فالواجب ان تقوموا بتنظيف حجرتكم ، والا فانا ارتب على كل واحد منكم من غير تفريق نوبة يقوم بها ، فلففنا عنه كلفة العناء لان بعض اخواننا قام حالا وكس ورش ونظف الحجرة من الاوساخ المتلبدة على راحتها منذ اشهر .

جلسنا بعدما فطرنا ، واخذ كل واحد منا يبحث في نفسه عن هذه المحاكمة الغريبة ، وعن سر المحاكمين ، وكيف انهم لم يقيدوا اخواننا ، بل اكفوا بالتهمة التي وجهها علينا المدعي العام . ومن ثم اخذنا التعجب من هذا الحكم الذي تجاوز اقصى حد ذهبت اليه التهمة . ولكن الشيء الذي بقي سره محجوباً عنا ، واخذ تفسره منا كل ماخذ ، هو اختصاصهم في تبليغ الحكم علينا وحدنا دون المستمعين ، كما تبين لنا وقتئذ ، كانهم ارادوا ان يلففونا شيئاً ويبلغوا العالم الخارجي شيئاً آخر .

ليس على المستمعين بمستكر ان يتكروا كل انواع الحيل ، لان سورية في نظرهم لا تستحق ان يحترم فيها القانون ، وهذا ما نذكر به ( بريطون ) لما حمل على الادارة في هذه البلاد ، وبين كيف احرقت القرى ، واهلكت الحرث والنسل ، ولا اجابه الميسر بو انكاره بقوله : تذكر انك في سورية ولست في فرنسا !!



الا بالله المولى العظيم ، ومن قائل انا لله وانا اليه راجعون ، وسمعت آخر يقول : واسفاه على شبابكم يارجال الوطن .

حق للسجناء ان ينفصوا ايديهم منا ، لان الوقت الذي خرجنا فيه هو وقت المشاق عادة ، والذين بقيت الاوهام تساورهم منساة زادتهم هذه الجمل فزعا . وانت ضغفا على ابالة . ولكن رؤيصة السيارات عند باب القلعة كانت آخر الملامات التي دلت بطبيعة الحال على تفينا ، والخلاص من اتصالنا بعاصمة سورية وتهيمن ابناءها . . .

### سوقنا الى ساحة الاعدام ؟

#### أم الى اين ؟

كان الليل هادئا ، والطبيعة نائمة ، والسمااء قائمة تشع من خلالها النجوم ، كانها المصابيح بأيدي القدرة لتري الجلادين طريقم في هذا الليل الحال . وكان صوت المؤذن من الجامع الاموي يرن في الفضاء ، فيترجع صدها من الجبال كانه صوت نفينا السسى المستقرقين في نومهم النائمين بأحلامهم ، ومن المحقق ان غير واحد كان يسائل نفسه اتراني يقدر لي ان ارى هذه السماء في الليلة القادمة؟ أم اكون في لحدي يجلني التراب ويعلو في الاجر وترطب قيدي الدموع السخية ؟ . كان بانتظارنا على باب القلعة سيارتان كبيرتان من صنع ( فيات ) ، وقبل أن نركبها التفت احد الاخوان فوجد دركيا سوريا بجانبه ، فسأله : هل نصبت المشاق لنا في ساحة الشهداء ؟ فلم يبد جوابا . ومن ثم صعدت أنا والسيد حسن والسيد مبر الى السيارة الاولى ، وركب سائر الاخوان بالسيارة الثانية ، وركب معنا تسعة من الدركيين بمسدساتهم ، ونحو خمسة عشر جنديا نظاميا بأسلحتهم الكاملة . اقلتنا السيارات ونحن ننظر بتلهف الى أي جهة تتجهان بنا ، فلما مالتا بنا الى اليسار الى جهة الشارع تحققنا اننا خارجون من بلدتنا ، فقلت لاخواني

المناسب التام للجر الى المشاق والامس الذي صدر من قسم العريف واضح لا يحتاج الى التفسير ، فلا غرو أن تظهر علينا علام الاضطراب ، لان المناجاة بالارت مزعجة على كل حال ، ولا عجب ان يسأل كل منا رقيقة الى الموت ذاهبون ؟ فكان الجواب : نعم من الممكن أو من المرجح أو بلا شك . فهجنا ومجنا هنيئة ، وصرنا نروح وننفذ في الحجرة على غير قصد ، واخيرا طويانا الفرش واخذ كل منا يكتب ما سمع به المخاطر المضطرب . أما انا فأنني قلت لزوجتي : الان دعيت الى الذهاب الى مقر اجهله ، قبلي عني وجنات الاولاد . وربما كتب غيري انه ذهب الى الموت فهو يودع اهلله وداعا لا لقاء بعده ، وكتب غيره انه ذاهب للقاء وجه ربه فيسر خائف ولا وجل .

لم تمنعني هذه الاضطرابات البادية على كل واحد منا من استعمال التؤدة والثاني لفهم حقيقة الواقع ، اذ انني تقدمت الى العريف فسألت : هل تمنعون عنا تنقل كل شيء حتى قميص النوم ؟ فقال : لا اظن ان ههنا لك ما يمنع من اخذ صرة صغير فيها القميص الذي اشرت اليه ، فأطمأننت بعض الاطمئنان ، والتفت الى اصحابي فأخبرتهم بما حدث ، ولكن الاضطراب بقي باديا على وجوههم . ثم حدث امر اخر هدا روعنا كثيرا ، وهو ان العريف دخل علينا حاملا بضعة أرغفة مع علب من اللحم ، فقدمها لنا وقال : لا تستطيعون ان تطالبوني بجرايتكم فيها قد اعطيتكم اياها . والواقع ان عمله ههنا خفف ما علق بنفسي من تلك الافكار المرعبة .

### مغادرة سجن القلعة من جديد :

دخل الدركيون فوضعوا الاغلال في ايدينا ، وحملوا تلك الصر التي جهزناها مع الجراية ، وخرجوا بنا الى صحن القلعة ، فأطل علينا السجناء من الترافذ والابواب ، فكنت لا تسمع الا ترديد امفهم على شبابنا وحسرتهم على اعدامنا ، فمن قائل لا حول ولا قوة

طريق بيروت ونحن لا نندري الى اين حتى بلغنا شتورا ، حيث تناولنا في الحانوت فطورنا لبنا رائبا وزيتونا وبيضا ، وكانت اليد الواحدة من كل منا مغلولة الى يد رفيقه . ثم استأنفنا السير حتى نفق صوفر ، وهناك عادنا بنا الى طريق ينحني الى جهة الجنوب ، بعدما نزل الضابط الموكل امر حراستنا اليه ، فسال احد الفتيان سؤال المستنير المستفسر ، مما دلنا على انه ضل الطريق .

عرجت بنا السيارات على طريق نقر يلتوي بين الاودية الزمردية ، فمن دور منفردة على الطراز الحديث ، مبنية على القمم ، الى الكواخ متقاربة على الحوانيت ، الى عيون ثراء ومروج خضراء ، وكاني ببعض تلك المناظر قد انطبع رسمها في ذاكرتي وان فانتسي انها هي « عين زحلتا » التي زرتها من نحو عشرين سنة ، والقناع الذي سبحت فيه مع اخوان الصفاء وخلان الوفاء . عجبا عجبا هل قدر المستعمرون ان ينزونا الى لبنان ، فيضعونا في بيوته المهجورة بحراسة هؤلاء الجنود ؟ وبذلك يطبقون علينا نظام الاعتقال ، أم هم ذاهبون بنا الى مقر ابد ؟ وعلى كل حال زال من خاطري احتمال السفر الى ارواد او ( كورسيك ) .

### الوصول الى بيت الدين :

وبينما كانت هذه الهواجس تدور في صدري ، اذ ذكرني الاخ السيد حسن الحكيم انه قرا منذ شهرين أن حكومة الانتداب قررت جعل بيت الدين معتقلا عاما ، واننا في الغد ذاهبون الى سجنها ، فاستغربت كلامه ، ولكن هكذا كان ، لانسي بعد هنيهة سمعت الضابط يسأل احد الصبيان كم بقي امامنا للوصول الى بيت الدين ؟ فأجاب : قليلا . وبعد هنيهة راينا ميلا منصوبا ، كتب عليه مفترق الطرق ، يدل من الجانب الواحد على الجهة المؤدية الى بيت الدين ،

نتمتعوا بمنظر هذه السماء الصافية ، وهذه الارض الراهية ، وبأشجارها الباسقة ، وحدائقها الفناء ، وانهارها المندفقة ، لانسه لا يعلم الا الله متى يقدر لنا ان نراها مرة ثانية ، وأي رجل يودع منظرًا من المناظر لاخر مرة يشعر بحزنه ، فما بالك بمن يفارق محطته ومنشأه ؟ ويترك وراءه أصدقاؤه واخوانه وابناءه ؟ الا يرى في كل شيء يقع نظره عليه شيئا من الحنو والمحاطة ؟ .

### بين دمر وميسلون وصوفر :

تسلمنا طريق دمر الهامة ، وراينا سيارة مدرعة تعدو وراءنا لتحافظ علينا من هجوم من ظن المستعمرون انهم يحاولون انقاذنا . ومازلنا نسير سيرا منتظما حتى بلغنا صحراء الديماس ، ومنها خان ميسلون ، حيث اطللنا من تحت الستائر المستولية علينا لرمق قبور الشهداء ، وفي مقدمتهم البطل العربي السيد يوسف العظمى وزير الحربية في الحكومة العربية السورية الذي بذل نفسه بطوعه واختياره في اليوم الاخير للدفاع عن البلاد التي انتبته . وقد صعب علي في تلك الحقيقة ان أقول من هو احسن حالا نحن الذين نرى اعداء الوطن يعيثون في الارض فسادا ويتمتعون برفاق الاهلين ؟ أم هو لحدده بعدما قضى واجبه ورأى بنفسه عن أن يحملها مالا طاقته لحر ان يحمله ؟ .

وجرى في السيارة وراءنا أن المركبين الافرنسيين صنادوا يوهمون اخواننا بالتلميح والاشارة واخراج الاوراق الرسمية من جيوبهم ، انهم يريدون اعدامهم في الساحة المذكورة . وانفق ان السيارة في تلك الاثناء وقفت بهم قرب ميسلون ببقعة من الطريق ، فكانوا ينظرون الموت على ايديهم كل حين ، والواقع انهم لم يطمئنا حتى خلصوا منهم بتاتا ، ومازالنا السياراتان تعدوان بنا على

## السجن في قلعة تبست الدين

### دخول السجن وتسجيل الاسماء والتفتيش :

نزلنا امام ساحة السجن فادخلنا الدركيون الى حجرة المدير ، وكان رجلا مدنيا في نحو الخامسة والثلاثين من عمره ، اسمه المسيو ستيون ، تدل ملامحه على انه عربي تفرنج أو افرنجي تعرب ، وترجع عندنا النظر الثاني لنحفته ورشاقته وظهور الانس على وجهه ، بخلاف الثقالاة التي تبدو على العربي المتفرنج عادة ، فسجل اسماءنا واحكامنا من الاوراق التي يحملها خفراؤنا . ومن هنالك ذهبنا الى مدخل السجن حيث لفتنا الى جهة اليسار ، فدخلنا في دهليز طويل ، وقف لنا في آخره الضابط الافرنسي السجان والضفراء ، فاحذوا في تفتيشنا تفتيشا دقيقا ، فلم يتركوا لنا شيئا له قيمة ، حيث اخذوا ساعائنا واقلامنا فضلا عن دراهمنا ، وبلغ الامر بهم انهم استخلعوا احذيتنا فنقبوها خشيعة ان نتخذها مطامر . وبعد ذلك ودعنا الضابط الافرنسي وقال لنا ان المدير مسؤول عنا واننا اذا كانت لنا حاجة علينا ان نطلبها منه وهو كفيل بقضاائها .

ثم فتح لنا الباب فدخلنا حجرة واسعة ذات نافذة كبيرة تطل على حديقة نضرة والى يسار الباب جرن نصب فيه عين سلسبيل تأخذ بمجامع القلوب . أمر مدير السجن لنا بالحصر ففرشت على

وأن المسافة اليها كيلو متران ، فأتجهنا حتى اطلعنا على القرية ، وأول ما بدا لنا منها السجن ، دلت عليه الشبائك الصمغرة العالية ، والبناء الضخم الصنعة ، ولم تمنعنا الحوادث التي مرت بنا سراعا من لمح تلك المناظر الرائقة التي تجلب الانظار . والحق يقال انني والاخوان الذين معي في السيارة كنا مستبشرين ، بقلب علينا التفائل من هذه السفرة ، خصوصا بعد ما زال من النفوس كل خوف من النفي الى البلاد السحيقة .



يراه الا المرضى ، وان المنح الطبيعية منهل عذب لا ينظما الى وروده  
الا الصيادون .

### كرم السجناء السابقين :

الهيئة النافذة حينما عن الالتفات الى مضجعنا ولكن الفسق  
حول وجهنا فآخذنا نفكر في امرنا ، وهل منا من يستطيع النوم على  
التفرشة ؟ حصر بالية من تحتها عدسة قاذمة . بيد ان السجناء  
لم يشعروا بأمر الا وتسابقوا الى اسداء يد المساعدة لسا ، وفي  
مقدمتهم فوزي يفضون الذي اهتمته السلطة باخراق الاعتسدة  
الحربية ، فحكمت عليه بالسجن المؤبد منذ سنتين او اكثر ، هذا  
قدم فراشا وذاك مخدة وآخر ركوة أو طباحا ، الى ان حصلنا على  
حاجتنا الضرورية ، وكان معنا بقية باقية من خبز ولحم محفوظ ،  
فاكلنا شيئا منها وشربنا الشاي ، ومن ثم بسطنا النرش الثلاثة  
التي أخذناها من السجناء بالعرض ، ومننا عليها اثنين اثنين نومنا  
ههنا هادئا ما نمنا مثله منذ ليل .

### طعام السجن :

وفي اليوم الثاني دخل علنا المسيو ستيفن ومعه رجل عجوز  
من بني البستاني اسمه الخواجة سليمان كله انس ولطف ، فذكر  
لنا انه التعهد واننا اذا احتجنا الى شيء من الاكل والشراب  
والناع فهو مسؤول عن اعداده ، فحضرنا قائمة لطعام الغذاء والمشاء  
فلم نجد من حاجتنا الا الزيتون والبيض واللبن الرائب المقطوع  
( لبنه ) مع الخبز الذي يتناوله السجناء عادة . اكلنا وشربنا من ذلك  
الماء القراح الذي يحيي القلوب ، ثم ثقيلنا ، وقرب العصر قمنا الى  
شباكنا فقمنا نتمتع من تلك المناظر ونتجاذب أطراف الحديث ،  
ويجمل بنا ان نزيد في تفصيل جحرتنا التي عددناها كالجنة بالنسبة  
الى حجرة قلمة دمشق .

الارض ، ومن ثم اعتذر لنا انه ليس عنده غطاء ولا وطاء ، وان القرية  
صغيرة لا يوجد فيها من ذلك شيء ، ولكن يستعمل جهده عليه  
يستطيع ان يستعير لنا من المسجونين شيئا ننام عليه ، ثم ودعنا  
واقفل الباب وانصرف .

اما نحن فاننا خلطنا البستنا الرسمية لبستنا قمصان النوم  
وفسلنا وجوهنا ورؤوسنا ، ثم صعدنا عتبة النافذة وكانت عريضة  
فقمنا عليها وتمتعنا بمنظر لا اذكر انني رايت في حياتي اجمل منه ،  
وربما زاد في رواقه الحبس الطويل الذي قضيناه ، فاؤل ما تطل عليه  
العين منه حقيقة انيقة فيها من أنواع الاشجار ما يسحر الانظار ،  
واجملها دوحة كبيرة رصعت بزهر احمر بلون الجلسار وصورة  
الاقداح ، فيها عيون البراعم الخضراء الوردية كانها التطيرز على  
الدجاج الارجواني ، وكان شكلها كالقبة ، ولها فرع منها بجانبها  
كانه شرفة تطل على الوادي المنحدر من أسفلها .

وعلى القرب بيت مبني على الطراز الحديث يكاد سطحة الاحمر  
يلمس السماء ويدل على ان بانيه من الذين اثروا في البلاد  
وعادوا بثروتهم يدفنوها على قمم الجبال ويتمتعوا بمناظر هذا  
الوطن العزيز .

مالت الشمس الى الغروب فارسلت اشعتها علينا ، فشعرنا  
في انفسنا بنمو وبسطة ، كان يد السجنان التي حاولت كل تلك  
المدة ان تحت اصول الحياة منا لسد النافذ عنا ، هدتها الى  
تقدير قيمة المواهب الطبيعية المحيطة بنا حق قدرها . فتلك الشمس  
المحركة التي كنا نتجنب اشعتها بالظلال أصبحت عروش المشرق  
تتسابق الى لثم محياها ، والخضرة البتلة صارت عزيزة ولو  
نبتت على اصول الجدران وزوايا الاعتاب ، والهواء الطلق الذي ملا  
السهل والجبل هو النشوة التي تسمو بالنفس من مهابط الخمول  
الى معارج النشاط ، حقا ان الصحة تاج على رؤوس الاصحاء لا

عاد إلينا المدير المسيو ستيفن وقت العصر ، ومعه قائد درك السجن واسمه السيد عبدو والسجان السيد سليمان . . . وبعض المحافظين ، فوجدنا من الجميع ملاطفة وإنسا حتى أن السجان لما أخبرناه عن شدة اشتياقنا إلى قراءة الجرائد والإطلاع على مجريات الأمور ، أشار إلينا بطرفه أنه سيلبي الطلب ، ثم سألنا هل نحن بحاجة إلى شيء آخر ؟ فقلنا : إلى الخروج تحت القبة الزرقاء وتعرض أجسامنا إلى الشمس فقال : انتظروا إلى أن تأخذ التعليمات بهذا الشأن ثم اقلوا علينا الباب وخرجوا .

لا يقل التضييق علينا في أمر الاختلاط هنا عن دمشق الشام ، بل بقينا في بيت الدين إلى آخر أيامنا ممنوعا عنا مقابلة أحد أو الاجتماع بالناس . وقد وجد السجناءون فيما بعد أن يكفوا السيد عبدو بتناول القائمة منا وإعطائنا حاجتنا من النافذة من غير فتح الباب والولوج منه . ومما لفت أنظارنا وعجبنا منه كل العجب ولم نفره تفسيراً معقولا إلا بعد مرور أيام ، أن المسيو ستيفن جاءنا في ضحي اليوم الثاني وهو يوم السبت ووقف بالنافذة يحادثنا فقال : إن أصلة من الشام من أسرة رومانية وأن أخاه هناك اسمه أريكو ، ومن ثم انتقل برشاقة إلى حديث آخر ، فقال : الحكم عليكم هو الاعتقال ، وقانون الاعتقال عندنا يسمح للسجين بالسكن في القرية في البيت الذي يختاره ، على شرط أن يأتي كل يوم في الصباح لسجل اسمه ، وذلك بعد تقديم الضمانة المالية فقوّلوا : هل أنتم أغنياء ؟ وكم باستطاعتكم أن تقدموا في هذا الباب ؟ فقلنا له : الروف الجنيهات ، من العشرة إلى العشرين فالثلاثين . فhez رأسه وقال : طيب ، ثم ودعنا وانصرف .

### خلاف بين المدير والسجان على معاملتنا :

وعلمنا في المساء من تغير السجان أن اختلافا حدث بين المدير وبين السيد سليمان ، تتعلق بأمر التضييق علينا ، فكان هذا من

حجرتنا طولها نحو تسعة أمتار وعرضها نحو الخمسة ، وسقفها عقد من الحجر الرصوص وجدرانها متينة من الحجر الصلب ، محكمة البناء لا تكاد تدخل فيها المسامير الدقيقة ، ومقامتها متر ونصف ، ولها باب من الحديد مربوط بالسلاسل والأقفال ، وله نافذة صغيرة مشبكة بالحديد لتناول الأشياء . أما النافذة التي كنا نجلس على عتبها فهي كبيرة ، يبلغ طولها نحو قائمة ونصف ، ومصلبة بقضبان الحديد الشخينة ، والجون بجانب الباب وفيه مصب الماء ، ومن ورائه محل الراحة ، فيرى القاريء من ذلك أن السجن يستطيع البقاء في هذه الحجرة ما شاء السجان أن يبقى .

### واحتنا في بيت الدين :

علمنا أن مؤسس السجن وبانيه الأمير بشر الشهابي ، وأن الذي أصلحه وجعله على هذا الطراز الحديث ، هو رستم باشا المصالح التليد ، وليت الحكومة التركية التي بقيت في البلاد مشات السنين تلفتت إلى دمشق عاصمة البلاد السورية ، فأنفذتها من تلك القلعة التي يعد سجنها عارا وشتارا على المدنية الحاضرة ولكن ابت أن تتنزل فتأخذ درسا في الحضارة من أمراء سورية العرب ووزرائها الأرمين !!! انني لم ادخل صحن هذا السجن ولكن رفقة وأنا داخل إلى حجرتي ، فوجدته أشبه شيء بساحات المساجد الكبرى في سورية ومصر ، وأبواب حجره مغلقة على الصحن مباشرة ، وهي عرصة للشمس معظم النهار ، ولا أبالغ إذا قلت أن الاتر الذي تركه هو أثر مصحح لا سجن ، خصوصا وأن اكنا فيه ازداد عن الشام أضعافا مضاعفة ، وصحتنا تقدمت تقدما محسوسا ، وكولا التشديد علينا بالبقاء داخل الحجرة معظم المدة التي بقينا فيها في بيت الدين ، ولولا ضيق قائمة الطعام واختصارها على الاصناف المتقدمة ، ما عدا قليلا من اللحم وشيئا من الخضرة والفاكهة في بعض أيام الأسبوع ، ولولا اثنا المؤلف من ثلاثة فرش من السجناء وفرشتين بالاجرة من أحد الجنود الدروز ، لقلنا أننا في مصايف سويسرة .

في الصباح هل أرسلت ؟ فلم يعطنا جوابا شافيا ، بل نصحننا أن نعتدل قليلا في كتابتنا ، وهذه صورة البرقية المذكورة :

### برقية احتجاج : دمشق

سماعة مندوب المفوض السامي

« أو قفتمونا وسفرتمونا على حين غرة ومن غير استعداد لتومات الحياة ، ومنعتمونا من الاختلاط واستنشاق الهواء في الخلاء ، وما خصصوا لنا ما يقوم بأودنا . الا ترون هذه المعاملة جائرة في القرن العشرين ؟ »

عن المعتقلين السبعة  
الشهبندر

ثم أملت على السيد منير البرقية الآتية :  
السيد زكي شيخ الأرض ،  
بلغوا اهالي المعتقلين اننا جميعا في شقاء ، خالين من الدراهم واللايس ومن مخصصات تكفل عيشنا .

ولذلك منير

فوعدنا خيرا ثم اخذ يعتذر لنا عن قصوره معنا وأنه يود لو سمحت له الاحوال أن يخدمنا بها يستطيع ، ثم ودعنا وانصرف غير مخف ايجابه بحر كنا ووطنيتنا .

### فراق عدد من السجناء :

وحدث في الليلة الثانية وهي ليلة الاثنين أمر ذو بال ، لا بد أن يكون حمل المستعمرين على الشك في أمرنا والخوف من حر كاتنا وسكانتنا ، وهو أن احد عشر سجيننا من ذوي الاحكام المتراحة بين

طالبي التساهل والمعاملة الحسنة ، وذلك من القائلين بالتشديد الى ان تصل التعليمات النهائية . والظاهر أن الاختلاف أدى الى المشاتمة والملاكمة ، مما حمل الحكومة على كف يد السيد سليمان وأخذته تحت المحاكمة . ومن دواعي الاستغراب أن لا يكون لنا الا يومين فقط في السجن ، وقد احدثنا في ادارته هذا الانقلاب السريع فقسمنا موظفيه الى فريقين ، فريق يقول بالآخذ بناصرنا في الحال ، وفريق يؤجل ذلك ويعلقه على الاوامر . انها الوطنية شعرت بضيقة فتريد أن تنففس ، وحين وجدت غذاءها انسابت بطبيعتها نحوه أرادت أو لم ترد . وماذا يكون شأن سجن نصف موظفيه وثلاثة أرباع جنوده وحراسه يعطون على قضية حبسنا من اصلها ؟ وكنا في اظهر مظاهرها ، فترى الحارس منهم اذا اعتكر الليل وانقطع الطريق يتفنى بذكر الوطن ويرى انقاده من يد الاجنبي المدخيل فرضا . ولا يسمى ان ابوح بكل ما شاهدناه في هذا الامر من ضررب المساعدة والانعطاف ، بل حسبي أن اقول أن الشعور في اللبناني الصميمي الاتجاه نحو الحرية والخلاص من الاستعمار ، رغم انف الاجراء الذين يشوهون سمعة بلادهم فيظهرونها بمظهر اللذل والاستسلام .

### زيارة مفتش سجون لبنان :

زارنا في السجن عصاري السبت السيد بشارة البوري ، مفتش سجون لبنان الكبير ، فاطهر لنا كل عطف ولطف وقال لنا : ان البعثة حائرة في أمرنا ، وهي تنتظر التعليمات المتعلقة بنا من باريس ، واننا على كل حال ضيوف مؤقتون في بيت الدين ، وان الفكرة عند الافرنسيين انفسهم أن لا يطول أمر السجناء أكثر من ثمانية أو تسعة أشهر . ولم يروا شيئا في أجوبتنا امام المحكمة العسكرية ما نؤخذ عليه ، بل بالمعكس قدرها كما قدرها كل من اطلع عليها حتى من الاجانب حق قدرها . فسالناه عن برقية كتبناها

لأنه حصل عقوب مجيشنا ، فأرسلت البعثة حالا ثلاثين عربيا ودركيين ، فسلمتهم ادارة السجن وكفت يد الميسو ستيفن وسلمت مفااتيح السجن لبيروتي متمصر أو لمصري متبهرت اسمه الحاج محمد . تظاهر بالشدّة والتقطيب في الايام الاولى ، ولكنه عدل عن هذه الخطّة الجافية في الايام الاخيرة ، وبقي علينا سجان مسلم من لبنان اسمه مصطفى حمدان ، تشكى اخواني من معاملته حق الشكايّة ، والواقع انه من اولئك الموظفين الذين يربطهم جيبهم برباط وثيق فيعجزون عن التقصير بالواجب القانوني فضلا عن اسداء العونة .

بلغ عدد الوطنيين الدركيين لخفارة السجن نحو الخمسة عشر مع قائدهم ، ولكن هذا العدد ازداد ضعفين ثم ضعفا ثالثا ، وهكذا أصبح العدد وافيا لضرب نطلق من حوالينا بمنع اتصالنا بطيور السماء . هذا من الوجهة النظرية ، وأما الواقع فاننا أيضا خرقنا هذا الحاجز بدعوتنا أولا ، وبمائلنا ثانيا ، كما يرى القارئ في القريب العاجل .

وفي يوم الثلاثاء عاد السيد بشارة البويري للبحث عن الحادثة المهمة ومعه السيد جورج زويني المفتش المدني في دولة لبنان الكبير ، فدخلا علينا . واخبرانا ان الجنرال قد عاد من رحلته الى باريس في اليوم السابق وان أول قضية عرضت عليه قضيتنا . وأعاد السيد بشارة ما قاله في اليوم السابق ، ان بقاءنا في سجن بيت الدين مؤقت على التحقيق ، ولكن لا يدري الى أين يكون مصيرنا . فقال السيد جورج ان البعثة سألت باربر في امركم ، وهي تنتظر جوابها ، ولا ندري هل يرسلوكم الى قلعة محصنة في فرنسا مثل (فردون) او (الفوج) مثلا ، او الى غيرهما . ولا ذكرت جزيرة ارواد اجاب جوابا مبهما ، ثم في النهاية قال : الان وقد عاد الجنرال فإنه سيبت في امركم مع الحكومة الجمهورية . وقد حثنا السيد بشارة على كتابة شيء الى الجنرال ، نذكر له فيه شيئا من جور هذه المعاملة ، فاجبنا في اول الامر ، ولكننا رأينا من المصلحة بعد حين ان نكتب الكتاب الاتي

المشر سبتين الى المؤبد ، ثقبوا العقد الحجري في السقف ، وفروا في نحو الساعة العاشرة ، وكان بينهم فوزي بيضون المار ذكره ، واحمد الحبال ، وفائق الشرطي ، ووديع كرم من بيروت . وعمر اللوزي قبل الفراوي وغيرهم ممن لم نعثر على أسمائهم .

فبينما كنا سارحين في أحلامنا اذ ايقظنا ستيفن في الساعة الثالثة صباحا ، وأوهما أنه يريد ان يسألنا هل لنا غرض في بيروت ليقضيه لنا ، لأنه مسافر في ذلك الصباح اليها ، فشكرنا له اعتناؤه ، بيد أننا استغفربنا هذا السفر الفجائي ، فسألناه عن السبب ، فقص لنا ما جرى ، فقلنا انه انما ايقظنا ليطمئن ، هل نحن في حجرتنا ام قررنا مع من فروا . والواقع اننا لم اطمعنا في اليوم الثاني على جلية الامر لم نبرء ساحته وساحة كثيرين غيره من الاشتراك في هذا العمل الغريب ، اذ كيف يعقل ان يتمكن احد عشر سجيناً من ثقب عقد من الحجر تتجاوز صفاقته الذراعين ، فيفرون امام الجند الذين لا يفارقون السطح ، ومن بين يدي الخفراء الذين يطولون على السجناء من التوافد كل ساعة ، وعلى كل حال كانت نتيجة المحاكمة فيما بعد عزلة مع ثلاثة من السجناء .

اننا على مثل اليقين أنه لو قدر لنا أن يبقى مديراً في إيامنا ، وأردنا ان نحذو هؤلاء لمّا تعذر علينا ، وما سؤاله عن ماليتنا والضمائنة التي نستطيع ان نقدمها الا مقدمة لذلك .

أما ما جرى للسجناء المذكورين ، فان الدرك التقطهم واحدا فواحدا من القرى المجاورة ، وآخرهم كان احمد الحبال ، فانه نزل الى بيروت وهدد القاضي الذي حكم عليه في بيته ، وفي اليوم الثاني رآه شرطي في الطريق فأمره ان يقف فلم يلتفت الى كلامه مما حمّله على اطلاق النار عليه فأرداه صريعا يتفرج بدماه .

### تغير ادارة السجن اثر ذلك

سبب هذا الهرب انقلابا عظيما في السجن واضطرابا في ادارته،

وانبعنا هذا الكتاب الى الجنرال بكتاب آخر الى نفس المفتش ليكون لديه حجة لاجل مساعدتنا والسؤال من البعثة عن امرنا وهذا نصه :

### رسالة الى مفتش السجون :

حضرة الفاضل مفتش السجون في لبنان المحترم ،  
لنا الشرف ان نعلم حضرتكم انه جيء بنسا من دمشق على جرة من غير ان يسمح لنا باتخاذ الاحتياطات الكافلة لراحتنا ، وقد مضى علينا ستة ايام في سجن بيت الدين ونحن بحالة سيئة جدا ، بالنظر لفقد الوسائط الصحية من هواء طلق وغذاء صالح ونوم مزيج ، فاذا اضفنا فقد الالبسة والمال معنا ، قدرتم ما نتحمل من العناء والشدة ، لذلك اتينا بعريضتنا راجين من حضرتكم ان تزيلوا عنا الاسباب المفسدة بصحتنا واذنوا لنا بمخاطرة اهلنا بالششؤون الخصوصية المتعلقة بنا . واذا كان في النيسة قتلنا من بيت الدين ان تعلمونا قبل ذلك بعشرة ايام على الاقل ، لنستجلب من يوتنا ما نحتاج اليه من الضروريات ونفضلوا في الختام بقبول مزيد احترامنا سيدي ،

عن المعتقلين السبعة .  
الشهيندر

ثم لما ادرك المفتش قرب نفاذ المال في ايدينا ، قال انه مستعد ان يوصل لنا بصورة شخصية اي رسالة تتعلق بهذا الموضوع لاي احد من اصحابنا في بيروت . فخشينا ان يكون في الامر دسيئة يراد بها معرفة من نعتد عليه في بيروت ، فانخبنا من اصحابنا المتبحر من لا تحوم حولهم التهم فكتبنا له ما ياتي :

### رسالة الى صديق :

حضرة الاخ الفاضل ..... المحترم .  
سلاما واحتراما وبعد . فقد بلغنا مغادرة دمشق على حين

لنسجيل به على فخامة وعلى المستعمرين بعبارة رقيقة ما امكن ، هذه المعاملة القاسية التي لو صدرت بالقرون الوسطى لعمدت مستفجرة ، خصوصا وقد فهمنا من السيد بشارة ان سفرنا قد تقرر ، وانه قد يباغتنا الافرنسيون كما في المرة الماضية فيحملوننا من غير ان يكون معنا شيء من لوازمنا الى منفى ربما يكون من وراء البحار ، وشأن هذه الامة مع خصوصها بالقسوة مشهور جعلها مثال الانحراسة في نظر العالم المتحدين ، والخلاصة اننا بعد المذاكرة قررنا جميعا كتابة ما ياتي :

### رسالة الى المندوب السامي الفرنسي :

فخامة المندوب السامي في سورية ولبنان العظيم .

المعروض لفخامتكم اننا بلغنا مغادرة دمشق في الساعة الثالثة من صباح عشرين نيسان سنة ١٩٢٢ على جرة من غرة ، فلم يكن معنا من اللوازم الضرورية من حال اللباس وادوات النوم ما يكفل لنا شيئا من راحتنا ، وقد جيء بنا الى سجن بيت الدين في ( لبنان ) ، بعد ان بقينا في قلعة دمشق اسبوعين كاملين لم نر فيهما الشمس ، ولم نستنشق الهواء الطلق ، ولم يسمح لنا بمقابلة اهلنا . ونحن اليوم في سجن بيت الدين على مثل تلك الحالة ، بل اشد ، وقد انتهزنا فرصة تشریفكم بالسلامة ، فكتبنا هذه المريضة راجين فيها من فخامتكم وانتم اعلم الناس بحقيقة ما نسب اليها ان تعامل بمثل ما يعامل به المعتقلون السياسيون امثالنا ، وان تسمعوا لنا بمخاطرة اهلنا بعدما تتكلمون علينا بتعليمات فخامتكم النهائية بما يلزمنا من الحاجات الضرورية وعلى كل فالامر لفخامتكم سيدي ،  
في ٢٤ نيسان سنة ١٩٢٢ .

عن المعتقلين السبعة  
الشهيندر



السجن الناشف ، ثم أخذنا نوع المأكول ، فالفركات والتوابسل والمصقعات وحساء المدس كانت ضمن قائمتنا . وأما منامتنا فقد تقدم شيء عنها ، وأريد هنا فاقول ان الفرش في لبنان ضيقة بعرض النائم الا قليلا ، واللحف خفيفة وعريضة ليلتحفها المرء من جميع جهاته فتدفع عنه منافذ الهواء البارد الى جسمه . لذلك كانت اللحف فوق حاجتنا ، أما الفرش فمددناها بالعرض لتسند عليها نصفنا الاعلى ، وأما الباقي من جسمنا فقد بقي مدلى على الارض الجرداء في الليل ، وكانت الوسائد مسألة المسائل لانها صغيرة وبائسة أشبه بها يسمى بالحدديات . بيد أننا لم نعدم الحيلة ، ومن وطد النفس مثلنا على افتراض الرمل ونحاة الاجر في سبيل الوطن المقدس لا يستنكف بوجه من الوجوه أن يستوسد الصرر ويستخدم الاحذية كما فعلنا ، ولعمري انها لتذكارات مؤلمة ولكنها مفرحة في آن واحد فاي غضاضة على الرجل الشريف ان يدوق انواع الاذى والاسى في سبيل الهدف السامي الذي وضعه نصب عينيه ؟ وهذا محمد بن عبد الله مدل جبروت الوثنية ومزعزع عروش رومة وفارس ورافع لواء التجدد على المشارق والمغرب ، ذاق في سبيل الإصلاح الذي ينشده من الاضطهاد والتعذيب وهجرة الاوطان ، ما ليس يخفى على أحد . ومن تلك المخازي التي اقدم عليها اهل الجاهلية دفعا عن جهلهم ومنعا لنفوذ النور الى بصيرتهم ، مما أثرتنا اليه من وضيع الكرش الطافح على اشرف اعضائه وعلى رأسه حيث المجد والعلاء والشتم والاخلاص والنبات والصدق والمواساة والايتار ورؤية الحق الناصح .

### التحليل للاتصال بالخارج وشراء الجرائد :

ان اعظم اسباب الوحشة في السجن انقطاع المرء عن العالم الخارجي ولا سيما من كان مثلنا تتعلق اسباب سجنه على قضايا عامة تتناول مجموع الامة ، واذا تيسر خرق ذلك الحاجز في دمشق فذلك بفضل اخواننا ومن عرفناهم ، وأما في بيت الدين فلم نرسخ

غرة ولم يكن في جيبنا نحن ورفقاؤنا من الدراهم ما يكفينا اسبوعا واحدا . وحتى الآن لم يتسنى لنا مخابرة اهلنا لنتطلب منهم ما نحتاج اليه من الدراهم والحاجيات ، وقد رغبتنا ان نكتب لحضركم راجين منكم ان تتداركوا لنا ولرفقاؤنا ١٥ ورقة سورية لتسند بها عوزنا واننا ننتظر جوابكم بما يمكنكم من السرعة وتفضلوا بالاختتام فائق احترامنا .

### توفيق الحلبي

لم تأخذ جوابا على هذه الرسالة ، ولا ندرى ما فعل الله بها وليس بالمستبعد ابدأ ان تكون دسيسة من اساسها ، فتكون قد دفعتنا كيد الكائدين وان قضينا بضعة ايام اخرى في ضيق وعار . عاد المفتشان من حيث اتينا ونحن بقينا على الحال التي كنا عليها من الطعام والملبس . وربما لك للتأريء ان يطلع على فصل من فصول هذه الحياة في سجن بيت الدين فتقول :

### كيف أمضينا الايام التالية :

ملنا اللبن والزيتون والبيض والحلاوة فاشتاقت نفوسنا الى الطعام المطبوخ ، فاشترينا قدرا وبعثنا الى سليمان البستاني المتعهد فاشترى قولا وارزا ولحما ثم انبرى من بيننا احسن الطهاة فينسا ، فطبخوا لنا ارزا بالبول على الطريقة الدمشقية المعروفة . وبينما كنا نحمي السمون نسفت الطبخة على النار فسقاها من يجل صناعع الاواني النخار فانقلقت البرنية ، ولو لا رحمة ربك واسراع السيد الحكيم الى صفيحة كاز فارغة التي كفتنا فيها الطعام لدهبتا لتعابنا ادراج الرياح . رفعنا الصفيحة على النار واتمنا الطبخ ، ولا اكر اننا اكنا حتى امتلأنا فكننا نزرد الطعام كالبدو ان بأيدينا او بهلاع الخشب . وحسبنا اثر الكاز من الارز من الفلافل والقبلات . هذا مثال من الطبخ في سجننا على منواله سارت مدة اقامتنا ، وان كنا تعلمنا بعد دروس عدة ان لا يصيب الماء البارد على الوعاء النخار

كرز ادعى ان سواد الشعب المصري من فلاجين وموظفين هم من انصار الحماية البريطانية ، كان جواب الاحزاب التعطيل ثلاثة ايام متواليات في جميع دوائر الحكومة المصرية . وقرأنا اعلانا كان كالحجر في فم المستعمرين ، وهو تكذيب من حقي العظم حاكم دولة دمشق ، للذين اشاعوا عنه انه زاد الدرك والشرطة لحراسته عند نزوله لصلالة الجمعة خوفا من اغتيال الوطنيين له .

زلق لسان دولته فقال : ان تلك الزيادة اقتضاها الاضراب العام الشامل للبلدة منذ اسبوع .

هذا اول خبر التقطناه عن دمشق منذ غادرناها ، وهو خبير كما يرى القارئ ذو شأن عظيم ، يدل على أن المظالم ( النمرودية ) عجزت بكل وسائلها القاهرة ، عن اضعاف صوت الوطنية . ليست شعري ماذا يقول كاترو بعد ذلك ؟ وهل مصر على رايه أن يرجع الى العصر الروماني فيدعي ان شياطينا وشياطين اخواننا في السجن تمثلت لاهل الوطن ملائكة فسادتهم الى اغلاق حواجزهم والاضراب العام عن العمل ؟ . نعم ان الذي تمثل لهم لهي الروح التي تمثلت لكل من ذاق طعم الشرف ، وعرف معنى عزة النفس ، بل الشبح الذي اندرهم بالويل الذي حل بهم في عصر الانتداب الباهر .

وفي اليوم الثاني شكرنا لبدر معرفه وقدمنا له شيئا من الدراهم ، فكان جوابه لنا : ان المرء اما ان يعمل للشرف واما ان يعمل للمال . وهو لا يريد ابدا الا ان يعمل للوطن المقدس فزاد مقامه رفعة في نظرنا . ( ١ )

وقف المرحوم الدكتور الشهيد عند هذا الحد من الكتابة دون أن يتم هذا الموضوع الشيق . وبذلك ينتهي القسم الاول من مذكراته .

الناشر

قدما بعد لتؤسس لحم التعارف . ولكن لم يمض الا قليل حتى قبض الله لنا من الرجال من دعوانه بدرا ، فأظهر استعدادا لخدمتنا والقيام بما تصبوا اليه نفوسنا ، فكان اول طلب طلبناه ان يوافينا باخبار الخارج ، ريثما يذهب بنفسه الى دير القمر ويشترى لنا الجريدة المواقفة .

كان سبيل الكلام بيننا اننا كنا ننتظر غفلة سائر الحراس وجمعة النائمين فنتهاشم من النافذة او نتبادل الرسائل ، فكل رسالة تأتينا منه كانت على قلوبنا احلى من رسالة فيها موعد اللقاء بين الاحبة . فكنا اذا سمعنا حفيفا تشد عزائنا وتنفتح عيوننا فناخذ نرق الأرض ونتحفز كما يتحفز الاسد عند رؤية الفريسة ، حتى اذا وقفنا على الرسالة اللقاة تأهينا الى التقاطها ولو زحفا على البطون ، فذهبنا بها الى الزاوية المنحرفة عن الانظار حيث نقرأها على شعاع الصباح الضئيل همسا . وتفاهمنا كان بالاشارة والغمز . وقد تمر الساعات الطوال على بعضنا كالسيد منير وهو واقف في النافذة ، في الهزيع الثاني من الليل يترصد دورة البدر من وراء النفيوم الملبدة على دير القمر . واول جريدة تناولناها قرانا فيها شبه بيان من الكومندان كاترو ، منقول على الأرجح عن جريدة المقطم . وقد حصل عليه الخواجة موزاحي مكاتب تلك الجريدة ، وفيها يدعي كاترو وتدعي البعثة ، اذا شئت ، اننا لا نمثل الراي العام لان اغلاق المدينة جرى خطأ بتشويق بعض المفضين ، وكان في الغالب خوفا من السلب والنهب ، وان سواد الناس واعيان البلاد هم من طلاب الانتداب الفرنسي ، الى اخر ما هنالك من السفطات المضحكة التي تجعلها سخريه في اعين الناس . وذكر في نفس الجريدة وزعمت البعثة ان عملا بسيطا لا يؤبه له ، لو لا ان ثبت علينا ان الاعمال التي حدثت في المدينة أثناء سجننا هي من افرائنا وتحريضنا . منطق بديع وتنسيق افكار ساطع . مدينة عظيمة اغلقناها ومع ذلك يدعي المستعمرون اننا لا نمثل رايها ؟ وقرأنا فيها ان اللورد

## القسم الثاني

مذكرات الدكتور عبد الرحمن الشهبندر  
عن  
الثورة السورية: غوامضها، وقائعها، نتائجها

قال الدكتور عبد الرحمن الشهبندر :

**تهيهيد :**

من الخطأ الفادح أن يتصور الإنسان أن الثورة تكون عادة بنت ساعتهـا وليدة قائدهـا ، تنفجر من فم بندقيته كما انفجر الماء من شق الحجر لا ضربة موسى بعصاه .

فعلى من يريدون تدوين تاريخ الثورات أن يرجعوا الى اسبابها . وهذه كثيرا ما تكون بعيدة او قريبة .

### **الاسباب البعيدة :**

بقيت سورية جزءا من المملكة العثمانية من الوجهة الاجتماعية حتى .واخر سنة ١٩١٠ م، كمايبقى الطفل جزءا من الكائنات الى ان يدب فيه الوعي الفردي . فلم يخطر ببالها طيلة قرون متواليهـة انها وحدة منفصلة ذات قومية خاصة وكيان اجتماعي معين وذلك لان اجداد السلاطـان عبد الحميد الثاني ، كانوا مثله متمنطقين بسيف الاسلام القاهرة ، ومكسيين بكسوة الاقومية الانسانية الجذابة .

احتلت فرنسا سورية فلم تحفل بهذا الشعور الحي النامي ، بل عدت اعمال المعصابات في جبال الكليسة وعلى حدود لبنان « الكبير » والحرب في ميسلون والتظاهرات في دمشق ، بل تقرير اللجنة الاميركية الاستثنائية برئاسة المستر تشارلس كراين والدكتور كنتج ضربا من ضرب الدسائس الانكليزية والدعاية التي اثارها الفيصليون وما فتئت متعلقة بزوايا النقاربر التي رفعها اليها الجواسيس مهمة ما يقع تحت سمعها وبصرها حتى استفحل الامر وامتلأت القلوب فلم يعد في قوس الصبر منزع .

الجديدة في حماه وهي قيادة الجيش الوطني - الميس - فوجدت اعمال الغلظم والارهاق سائدة في تلك الارحاء .

واول مشهد رأيته ، هو أن جميع وجهاء المدينة وعلمائها اتفوا في غياهب السجن مع اشنع انواع الاهانات لتأخرهم عن تنفيذ اوامر الكابتن « ميك » « المستشار الاداري » - وهنا عدد القائد فوزي بك مشاهد اخرى تتعلق بتصرفات الجيش واعمال الموظفين ، وقد تناول فيها حادثة المفتح الذي اصاب كلب الكابتن « ميك » ومسألة تحريض عائلة الرحوم مصطفى بك العظيم على الانتقام من قاتليه وتقسيم البلاد الى حكومات واستخدام الاسافل في الوظائف ، وفصل ادارة العربان عن الحكومة المحلية واعمال جيش الجوقة السورية وتضخيم الضرائب على الكلفين واذكاء النعرات العائنية الى غير ذلك من الامور التي يتعدى علينا نشرها بحذفها سبب الظروف الحاضرة فنكتفي بالالاح اليها .

ثم اخذ فوزي بك في الختام يشرح مضار الصرف السوري ومقايير الذهب التي اخرجها من البلاد مما هو معروف ، فلا حاجة الى اعادته . وماذكرت هذه الخلاصة في الاسباب الا لتكون شهادة من موظف كبير خدع الجيش الافرنسي جينا من الزمن وراى الامور عن كثب ولو اردنا ان نضيف اليها بقية اعمال الموظفين الاخرين كالقومندان « ارلابوس » من الضباط السابقين مثلا لضاق بنا المقام .

ثورتان اخريان ساقبتان :

ولا بد لمن اراد الاطلاع بالعوامل البعيدة التي ادت الى هذه الثورة ، من الاطلاع على خبر المظاهرات الخطيرة التي حدثت في سورية سنة ١٩٢٢ والتي قتل وسجن فيها وعذب ونفي بسببها مئات من الرجال ، فقد كانت هذه المظاهرات تمرنا عمليا على ثورة مدنية انشئت القلوب واعادت اليها ثقفتها بنفسها بعدما استولى

الاعمال الاقتصادية :

ان كل خلاصة موجزة مثل تاريخ هذه الثورة لا تلتفت الى العامل الاقتصادي تكون ضربا من الافاصيص والاورهام فتراجع سورية في عهدنا الجديد الى الوراء في متوجها ومحصولها وصادرها وواردها وقيمة تقدمها ودولاب صناعيتها بل عدد سكانها لكثرة الهجرة وقلة الولايد ، كل ذلك كان له الشأن الاساسي في تزايد النفرة من الحكومة المسؤولة ودرس صفائح الديناميت تحت اركان هيكلها ولكن لا يفر عن الببال ان العامل الاقتصادي مهما علت مكانته في الشؤون الاجتماعية ليس الا نقطة الاستناد في التطورات الذهنية الكمالية ، فالمال وما اليه من اسباب الرفاه المادي ان هي الا الاقية الدنيا ، واما الصرح الشاهق فالكفايات النفسية التي تطلبها الاقوام الحية الشاعرة ، ان الضائقة الاقتصادية في اوسع معانيها نبهت في الشعب المشاعر الكمالية وفي مقدمتها الشغف بالحريه .

وكان حصر الوظائف الرفيعة في ابناء الترك وحرمان ابناء العرب منها على عهد الحكومة العثمانية نافذ الفعل بهذا المعنى مثل زيادة الوارد على المصادر اضعافا ستة في عصر الجمهورية الفرنسية . ان هذا جميعا ادى الى الاستياء ، والاستياء هو الحلقة الاولى في سلسلة التطورات العقلية .

فوزي بك القاقجي :

وقد رايت ان اتوسع في هذا البحث قليلا وافصل ما اجملت فسالت الاخ فوزي بك القاقجي ان يحفني بالاسباب التي حملته على الانضمام الى الثورة ، مع انه قد عرف بولائه للفرنسيين ونال في جيشهم رتبة عالية قلما ينالها غيره من الوطنيين فقال وقوله له قيمة منطقية خاصة ، لانه صادر عن بيئة خاصة :

« بارحت دمشق عقب الاحتلال الفرنسي لاتسلم وظيقتي

أهلها لاستقباله بالخيـل والرجـل كليهما ففرض عليها الفـرامات الباهظة وحشاشها في جيبه كما فعل في قرية « عرمان » مثلا .  
ومن ذلك ان هرة للملازم « موريل » ضاعت في السويـداء فغرم الاهـلين بسببها عـشر كـيرات عثمانية . وأن مصباحا للبلدية كسر او سرقه احد الجواسيس فحل بـرقاب الاهـلين اذ ارضوا على ثادية عشرة جنيـهات ايـضا .

وأن « دي بوشل » العريف الجندي خاصم محمد عز الدين بك الحلبي مدير العدلية فسدد اليه مسدسه فاطلقه ، ولكنـه اخطاه ولم يجاز على جنايته هذه المشهورة ولو بكلمة التعنيف من سيده .

وأنه استاء مرة من فهد بك الاطرش خريج الاستانة فضربه بيديه ورجليه وبالسياط على مـرأى ومسمع جميع الناس .

وكان اذا سمع وشاية من الجواسيس على احد من الاعيان او شيوخ العقـل ارسله حالا الى السجن من غير محاكمة او استنطاق وشغلـه بتكسير الحمى لتعبيد الطرقات كما فعل سليمان بك نصار مثلا وهو شيخ قرية « سالة » وعين اعيانها بالشيخ صالح طرية وهو علم في الفقه والصـلاح في الجبل .

ولما تقم على بني الاطرش وحاول سـحق نفوذهم وارغام انوفهم صار يلقي كل من تردد اليهم ولو بالسلام المجرى البسيط في غياـهب السجن . وكثيرا ما كان يترك السجنين من غير طعام بل على الماء المالح فقط ثلاثة ايام متواليات . وبالح بعضهم فقال لي بقيت اسبوعا كاملا على هذه الحال .

ومن نوادره التي لو كتبت بالابر على آفاق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر ، أن الجواسيس ذكروا له في جملة ما ذكروا ان السـدروز اذا تنحنحوا فانما يقصدون في تنحنحهم لعنة من يـمرون به من

عليها وهم العظيمة العسكرية .  
ان هذه الثورة الصغيرة كانت على التاكيد فاتحة عصر عملي جديد في تاريخ الوطنية الحديثة في سورية ، ويلحق بذلك تظاهرات سفكت فيها الدماء ايـضا ، كان حدودها في دمشق في اوائل سنة ١٩٢٥ يوم زارها اللورد بلفور مؤسس الوطن الصهيوني القومي في فلسطين على حساب الامة العربية .

وكان لتلاميذ المدارس العالية في العاصمة الاموية دور خطير في تنفيذ خططها وتزيتها ولم يكن الاحتجاج فيها والحق يقال على اللورد بلفور ووعده فحسب ، بل كان على الاستعمار جميعا في كل زمان ومكان .

ومما هو جدير بالذكر ، أن المـزاج العصبي في بعض الموظفين الافرنسيين ، وجهلهم الفادح بالادارة والشؤون الحطية كـسان اداة صالحة لتبنيـخ النار وزيادة لهيبها .

### الاسباب القريبة :

هذه بالاجمال هي الاسباب البعيدة ، واما الاسباب القريبة فقد حدث في جبل الدروز ان المـسيطرين توسلوا بالخيـل الاستعمارية الملوثة من القاء بذور الشقاق بين الطائفة الواحدة الى اـحلال حاكم عسكري افرنسي بعد وفاة سليم الاطرش محل الحاكم الوطني ، فكان اسم هذا الحاكم الجديد الذي طبقت شهرته الخافقين بفضل نوادره القروضية وسيرته الايـكورية « الكايتين كارييه » .

بدأ هذا الرجل حياته في الجبل مستشارا ثم ارتقى فصار وكيل حاكم فاصيلا على عهد الجنرال « فيجان » المفوض الاستعماري الاكبريكي المشهور . وسار في اول الامر سيرة لين وعطف حتى تمكن من العـض فنهش .

ومن نوادره المفزة انه كان اذا ذهب الى قرية ولم يخرج

## استدراك الثورة

ضاق « بنو معروف » ذرعاً بحاكمهم ، وسدت سبل النجاة من اعماله في وجوههم ، فاختدوا يفكرون ، والحاجة تفتح من اذهانهم حتى ادركوا ان لا مناص لهم من الثورة .

ولكن ما العمل والجبل صغير وفرانسة دولة عسكرية كبيرة وهل تدخل سائر المناطق السورية معهم في هذه الشرقة الخطيرة يا ترى ؟ ..

الوطنيون :

كان الوطنيون قد مهدوا السبيل الى الاعمال الكبيرة بالثورات المحلية التي احدثوها ، والاضطرابات العامة التي سببوها من اضراب عن العمل واغلاق الحوانيت والمخازن واحتجاجات داخلية وخارجية ومعلومات صحيحة رفعوها الى عصبة الامم مما نور الازدهان ورفع مستوى الادراك السياسي العام .

وكان الاستياء المستفيض ، والحق يقال ، هو المادة « الخام » التي استخدموها في معاملتهم ، فاستخرجوا منها خير العمولات المينة ذات الطراز الحديث ، بحيث تمكنوا بواسطتها من انشاء بعض الاحزاب السياسية العظمى في طول البلاد وعرضها واصداد

غير طائفتهم وشتم دينه . فويل لمن كان مصاباً بالنهاب حسبي في حلقه او زكام في حنجرتيه ، فان ذلك يعني بقاء في السجن الى ان تزول اعراض قرحته .

هذه نبذة مختصرة من نواتره في الظلم وحجر الحرية الشخصية اجمع الرواة عليها وبلغت حد التواتر .

فاذا اضفنا الى ذلك كله المرض البهيمي الذي بقي معه من سن الصغر والى الهنات الساقطة التي كان يرتكبها والتي لا يسمح الادب بالاشارة اليها اكثر مما فعلنا ، ادركنا حالا علاقه القريه بهذه الثورة المباركة .

وكثيرا ما كنا نقول في مناطق الثورة ، ان الاعتراف بالجميل يقضي بوضع الكاينين « كاريه » في مجموعة صور المؤسسين لنهضة سورية لانه من غير شك كان من العوامل العظيمة التي انتت الانظار الى شر المستعمرين واسرعت بالخطى للوصول الى الحرية .



الاراء على انه من الافواه المهمة التي نفخست في بوق الثورة .

### دور الكابيتين «رينو» :

ارتأى « رينو » أن يقابل الزعماء الجنرال « ساراي » وطلبوا اليه الخلاص من « كارييه » ففعلوا وسافر منهم الى بيروت المرحوم الامير حمد الاطرش والمرحوم نسيب بك وعبد الفغار باشا الاطرش واسعد بك مرشد وغيرهم . ولكن الجنرال رفض هذه المقابلة كما هو معلوم ، فعادوا من حيث اتوا وهم اشد حنقا واكثر رغبة في الانتقام ، وكان هذا العمل من اشد العوامل القربية التي أدت الى الانفجار .

### بواد الثورة في السويداء :

وفي اليوم الاول من عيد الاضحى ٢١ تموز سنة ١٩٢٥ اجتمع فتيان بني معروف في السويداء باشارة من الاعيان ، وقامسوا بتظاهرات نادوا بها : فليستقط « كارييه » الظالم وليجيا « رينو » العادل ثم اتخذوا يبحثون عن اعضاء المجلس النيابي ليحملوهم على عزل ذاك واحلال هذا محله ، فصادفوا فارس بك الاطرش وهو احد الاعضاء ومن لعبوا اشنع الادوار هو واولاده في تأييد المستعمرين على ابناء وطنهم فهجموا عليه وأوسموه ضربا . ولكن قائد الدررك حسن بك صمخر انقذه من بين ايديهم وصر فهم عنه .

الاراء لقبول التبعات العملية الجديدة ، ثم صفوا حطب « اليبلة » وكوموه بصورة منتظمة ولم يعدموا من يولع فيه النار من ابناء البلاد الابرار . فلما اذنت الساعة والتقى الدروز الهالكون في بحار الافكار باخوانهم في دمشق ، شعروا انهم بلغوا ساحل الامان اذ نزلوا بينهم على الرحب والسعة .

### الاجتماع الاول :

عقدوا اول اجتماع تمهيدي في بيت القاسم الهيماني صاحب جريدة الفيحاء في اوائل شهر مايو « ايار » سنة ١٩٢٥ م حضره المرحوم الامير حمد الاطرش ، ودار فيه الحديث حول اشغال نار الثورة ثم اعقبه اجتماعات اخرى متعددة في منزلي في « عرنوس » على طريق الصالحيه حضرها عدد كبير من زعماء الدروز كالمرحوم نسيب بك الاطرش وعبد الفغار بك الاطرش والبي حمدي سيف العيسمي ومتعب بك الاطرش وغيرهم من كبار الرجال فاختذت فيها العهود والوائق بصورة سرية واقسم الحاضرون باغلاظ الايمان على تحقيق الوحدة والاستقلال وقد جرى ذلك كله من غير ان يكون للاحزاب الرسمية وغيرها اقل اتصال مباشر . ولم يحن الوقت بعد لتنفيذ مزامع الجنرال « سراي » وغيره في اتهامهم الابرياء والقائهم في غياهب السجن لان تبعته الاشتراك وتوحيد المساعي تعود على من حضر هذه الاجتماعات فقط لا على غيرهم . وما تم لم يتم باسم الاحزاب بل باسم الافراد ومن تشبههم فقد غادر الدروز دمشق الى الجبل وايمانهم اشد رسوخا بوجوب الثورة .

وحدث في تلك الاثناء ان الكابيتين « كارييه » سافر بالاجازة الى فرنسا فحل محله الكابيتين « رينو » بالوكالة ، ولا آمن في الدروز تلك النفرة المخالصة التي فزتهم من حول « كارييه » ، طمع ان يحول الوكالة الى اصالة ، فاخذ يدس دسا اوليا حاذقا بحيث اجتمعت



## الضاعفات :

اراد سلطان باشا الاطرش في صباح اليوم الثاني ان يتفبب عن السويداء ويذهب الى قرية سميج لحضور مأتم « حمود نصر » فاوعز اليه الكاكتين « رينو » بالبقاء لان خطبه في تهيج الناس على « كارييه » لم تنته بعد ولم تتكلم بأكايل الظفر كما يشتهي وهذا ما يفسر لنا الاجتماع الذي عقد في المساء في بيت الترجمان يوسف الشدياق وقد حضره كل من سلطان باشا والمرحوم البربور البطل المشهور وحسني بك صخر قائد الدرك ، وكانت الغاية من هذا الاجتماع المأبرة على التظاهرات لعزل « كارييه » ارداد الاضطراب واكفهر وجه السماء الصافية فارسلت المفوضية في اليوم الخامس من العيد القائد « تومي مارتين » الاستعماري الظالم المشهور لتناول مقابله الامر من « رينو » بتهمة انه هو المؤسس لهذه الاضطرابات فاخذ في التحقيق الدقيق ومن ثم دعا اليه عبد الفقار باشا ونسيب بك والامير حمد الاطرش وقال لهم ان الجنرال « ساراي » يرغب في مقابلتهم .

## استدراج الزعماء واعتقالهم :

غادروا الجبل لتحقيق هذه المطالب فلما بلغوا دمشق قبض عليهم المسيو « شوفر » مندوب المفوض السامي وساقهم الى المنفى في تدمر ، فجازت عليهم هذه الجيلة التي كانت من اكبر الاسباب في منع الناس من الاستسلام للخداع الاستعماري فيما بعد .

وكاد يكون من باب الاساطير ان ممثلا خطيرا لاعظم دولسة عسكرية يتلوع بجيلة الصعاليك الصغار فيحول دعوة رسمية للالقاء في السجن والنفي الى الاماكن الخالية .

وبعد ايام سيق الى « حسجه » كل من برجيس بك الحمود وعلي بك الاطرش وحسني بك صخر وعلي بك عبيد ، واخذوا معهم

## إعلان الثورة

انصرفوا وهم يهزجون اهاريجهم الحماسية المروفة ففاجاهم الملازم « موريل » صنو الكاكتين « كارييه » وزميله في الاعمال القاسية البربرية ، فنزل على ظهورهم بالسياط ، وعلى اذانهم باللعنات فما كان من حسين مرشد الباسل الا ان ضربه على انفه بالعصى ومن يوسف بك ابن عبد الفقار باشا الاطرش الا ان اطلق عليه ميارا ناريا .

انهزم « موريل » والاحجان من ايدي المهاجمين ( المتظاهرين ) تنهال على كتفيه حتى بلغ دار الحكومة ، فطلب مغارزة الجنود بالمهاتف في القلعة — من غير استشارة رئيسه الكاكتين « رينو » ، اما هذا فقد ارتأى ان يقف عند هذا الحد ويحل المعضلة حلا سليما ، فدعى اليه الوجوه والاعيان وحملهم على الاعتراف بخطاهم ففعلوا ، ثم طلب منهم غرامة قدرها مائتا جنيه عثمانى فادوها لكن ذلك لم يكن كافيا في نظر المستعمرين . بل اصرروا فوق ذلك جهلا منهم بطابع البلاد على هدم دار حسين مرشد فهاج الشعب لهذا الطلب القاسي الذي لا يعمل المستعمرون شيئا مثله وقام بتظاهرة مسلحة اطلق فيها الرافا من المعينات النارية .

وفي غضون ذلك نزل الجند الذي طلبه « موريل » واستعد للقتال وراء المتاريس ولكن سلطان باشا الاطرش وعبد الفقار باشا الاطرش وحسني بك صخر كانوا قد تمكنوا من اخماد الهياج وصرف الناس الى منازلهم .

وعلى رأسهم أبو حسن فضل الله بك الاطرش البطل الحر المشهور  
وفيها تقرر الزحف على صرند لحرق البشة الفرنسية فيها .

وقد انفذ هذا القرار بمساعدة اهل صرند انفسهم وبهممة  
رجالها جاد الله بك الاطرش .

هنا بلغ سلطان باشا تجمع العسكر في القرية فقرر مع الزعماء  
الزحف عليهم والايقاع بهم فطاروا الى الحرب كالمواقع المحرقة .  
اراد الجنود الذين قدموا القرية لارهاب سلطان باشا واخوانه  
الدخول اليها فحذرهم علي بك شقيقه من مغبة الامر ، فحلوا عنها  
الى الكفر حيث تولوا في ٢٢ تموز سنة ١٩٢٥ على ماء واخذوا في غسل  
ثيابهم واصلاح شؤنهم ، لكن شيخ الكفر اسعد بك مرشد ، عرف  
ما كان جاريا وراء الستار فانذر الكابيتين « نورمان » قائد الحملة  
ثلاث مرات متواليات بوجوب الحذر ومفادرة هذا النزول فليسلم  
يخجل بكلامه سوى ان ترفع بجنوده الى موقع وعز مستدير يشرف  
على الطرقات واستعمل من انواع التهديد والوعيد للرجال الذين  
انذروه مادل على غروره حيث قال : انه بمجرد الرشاش الذي  
يستعمله قادر على قتل ثلاثة الاف درزي .

### المركة الاولى :

الموقع الذي حدثت فيه الملحمة من اوعر واحسن ما رأت  
عيني ، فقطع الصخر مصطفة فيه بشكل مستدير اصطفافا يكاد  
يكون مصطنعا ، وكل واحدة منها متراس قائم بنفسه ويؤلف  
مجموعها شكل بحيرة جافة لا مثيل لاحد بمقائنها او مهاجتها  
اللهم الا من اوتي ايمان الانبياء وعزم الجبابرة .

انقسم الدروز الاشواوس بقيادة سلطان باشا الى قسمين  
وقفوا من جهتين متقابلتين وكان منظرهم وهم يقتحمون نيران  
البنادق من ارباب المناظر .

في طريقهم الى دمشق يوسف بك الاطرش .

وكان سلطان باشا الاطرش في تلك المفضون قد رحل السي  
قرية « رساس » فجاء الامير حسن الاطرش وقص عليه ما جرى  
من حديث النفي الى تدمر فاشمازت نفسه كثيرا ورأى الفرصنة  
سانحة لاشغال النار فاخذ يتجول في القرى والدساكر ويحضر  
الناس على استعمال السلاح .

### الدروز ينتخون ويتخذون السلاح :

ابتداء ( سلطان باشا الاطرش ) من ام الزمان فامتان فملح ثم  
عزمان فصرند . وليس في تاريخ الثورة جميعا صفحة تذك قراءتها  
اكثر من خبر السياسة التي سلكها في التنقل من قرية الى قرية .  
فلما ذهب من امتان الى ملح مثلا ، سار معه نحو اربعين فارسا  
لكنه ارسل رسلا قبله فاهموا اهل ملح ان جميع الرجال القادمين  
على حمل السلاح في القرن الجنوبي هبوا على قدم وساق لانتقاد  
شرف الطائفة الدرزية .

وكان اذا دخل قرية رصف الناس حوله ورتبهم ترتيبا يلفت  
الانظار ثم ياخذون جميعا في اطلاق العيارات النارية في الفضساء  
مع اهازيهم الحماسية التي قلما يجاريهم احد في استخدامها  
وحسن استعمالها .

لا جرم ان القرى كانت تلاقيهم بتلك العادة الجميلة صادرة  
(الانتخاء) المشهورة ومن ثم تنضم اليهم وتسير معهم .  
ويجدر بنا ان لا ننفل هنا اسم الشيخ يوسف العيسمي  
من قرية امتان فقد مثل في هذا الترتيب دورا خطيرا .

### بداية الزحف :

لا بلغ المجاهدون قرية عرمان استقبالهم اهاليها خير استقبال

في معاركهم التي تمت فيما بعد .

٣ - لانها الفت عبء القيادة العامة في الجبل مدة الثورة على عاتق الزعيم الذي انتصر فيها هذا الانتصار الباهر ومعنى ذلك انها اوجدت من الفوضى التي يتعمقها السوريون نواة صالحة للنظام وتوحيد المساعي لبلوغ غايات حرية معينة . ولو لا ذلك لكان عدد الذين يتسنعون غارب القيادة الحربية بحق او بغير حق لا يحصى ، لان عادتنا ان من آتس في نفسه قمحة من الحياة يتوهمها جبلا من القوة .

ويجدر بنا ان نذكر ان المراسلات الرسمية التي اطلعنا عليها مسيو « كيريلي » في جريدة « ايكو دي باري » دلت على ان « تومي مارتان » كان واسع الاطلاع شديد التشاؤم ، عارفا بالدماء التي ستسيل في الجبل .

وقد ذكر هذا في احد تقاريره تاريخ اتفاق عقد بيننا وبين زعماء الدروز فجعله في اليوم الثامن من تموز سنة ١٩٢٥ . ولعله يشير بذلك الى الاجتماعات التي عقدناها في دارنا لان الجلسة التي قررنا فيها اضرار ناز الثورة في الشمال مع اخواننا في الجنوب عقدناها في بيت رجل من كبار رجال الوطن في مساء اليوم العشرين من آب سنة ١٩٢٥ ، ودامت الى صباح اليوم الحادي والعشرين وقد حضرها من كبار الرجال « يحيى حياتي بك » وحسن بك الحكيم وسعيد بك حيدر وجميل مردم بك ونسيب بك البكري وفوزي بك البكري والرحوم سعد الدين بك المؤيد العظم والرحوم توفيق بك الحلبي وغيرهم وتقرر ان يكون خروجنا من الشام في يوم الاحد في ٢٢ منه .

### حمل السويداء :

نزل المجاهدون في السويداء لحصار القلعة بعدما كثر عددهم

ومن اراد ان يقدر حرارة الحماسة التي كانت تغلي في صدورهم فحسبه ان يتذكر انهم قطعوا تلك المسافة الشاسعة من صرفد الى الكفر عدوا ولم يتقوا الا حيث اوردوا خيولهم ماء في منتصف الطريق واوردوا سيوفهم في منتهائها .

لم يفض عشرون دقيقة على المحمة بالسلاح الابيض حتى قضوا على الحملة قضاء مبرما ، فلم يفلت منها الا بضعة افراد استطاعوا نقل خبر الكارثة الى « تومي مارتان » في السويداء .

ولم يزد عدد المجاهدين على المئتين وتجاوز عدد الجنود على المئتين والمستين وكانت خسائرنا اربعين شهيدا منهم مصطفى بك الاطرش شقيق سلطان باشا واسماعيل بك الاطرش نجل جادالله بك .

ان الداخل اليوم الى هذه البحيرة (اوائل ايلول سنة ١٩٢٥) وقد جفت دماؤها يرى فيها ارجل الجنود مستتره وراء الصخور ومن هنا وهناك جماجم تبصيص وهي مكشورة عن انيابها كانوا منكمشة من هول الضربة التي نزلت بها .

ويؤكد الثقة ان الجمجمة التي على الباب هي جمجمة الكابطين « نورمان » فكانها تجر سها من سباع البر وطيور الغلا .

### نتائج المعركة الاولى :

ولهذه المحمة شأن خطير في تاريخ النهضة السورية :

١ - انها جعلت الثورة امرا مبرما .

٢ - انها دلت على ان الحق الصريح ولو تقصته العدة والعدد قادر في كثير من الاحيان على مقاومة القوي ولو ايدته الالات الضخمة والجحافل العظيمة .

وهذا من اكبر البواصت على النشاط الذي ابداه المجاهدون

المجاهدين من القرى .

ولم ينبج من الحملة الا من لاذ بالفرار ليعلم القائد ان سينا بني معروف لم يبق ولم يدر .

### اثر هذا الهجوم واحتدام المعركة :

فتح اهل القرى عيونهم في الصباح فرأوا الاحواش والاصطبلات مملوءة بالاحمال المعلقة والدواب المسومة . والاهاريج تشق عنان السماء بذكر النصر الباهر والكسب الثمين ، فهبوا الى خيولهم واسرعوا الى اكمال العمل الذي لم يتم في المساء . وقد تقدم الجميع مائة وسبع عشر فارسا من اشاوس السويداء المشهورين ووراءهم على البعد من اهل المجدل ونجران وسليم وغيرها من القرى القريبة زهاء اربعمائة مجاهد فلما لاحت عين المزرعة من القرى القريبة لهم كان في السماء طيارة تحلق فوق الجيش فنزلت لتختر القناذ بوجود النقهقر للاكسار الربيع الذي حدث في اليوم الماضي ، ويقال ان الجنرال « ميشو » كان في هذه الطيارة .

### وصف المعركة الموهلة :

وبينما كان الجند يستعد لتنفيذ الامر في النقهقر رأى على بعد ابناء معروف ، فأسرع لتكوين الثائريس والاضطجاع في الخنادق الطبيعية ثم اخذ البرق يرمض من افواه المدافع والبنادق والرعد يتصف فيصم الاذان . ولكن اشاوس بني معروف تقدموا . خرقت الرصاص الصدور وحصدت قذائف المدافع الارض ، ونثرت قطع الصخر في السماء لكن اشاوس السويداء تقدموا .

واخذت الصفحات تكرر وتفر كانها أبطال الجاهلية وهي تصب من افواها الحمم ، لكن اشاوس السويداء تقدموا .

ثم جاءت الطائرات تحلق فوق هام الرجال وتلقي من تحت

وتضعف بانضمام البيوتات الى جانبهم ما عدا بعض افراد لوثوا شهرة آباءهم واجدادهم ببقائهم على موالاة المسيطرين .

### معركة المزرعة وحملة الجنرال ميشو :

اضطرب الجنرال « ساراي » لتعيق الفرسان ايما اضطراب ، واخذت الاوهام تستولي عليه فلم ير امام عينيه بابا لاعادة السكنية لا بالقوة شأن كل عصبي يعقد موزانته في الكوارث المفاجئة فجهر حملة كبيرة لتأديب الثوار يتجاوز عدد افرادها خمسة الاف وعلى رأسها الجنرال ميشو . وهي مجهزة بأحسن العتاد واحشدت الآلات ، وتحوم فوقها الطائرات وعزرائيسل يتدلى من تحت اجنحتها . شرقت هذه الحملة من محطة ( ازرع ) في صباح اليوم الاول من آب سنة ١٩٢٥ ، فعلق معها الدروز في حرب ، وكان عددهم يقارب الثلاثة الاف فرأوا ان لا مثيل لهم بمصارعتها للوهم الذي استولى عليهم مما رأوا بأعينهم من نارها وسمعوا بأذانهم من افواه الجواليس عن عددها وعتادها ، فانهزموا شر هزيمة بحيث ان علم قرية ( امتان ) وهي في الطرف الجنوبي من الجبل بات مع من يحمله في ارجائها . واما الحملة فقد نزلت على ماء يدعى ماء المزرعة بالقرب من السجن والمجدل .

### المجاهدون يستعيدون المبادرة :

حدث في المساء ان ثلثة من المجاهدين من اهل القرن الغربي من نجران وعاهرة وغير ذلك من القرى ومعهم عدد كبير من اهالي القرن الشرقي بينهم من الابطال امثال : جادالله بك سلام ، ومحمد بك شرف ، والجميع لا يبلغ عددهم المائتين انتقوا بمؤخرة الجيش حيث الدخان والطنابر على ظهور البغال تحرسها « النفرقة السورية » وكان ذلك في القرن الغربي ما بين قريتي « السدور وبصرى الحرير » فانقمصوا عليها اقتضاى الصاعقة حتى اذا خيم المساء كان العتاد جميعا من الطنابر والبغال والخيال في قبضته

نقد كان المرحوم حمد بك ، على صفر سنة آية في اللدكاء والعقل والشجاعة النادرة وكان اليد اليمنى لسلطان باشا في السلم والحرب واجمع الرواة على ان فقدته كان مصيبة في هذه الحرب ولو بقي حيا الى يومنا هذا ، لكان له شأن في هذه الثورة ما بعده شأن .

وحدث في تلك الساعة ، ان جاسوسا اتى احد الرعاء في دمشق من قبل الكابيتين « بسكال » فآخذ من جيبه ساعة وقال وهو يشير اليها :

« حينما يصل العقرب الى هذا الرقم - يعني الساعة الاولى بعد الظهر - يكون الجيش قد بلغ السويداء وقضى على المتمردين من الدروز » .

ولم يدرك في خلده ، ان الجيش في تلك الساعة يكون قد خرج من عالم السكون الى عالم الزوال .

### بعد المعركة :

باد الجيش ، ولم يسلم منه الا القليل من قول تبلغ زهاء الف ومائتين لم يصلوا الى المسكة الحديدية في قرية ازرع الا بشق الانفس . وقد وصفهم احد المسافرين في المحطة فقال : « لا اذل على الاختلال الذي طرأ على عقول هؤلاء في هذه المحنة من رؤيتهم وهم يلقون بانفسهم على القطار الداهب الى دمشق ، فقد كانوا يتمسكون بالركبات تمسك الغريق بنوائيه الصخور ، وكثيرا ما كان التسبح منهم يترأى عن بعد قادما الى المحطة ثم يختفي اما لخور عريمته او لضلاله عن الطريق .

وكانت الضمائد على جراحهم والفاائف على رؤوسهم توهم المرء انهم اهل مستشفى فروا منة لحريق اصابه » .

اجتاحتها اطنان المرفعات فتحقق هذه في القلائع حفرا ما اشبهها بالآبار الناضبة يفوس فيها الناس الى فوق الراس . لكن اشاوس السويداء تقدموا . وتقدموا لانهم مؤمنون . والمؤمن اذا اهترت نفسه بتيار العقيدة اقتحم المهالك وشق طريقه ولو في ظلم الفناء .

دب الفرع الاكبر في قلوب الجنود ، فاخذوا ينفثون كالصرعى وينقلون كالمخاططين في عقولهم على غير هدى ويطلقون نيرانهم بصورة طائشة ومن غير تسديد لان حذر الموت اعتراهم وحال دون ارتكاز انتباههم على قمحات البنادق فانقض عليهم ابنساء السويداء ومن ورائهم سائر الدروز الذين تبعوهم ، فجرت ملحمة بالسلاح الابيض لم يجر مثلها في البلاد منذ ذكر الواقدي خبر الفتوحات المربية .

### ابطال المعركة وشهداءها :

ومن برز في هذه الملحمة وفاق الاقران المرحوم سليمان العقباتي من قرية السجن ، فقد كان ينزود عن الدروز ويهز صارمه وينادي : اشهدوا ، اشهدوا ، اقرأوا ، اقرأوا .

ثم يكر على المستعمرين فيضرب الواحد منهم ضربة كثيرة ما يترت عنته او شقيقته نصفين .

وقد قتل في هذه الطريقة نحو ثمانية عشر جنديا ، الى ان اصابته رصاصة ، فخر صريعا يتخبط بدمه .

ومن قتل في هذه الملحمة من الرعاء الكبار المرحوم « حمد بك البربور » من قرية ( أم الرمان ) وهي قرية في القرن القبلية لها الشأن الاكبر في الاعمال الوطنية الخالصة . ولشيخها سليمان بك الاطرش وزعمائها قاسم النبواتي والشيخ امين زين الدين وغيرهم من رجال السمعة الطيبة في الكرم والشجاعة .

## دراسة الوضع بيننا وبين الدروز :

وقد تناولنا بعد حين رسائل الدعوة لوضع الخطط المشتركة من سلطان باشا الاطرش وجاد الله بك الاطرش ، ومحمد عز الدين بك الحلبي ، فدرسناها درساً وافياً وقررنا بشأنها القرارات الضرورية .

وكان مندوب الجبل الذي حمل اليها رسائل هؤلاء الزعماء الضابط محمد بك كيوان الذي نزل ضيفاً في بيت نسيب بك البكري .

ولكن الذي حدث في تلك الغضون ان بعض الاصدقاء ارسل الى الجبل ثلاثة مندوبين للذاكرة الدروز ، هم السادة : توفيق الحلبي ، واسعد البكري ، وزكي الدروبي فبلغوا الجبل في الساعة التي كان الكابتن « رينو » مندوب الجنرال سساراي يفاضوهم باسم الدولة المنتدبة لوضع اسس السلام .

فحالاً دخلوا المجلس ، تكلموا باسم الاحزاب وفي مقدمتها ( حزب الشعب ) وقاوموا فكرة الصلح مقاومة عنيفة حتى قضا عليها بعدما اوشكت ان تتحقق .

ان عملهم هذا قد حال دون عقد الصلح حتماً ، فهو بذلك كان ثورياً من الطراز الاول ، بيد انه اضر ببعض الزعماء وباعضاء ( حزب الشعب ) ضرراً بالغا فوضعهم تحت المراقبة الدقيقة وكاد يشل حركتهم .

والانكى من ذلك انهم اتفقوا مع سلطان باشا على ان يزحف الدروز على جهات الاكسوة في صباح اليوم الثالث والعشرين من اغسطس (اب) بحيث تخرج الى ملاقاتهم مع عدد من المجاهدين الشوام لا يقل عن المئتين فنهجم مشتركين على عاصمة الامويين الخالدة .

## ساحة المعركة :

وقد زرت ساحة هذه المحنة مراراً وحاولت ان احصي عدد الجثث الملقاة فيها بالضغط ، فلم افلح لسمعتها ، وحسبي ان اقول انني مشيت من عين الزرعة ، الى الطريق المبيدة مغرباً نحو ساعتين بين الجثث والعتاد الملقى على الارض فلم انتبه منها ، ورأيت خمس سيارات مصفحة محروقة وقد امالها الدروز على جوانبها حين الهجوم باكتافهم وقتلوا سواقها ومساعدتهم بالمسدسات من كواها المرتفعة ، وان رؤية هؤلاء السواقين متعاقبين ملتحمين تدل على هول ملاقوه من المهاجمين .

### ساراي يخفي نتائج المعركة عن السوريين :

عمل الجنرال ساراي جهد المستطاع لاختفاء خبر هذه الكارثة عن المناطق السورية وفرق العيون والارصاد على دور المشبه فيهم ، وكان نصيبه من ذلك ثلاثة يعملون بالتناوب والاشتراك مما عرقل المساعي كثيراً وحال دون عقد الاجتماعات المهمة عندي .

بيد ان كل سعي لرحلة الكابوس الفرنسي من صدور البلاد لا تستطيع القوى البشرية ستره عن الراصد لان عيونهم تشبه عين الفلاح في السنين المحطة الناشئة . فهي ابداً محدقة بالافق ترقب انفجار وجه السماء .

### ليت الدروز تابعوا زحفهم الى دمشق :

اخطأ الدروز فلم يواصلوا الزحف على الشام بعدما افتوا حملة ميشو هذه وخلعوا قلب الجنرال ساراي من موضعه وبذلك اضاعوا فرصة ثمينة ، ولم تكن نحن في الشام على استعداد لجني ثمار هذا الانتصار الناجحي الباهر .

وابلا من القنابل .

صرفنا المساعي في الاسبوع الاول من شهر سبتمبر لتنفيد خطة الهجوم على الشام وسلمنا القيادة في هذا العمل الى يحيى حياتي بك فكان رايه حشد خمسمائة فارس تنقسم الى خمسة اقسام ، فتدخل الماصمة الاموية من ثلاثة مدخل مختلفة . لكن لم يجتمع لدى سلطان باشا العدد الكافي ايضا للقيام بهذه الخطة الجوهرية . وقد رأينا من الدماشقة الذين قدموا الجبل للاشتراك معنا في الخطط والتعاون غير من ذكرنا ، المرحوم حسن الخراط الذي لعب اعظم الادوار في القوطة والمرحوم سرحان ابو تركي الدبري الشجاع الباسل والشيخ محمد حجاز ثم حضرتي حسن بك الحكيم وسعيد بك حيدر من كبار مؤسسي حزب الشعب . وقد وصلا الى الجبل من زحلة بطريق وادي العجم وبعد حين وصل عدد من الضباط والمتطوعين الاشواش منهم المرحوم ابراهيم صدقي وجميل البيك وبعد القادر القواص وبشير الهندي وغيرهم .

وبينما كنا نعهد السيل لتاليف حملة مشتركة تهاجم الشام ، كان الجنرال غاملان يحشد الجند طول السكة الحديدية في حوران ، فرأت القيادة العامة ان توجه نظرها الى مهاجمة هذا الجند ، فتركنا قرية « أم ضبيب » في الشمال وذهبنا الى جهة الجنوب الى قرية « عرى » حيث اجتمعت القرى للتداول في هذا الامر .

معرفة المسيفرة :

اسفرت المداولات الطويلة المترددة المملة عن الاتفاق على مهاجمة الجند في اهم نقط تجمعه . وكان المجاهد الذي وضع الخطة واصر عليها محمد بك عز الدين الحلبي الناصر الشجاع الذي مثل دورا مهما في هذه الحرب القروس .

وخاصة رايه ان يفاجأ الجيش الفرنسي بقرية المسيفرة

لقد تم هذا الاتفاق في نحو اليوم السابع من شهر افسطس وبلغ الوطنيين خبره في اليوم العشرين ، فلم يعد امامهم لتنفيده الا يومان انتان : الحادي والعشرون والثاني والعشرون اذن فتنفيذ مثل هذه الخطة الخطيرة على هذا الوجه من السرعة هو من باب المستحيلات ، ومع ذلك فقد صرفت الجهود العظيمة واتخذت القرارات العملية الخطيرة ، وبعد ثلاثة ايام كنت في طريقي الى الجبل بعدما حاولت الوصول اليه من قرية ( حوش متين ) بحسب الاتفاق الذي تم بيننا في دمشق .

وقد صرفت تلك الليلة مع يحيى حياتي بك ، وزية بسك المريد عند جميل بك مردم بك ، فلم اجد شيئا من الاستعداد مما اضطرني الى العودة في صباح اليوم التالي قبل الشروق من غير ان يشعر بي احد .

الاستعداد لموقعة دمشق :

اجتمعت بسلطان باشا الاطرش في قرية ( كفر اللحى ) في اواخر افسطس سنة ١٩٢٥ ومعي زية بك المريد والمرحوم سعد الدين بك المريد وحسن بك تحسين وقد استشهد في سيل هذه الثورة ، وكان نسيب بك البكري ويحيى بك حياتي قد سبقنا الى قرية عرى ، وفي ( كفر اللحى ) هذه جاء دروؤ الاقليم فظهروا تحفزهم للحرب وارتباطهم بالثورة وكانت الحماسة بالغة اقصى اعماق القلوب وكانوا وهم ينتخون او يعرضون امامنا على الطريقة الدرزية الحورانية شمعة تندلع منها السنة اللميب .

وكان اول اعمالنا عند بلوغنا الجبل اننا حشدنا المجاهدين لمهاجمة دمشق لان الحملة الدرزية التي وعد سلطان باشا بسوقها الى الكسوة للاجتماع بالمجاهدين الشوام لم يبلغ عددها النصاب الكافي . ولما وصلت الى جبل « المانع » في ٢٣ افسطس سنة ١٩٢٦ تلاقت مع الفرنسيين فاضطرت الى الرجوع بعدما امطرها الطلقات

جميعها ، كما لو قدر لابناء معروف في « المسيرة » ان يحولوا وجوهم عن الفنائم الى العدو المتحصن على بعد امتار منهم انفذوا الى حوران ودمشق وسائر المناطق الداخلية .

### انسحاب المجاهدين من القرية :

انت الطيارات فوجدت جموع المجاهدين لاهبة بالغيل والبقال والسلاح والكرام الذخيرة فامطرهم وابلا من المفرقات شنت شملهم واكره المحيطين بالقرية منهم على الانسحاب . واما الذين دخلوها فقد تحصنوا في بيوتهم واروقتهم الى ان جن الليل ، فنخرجوا تحت جنح الظلام بفنائهم .

وقد ابلى « حمزة بك الدرويش » في هذه المعركة داخل القرية بلاء حسنا اكسبه شهرة فائقة .

وذكر لي نزيه بك المؤيد انه رأى محمد بك عز الدين الحلبي يقتحم النيران التي تتساقط عليه كاطر من كل حذب وصوب ومع سبعة عشر فارسا فقط لانتقاذ الدروز المتطمين في القرية .

ومما يجدر ذكره ان عتاد المجاهدين نفذ منهم بعد ابتداء المعركة بمدة لا تتجاوز الساعتين ، ولكنهم استماضوا عنه بالعتاد الذي ربوه في المعارك حتى تمكنوا من الاستمرار على القتال سبحانه يومهم .

### نتائج المعركة :

وكان من نتائج هذه المعركة العظيمة ، ان فقد الفرنسيون ما يربو على تسعمائة من الجنود علاوة على الدواب والعتاد مما لا يدخل تحت حصر .

واما خسائر الدروز فكانت دون المائتين حتما . واما الذي بهم في هذا الشأن ان العدو بفضل دهائه وتنظيم دعايته

مفاجأة تامة في الصباح تفضي عليه وتكسب الدروز الذخائر العظيمة التي يحملها ، فاجتمع من بني معروف عدد يناهز الخمسمائة وربما بالغ عدد الفرنسيين الالفين او اكثر .

وقد حضر هذه المعركة من ابناء الشمال نزيه بك المؤيد العظيم وسرحان ابو زكي الديري .

وخلاصة ما جرى ، ان الثوار ارادوا الزحف على المسيرة خلسة قبل طلوع الفجر السابع عشر من شهر ايلول ، فاتفقوا على ان لا يأتي احدهم بحركة من شأنها تنبيه العدو ، الا ان عيارا ناريا اطلقت احد المنتبهِ فيهم « ابراهيم الاطرش » ايقظ الحرس الفرنسي قبل وصول المجاهدين بنحو خمس دقائق ، فاخذوا في اطلاق الاسهم النارية في الفضاء لانارة الظلام . ومن ثم ابتداء المعركة بصورة شديدة جدا بحيث اضطر الجنود الى الانسحاب والالتجاء الى الاستحكامات التي اقاموها داخل القرية .

واخيرا احاطوا بالقرية من جميع اطرافها بواسطة الامدادات التي اخذت ترد عليهم تباعا . فلما اشرفت الشمس بنورها كان قسم كبير من الثوار في القرية نفسها ، واما الجنود فكانوا في دائرة عميقة ، حوالها الاستحكامات ومسن وراء الاستحكامات السيارات المصفحة تدور لتحميمهم من المهاجمة . وكانت القلائف من الناجيتين تصل الى برء الماء فتتمتع الفرنسيين والدروز معا من الوصول اليه .

هلعت قلوب الخصوم لهذا الاقدام الباهر ، لو لا تلك الخلعة القبيحة التي كثر ما اضعمت على الامة العربية جهودها الشنيعة وهي الانتهاء « بالكسب » او الفنائم وترك العدو وشأنه كما حدث في وقعة ( بوابية ) في فرنسا بين عبد الرحمن المغاقي امير الاندلس وشارل مارتل قائد جيوش الفرنجة سنة ٧٣٢ م . ولو قدر للعرب يومئذ ان يحصروا جهودهم في مقارعة العدو لاستولوا على فرانس



اصاب اخوته فخر صريعا منهم .

اما الشيخ الذي كان يستقي المجاهدين فقد عاد في مساء اليوم التالي من المسيرة محملا على ظهر بعيره لان شظايا قنبلة اصابت من الطائرة وهو غير عالم بحديث اولاده . فانزلة زوجته وانحنت عليه تقبله طيلة ليلا وهي تدعو الله ان يعجل برجوع اولادها ليخففوا عنه الم الجراح لكن دعاءها لم يستجب وامالها لم تتحقق ، وقد انتظرتهم حتى الصباح فلم يعودوا ، فاخذ قلبها يخفق واطرافها ترتعش لان التفيب في مثل تلك الايام نذير مبین .

شعرت الوالدة برعشة الفراق بعد امل التلاقي فاخذت تنظر في وجه الشيخ الراحل وتقبله قبلات حارة كأنها تحمله منها ما يستطيع حمله لئلا تات كبدتها المضطجعين بجانب استحکامات المسيرة . وكانت في بعض الاحيان تنحني عليه وتهمس في اذنه كلما لم يفهمه احد من الموجودين بجانبها . واخيرا خارت قواها فتهددت بجانبه صامتة من هول الموقف وشدة الألم .

جاءني اهلها الى بيت متعب بك الاطرش شيخ القرية يستنجدون بي لاسعافها ، فذهبت معهم على الفور علي انجدها ، فلبثت الدار بعد عشرة دقائق فوجدت ذراعها الايمن تحت راس الشيخ وكلاهما جثة هامة لا حراك بها .

حقا لقد مات رب بيت حمزة وربنة واولادهما الفتيان الاربعة . ولكن روح حمزة باقية في قلوب الاجيال العربية الاتية ترحي اليها كيف يكون القيام بالواجب .

### نار الجهاد في حماه بعد المسيرة :

وقد حدث عقيب معركة المسيرة حادث ذو شأن تاريخي من الطراز الاول في هذه الثورة .

فان السيدين منير الرئيس والمرحوم مظهر السباعي

استطاع ان يقنع الدروز قناعة تامة بانهم هزموا شر هزيمة .

ولولا معركة السويداء الاخيرة التي حدثت في الضحاس والمشرين من نيسان سنة ١٩٢٩ لقلت ان وقعة المسيرة هذه هي ختام الحرب التي ظهرت فيها البطولة الدروزية في الجبل في اضخم مظاهرها واعظم شدتها .

### من قصص البطولة الدروزية :

وحسبي ان اذكر القصة التالية للدلالة على المفاداة الغالية والوطنية الصادقة والشجاعة الفائقة التي بدت في تلك الايام .

### بيت حمزة :

في قرية ( رساس ) اسرة تدعى « بيت حمزة » كان على ابناءها حماية العلم ، العلم الذي يحمله النواة من اهل هذه القرية . فلما نفروا الى حرب المسيرة نفر معهم رب هذا البيت وهو شيخ من في نحو النعمانين من العمر ومع اولاده الاربعة ، وقد اتخذ على نفسه سقاية المجاهدين من قريتين حملهما على بعيره لهذه الغاية . واما اولاده ، فاللفاع عن علم ( رساس ) .

حدث ان الاول منهم حمل هذا العلم وتقدم به امام اهل قرية حتى كاد يظا استحکامات الفرنسيين ، فسددوا عليه بنادقهم فقتلوه . فتقدم اخوه يعمل محله ، لكنه اصابه ما اصاب اخاه فخر بجانبه فتقدم الثالث لان نفسه ابت ان ينال علم ( رساس ) ويراجع الرساسيون ولكنه اصيب بالرصاص ايضا فخر الى جانبهما .

ولا تقدم الرابع للقيام بواجبه حاول الرساسيون عبثا ان يشوه عن عزمه رحمة بالعجوزين امه وابيه ولكنه ابى الانتفات الى ضراعتهم وما زال يمشي حتى وصل الى العلم والى اخوته القتلى بجانبه ، وما كان يرفع ليلوح به لاهل رساس حتى اصابه ما

( غاملان ) من السويدياء بعدما احتلها وحالت دون اخضاع الجبل جميعا .

### الجنرال غاملان يعود للسويدياء :

بعدما احدثت الدعاية التي بثها الفرنسيون بين السردوز عقيب معركة المسيفرة ، الزلزلة المعنوية المطلوبة ، ظن الجنرال غاملان انه يستطيع اقتحام السويدياء . ففعل ذلك بعد اسبوع تقريبا وقد كانت نفوس بني معروف ميتة الى درجة انهم لم يطلقوا عليه عيارا ناريا واحدا .

هذا ما شهدته بعيني وسمعته بأذني في قرية (عري) بالقرب من السويدياء ، وكان معي حفرة الاخ جميل بك مردم بك . حتى ان المجاهدين لا راونا اصروا على وجوب انتقالنا من مكاننا الى محل ابعـد .

ودخول الفرنسيين السويدياء هذه المرة لم يكن له قيمة حربية تذكر بطبيعة الحال ، لانه كان شبيها بالاستسلام .

### الجنرال غاملان يخلي السويدياء دون قتال :

ان قلة المياه في الجبل واعتقاد الفرنسيين ان تكون هله خطة عسكرية دبرها يحيى حياتي بك لحصارهم ، ثم عودة النشاط الى الثوار بعد معركة طفيفة قضوا بها على نحو اربعين جنديا مغربا خرجوا من القلعة لورود الماء في ( ام صاد ) ، كل ذلك القى الرعب في قلب الجنرال غاملان وحمله على الانسحاب والتفكير بجنوده وبالتائيد تومي مارثان ومن كان معه من المحصورين في القلعة ، منذ معركة الاكذر الماضية . ففادوها خلسة تاركا ما كان فيها من عتاد ثقيل وسلاح كثر وجد في التراجع بحيث ترك قدور الطعام تفلي على النار .

وهكذا نرى الانتصار على جنود غاملان يوم انسحابه من

الضابطان المجاهدين قدما اليـنا من حمـاه الى الجبل بطريق شرقي الاردن يحملان صورة اتفاق لاجل اشغال نار الثورة امضاه بعض الزعماء امثال بني العظم والبرازي .

ومن مواد هذا الاتفاق ان تحصل مفاوضات تهيدية في اول اكتوبر من تلك السنة في القوطة وان يتقدم الى جهات القريتين قوة من الجبل لا تقل عن المائة فارس لينضم اليها فوزي القاوقجي ومن معه من الجنود . وان يكون يوم الثورة في حمـاه اليوم الثاني من اكتوبر وان لا يعقد الجبل صلحا منفردا بل يكون الصلح مشروطا باسم ستورية وغير ذلك من الشروط التي لا محل لذكرها الان .

قرأت صورة هذا الاتفاق فرأيت من الضروري الاسراع في قبوله لاشتغال الجنود الفرنسية ، التي كانت يومئذ في حوران ، عن الجبل خصوصا بعدما تزلزلت معنوياته من تأثير الدعاية الفرنسية عقـب المسيفرة .

ركبت وركب معي الاخوان في طلب سلطان باشا الاطرش فالتفتينا به في قرية ( رساس ) حيث تباحثنا مليا في هذا الاتفاق وفي طريقة تنفيذه بنوده . فقر القرار على قبوله جميعا .

ولما كانت الضرورة تقضي بتطمين الاخوان بحمـاه بان الجبل على العهد الذي عاهدناه ، من حيث الصلح المشترك ، فقد طلبت منه ان يوقع الرسالة باسم المدروـز فوقـها .

وحينئذ سلمتها للبطل نزية المؤيد ومع مظهر بك السباعي وكلفتهما ايصالها الى الشمال ، فسافروا حالا الى القوطة وارسلها مع الاخ المجاهد خالد بك الخطيب .

وقد كان لهذا الاتفاق شأن عظيم جدا في دوام الثورة لان المعامع التي حدثت في ( حاضر حمـاه ) بحسب هذا الاتفاق سحبت

الدرويش وفضل الله باشا هندية الوطني الصميم والشجاع  
الباسل .

وكانت خسائر العدو عظيمة بينها طيارتان ، وقتلاه تملا  
السهل امام (رساس) لكننا فقدنا رجلا لا تعادله الرجال هو المرحوم  
حمد بك عامر وجرح ايضا فضل الله باشا هندية .

### انسحاب غاملان من جميع الجبل الدرزي :

ولما ظهرت بوادر الثورة في سورية رأى الجنرال غاملان شدة  
الخطر المحدق بالفرنسيين فاضطر الى الانسحاب من الجبل  
نهائيا .



السويدياء لم يكن عملا ايجابيا من قبل الثوار ، بل سلبيا من خوف  
الفرنسيين وتوزل معنوياتهم .

### بعد خروج غاملان من السويداء :

يظهر لنا ان الجنرال غاملان بعدما انسحب من السويداء لم  
يقطع من التغلب على الدروز في القرن القبلي اذ صرح في بلاغاته  
انه يتوي احتلال ( صلخد ) بعد ان يؤدب بعض القرى الاخرى .

وقد قامت قوة عظيمة من جنوده تتجاوز الالاف ومعها  
الدبابات والسيارات المصفحة وبطاريات المدفعية . فمسادات  
شريحة صغيرة من الدروز بالقرب من ( المجيم ) علمتها كيف يكون  
الصبر على الكاره . وقد اظهر فيها المجاهد الكبير سعيد بك  
العاص من ضروب الشجاعة ما بقي يتردد في الافواه .

لكننا وبالاأسف خسرنا فيها بطلا مفورا هو المرحوم نسيب  
بك الاطرش . ثم انها واصلت زحفها ، فدخلت قرية ( عرى )  
حيث استسلم المرحوم الامير حمد الاطرش . ثم زحفت على قرية  
( رساس ) وعسكرت فيها . وقيمت هناك ثلاثة ايام كاملة ضربت  
اثناءها البيوت وقطعت الاشجار بصورة همجية وفي اليوم التاسع  
من تشرين الاول سنة ١٩٢٥ ، انسحبت عند طلوع الشمس ،  
فلاحقها المجاهدون وعلى راسهم الامير حسن الاطرش ويوسف بك  
الاطرش وسعيد بك العاص والمرحوم فؤاد بك سليم وصياح بك  
الحمود وغيرهم مما اضطر الجنرال غاملان الى نشر جنوده  
المنشاة . لكن حمد بك عامر البطل المشهور لا تقاهم في جهات تل  
الحديد .

وقد دام الحرب حتى العصر اذ اصيب العدو بانكسار  
شنيع ، فاضطر حمد عامر الى الانسحاب الى المزرعة حيث قضى  
ليلته . واشترك في هذه المعارك ايضا زيد بك الاطرش وحمزة بك

اضرارهم عن القرى ، فلبى طلبي . وخرجت مع مفزة خيالة من ( الاسكادرون ) الذي كان تحت قيادتي ، وطلقت اطوف بين هذه المشائر وابث فيهم روح الكفاح بصورة عليية . فانفقت معي المشايخ ، وقد تخصص لكل واحد منهم راتب ووظيفة يقوم بها ثاني يوم الثورة في حماه . وفي مدة خمسة ايام كانت جميع الاستعدادات تامة ، فلما انفت ساعة العمل ، اعليت التعليمات المفصلة لجميع الرعاء ، وفي نحو الساعة الثامنة مساء دخلنا حماه . وهاجمنا جميع المخافر وتسلمنا اسلحتها وقبضنا على الدرك والشرطة ثم سرنا الى دار الحكومة حيث فيها كل قوة الدرك وفرقة من الجيش المختلط ، فهاجمناها ايضا ، وبعد معركة دامت حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل استولينا عليها عنوة واحرقناها وقتلنا من فيها من الجنود ثم اخذنا نستعد لهاجمة المواقع العسكرية الحصينة .

وفي الصباح خرج فرسان العدو من التكنات للاتاقنا فرددناه بخسارة عظيمة بعد معركة دامت نصف ساعة على ( جسر السرايا ) ثم اننا طوقنا التكنات فبدأت المعركة تشتد والانجاح حليفنا حتى تكبد العدو خسائر فادحة وفقد اكثر من ثلثي جنده واستسلم بعض المحافظين خارج التكنات مع رشاشاتهم ولم يعد في طاقته الحصريين الدفاع .

ثم لا وصلت طيارات العدو اخذت تلقي قنابلها على المدن فاستطنا منها طيارتين . وقبيل الظهر وصلت نجدات قوية تمكنت من اقتاذ المحصورين بعد معارك دامية . وقد ازداد في آخر الامر عدد الاعداء زيادة عظيمة ادت الى امتناع كثيرين من وجوه حماه الذين جبنوا وحافظوا على الحياد عن القيام بوعودهم وعهودهم ولا اصبح الاستيلاء على الاماكن العسكرية الملوثة جنسودا متعلدا ، قررنا الانسحاب الى خارج المدينة لنقوم بالحرركات الثورية مشتركين مع البدو .

## الثورة في حماه

نسافر نسيب بك البكري من ( طربا ) الى جبال انصفا لتهييج عربانها الفياث وعلى رأسهم خلف النعير .

وحدثت في الفوظة في اول اكتوبر المناوشات التي تم الاتفاق عليها لكن الثورة في حماه تأخرت الى اليوم الرابع منه .  
وغني عن البيان ان حركة حماه كانت فريدة في بابها بين جميع الحركات التي حدثت في هذه الثورة من حيث تعيين الوقت واتفاق كلمة الرعاء وتطوع موظف كبير مثل الكابتن فوزي بك القاوقجي للعمل .

### تقرير القاوقجي عن ثورة حماه :

وقد كتب الكابتن فوزي بك القاوقجي عن ثورة حماه ما خلاصته :

« تقر نهائيا ان تكون الثورة مساء الاحد الواقع في ٤ تشرين الاول سنة ١٩٢٥ وقت المساء ، فطلبت الى القومندان كوستيليه المستشار الاداري لحماه ان اخرج لتفويض البدو بحجة منع

صدمت اشرعة غاملان المنشورة في جبل الدرورز فاقلمت بها عنه .  
 وتفصيل ذلك ان الجنرال ساراي على اثر هبوب ثورة حماء  
 طلب نصف القوة الموجودة مع غاملان على جناح السرعة . فابى  
 هذا وطلب اما الانسحاب كاملا او البقاء كاملا ، لكن الجنرال  
 ساراي اصر فاضطر هذا الى الرجوع عن الجبل بقضه وقضيضه .  
 ثم ان هذه الثورة ، في حماء ، سببت تجزئة الجيش الفرنسي  
 وارغمته على اتخاذ خطة الدفاع بعدما كان مهاجما ومكنت التوار  
 فيما بعد ، في المرح والغوطة من الدخول الى دمشق بذلك الظفر  
 الذي كاد يقضي على فرنسا في سورية .



وكانت خسائر العدو لا تحقل عن اربعماية بين قتيل وجريح  
 في حين كانت خسارتنا خمسة وثلاثين .

وفي الليل السابع من الشهر انسحبنا الى جهة الشمال ،  
 وحملنا عربان الموالى على مهاجمة فرسان الفرنسيين المتحصنين  
 في مركز قضاء المصرة وبعد معركة دامت اربع ساعات قهرنا العدو وغنمنا  
 منه ٣٥ راسا من الخيل و٢٢ بندقية وغير ذلك .

وقد خسر العدو في هذه المعركة ثلاثة ضباط فرنسيين  
 وسبعين جنديا وخسارتنا بدوي واحد .

( انتهى تقرير فوزي بك القلقوجي )

### اخفاك حركة حماء واسباب ذلك :

ان السبب الجوهرى في فشل ثورة حماء بهذه السرعة هو  
 اجحام الزعماء الايمان الذين تأمروا على تنفيذها ، فلما ظهرت  
 الى حيز الوجود اختبئوا في بيوتهم ليروا ما يكون من امرها فان  
 نجحت فهم المؤسسون لها واصحاب الشان فيها ، وان فشلت  
 فهم عنها معزضون .

ولا تخط هذه الحركة من عبر ، فان الاعتماد على البدو كان  
 في غير محله ، الا اذا كان الغرض من الاستعانة بهم قدح الزناد لان  
 التجارب في هذه الثورة دللتنا بصورة عملية على ان البدو لا  
 يصلحون للحروب الدولية التي تتطلب صبرا ، بل هم اصلح ما  
 يكون للهيئات المؤقتة . لذلك قيل في الامثال العامة  
 ( مثل العرب بالصياح ) .

### اثر حركة حماء على المناطق الاخرى للشورة :

على ان ذلك لا يعني ابدا ان ثورة حماء لم تات بثمرة ، بل على  
 العكس ، كانت ثمرتها من اطيب الثمار لانها ما هبت ريحها حتى

المصابة نحو ٢٩ حصاناً وأسرت الضباط جميعاً ، وأسفر الحصال  
عن اندحار الدرك بعد ان تركوا قتلاهم على الحضيض .

وقد كان لهذه المعركة تأثير حسن في النفوس شجع المجاهدين  
على دخول الشام .

### في صميم المعركة :

لم يفضح الاستعمار امر كما فضحه ضرب الشام ، اذ لما  
صار الضرب على الاوتار الدولية الحساسة ، على الرعايا الاجانب  
وقنصلياتهم ومدارسهم وكنائسهم ومصالحهم الاقتصادية ، لم  
يعد بالامكان اخفاء الشر . وعلى ذلك ف ضرب الشام حصاد في  
الدرجة الاولى من الخطورة .

وقد ادرك الثوار هذا الامر منذ الايام الاولى للثورة وعرفوا  
ان الحروب اذا بقيت محصورة في الاطراف استطاعت فرانسه ان  
تظاهر باهمال شان هذا الجهاد المقدس .

### دخول المجاهدين الى دمشق :

لا عجب ان تتواصل الرسائل بين الرعاء في اوائل الثورة  
لتحقيق هذه الغاية الحرية والسياسية في آن واحد . الا ان ما  
فشل في افسطس ( آب ) تحقق في اليوم الثامن عشر من شهر  
اكتوبر ( تشرين الاول ) بدخول المجاهدين عاصمة بني امية .

دخلوها وكان عددهم على وجه التقريبه كما ياتي :

- ٢٠٠ مجاهد من الرج .
- ١٠٠ مجاهد من الفوطة .
- ١٠٠ مجاهد من جبل الدروز .

وعلى رأس الجميع نسيب بك البكري ، ثم انضم اليهم من  
الاحياء ( الدمشقية ) اهل الشاغور ، وباب السلام بزعامة كل من

## معركة الشام الكبرى

### ارهاصات المعركة :

كانت المصادمات تجري في جوار نهر العاصي وحامل لواء  
المجاهدين فيها فوزي بك القاوقجي ، بينما كانت المعارك تسدور  
في جوار بردى ، والبارز بين الثوار فيها حسن الخراط ، وقد  
لعب هذا العصامي اعظم الادوار في حروب الفوطة ودمشق .

### حسن الخراط :

فمن هذه المعارك ، وهو ما اطلق عليه الثوار اسم « وقعة  
الروز الاولى » خرج الى الفوطة بضعة اشخاص معروفين ، منهم  
ابو عبده ديب الشيخ والشيخ ابو صلاح المرجا ، والشيخ نديم .  
وغيرهم .

فالتحق بهم حسن الخراط بعدما عاد من الجبل ، فالقوسوا  
عصابة قوية استمدت طعامها وعتاها من القرى القريبة من دمشق .  
فارسلت السلطة عليها قوة من الدرك الى قرية ( الميحة ) بقيادة  
الرئيس رفيق العظمة ومع عدد من الضباط المحليين ، فاشتبكت  
هذه القوة في ( الميحة ) مع الثوار ، فكانت النتيجة ان غنمت

### حسن القبة ، بلاؤه واستشهاده :

ومما هو جدير بالذكر ان بعض المجاهدين وعلى رأسهم حسن القبة اخذوا يومئذ خبرا بان الجنرال ساراي قد قدم دمشق لزيارة قصر بني العظم في البروزية فقررُوا اختطافه ، لذلك دخلوا المدينة من جهة الشافور ، وواصلوا سيرهم في الشوارع حتى بلغوا القصر ، لكن الجنرال كان قد خرج منه على جناح السرعة ، ولم يبق فيه الا بعض الجنود الفرنسيين . فاختدوا يطلقون النار على المجاهدين فتقابلهم هؤلاء ، وجرت ملحمة اشتعلت النار في آخرها في القصر .

ومما يسجل بالتurf والنخز انصراف المجاهدين الى الدفاع عن الانار الموجودة فيه حين كان الجنود المحصورون يطلقون النار على كل من رآه . واخيرا اصابوا حسن القبة نفسه ، فخر صريعا بجانب الباب بعدما اظهر من فنون البسالة ما لا تنساه الابنساء والاحفاد .

### نصاري الشام في حماية المجاهدين رغم دسائس الفرنسيين :

وقد حاولت بعض الجهات ان تظهر هذه الثورة الوطنية القومية بمظهر التعصب الديني للمسيح ، وربما ارادت هذه الجهات بترك ( باب توما ) و ( الباب الشرقي ) حيث يقطن المسيحيون من غير قوة مدافعة ان تلج التوار بهاجمتها ، لتملا الدنيا باخبار تعدي المسلمين على النصاري ، لكن سهمها ظالم .

وقد قال مراسل ( فرانكفورت غازيت ) يومئذ : « ان الاحياء المسيحية التي تغطي عنها الفرنسيون في دمشق ، سلمت من النهب بفضل الزعماء المسلمين ، ويجب على فرنسا ان تسلم الان بان سورية اليوم هي غير سورية المعروفة بتعدد منازعاتها الدينية . وان الوطنية السورية حلت محل الطائفية ، وقامت تطالب بحقها المضموم » .

حسن الخراط ومحمود سلام والي عبده ديب الشيخ وحسن القبة .

وقد بقي المجاهدون في دمشق اربعة ايام متواليات سحقوا في غضونها جميع الجنود المعتصمين في المناريس في الشافور والميدان واما من بقي منهم مبشرا في المدينة وضواحيها مع من انضم اليهم من الموظفين الفرنسيين ونسائهم فقد لجأوا جميعا الى القلعة واحتسوا بالاراجها .

### اثر دخول المجاهدين الى دمشق على الفرنسيين :

فقد الجنرال ساراي موازنته واختلط عليه الامر فلم يعد قادرا على فهم الوضعية وتقديرها بالضبط . ثم انه استشار من استشاره من الضباط الطائفين بالخيلاء العسكرية فافقروا جميعا ضرب الشام بالدافع من القلاع .

### ضرب دمشق بالمادفع :

وفي الوقت المعين فتحت هذه الآلات الجهنمية افواهها وصبت على ائمن جي من الاحياء حصما فلم يبق اربع وعشرون ساعة الا وقنابل التدمير والتحريق قد اكلت ما يربو على ستماية دار من احسن الدور تقدر قيمة كل واحد منها الوسطية بالفني جنية على اقل تقدير ، ناهيك بما وقع من السلب والنهب بصورة لم يعدها مثل في القرون الحاضرة .

فقد كانوا يكسرون ابواب الحوانيت والمخازن الطائفة بالبضائع النفيسة وينقلون ما فيها ويطلقون البيوت المتطفرة ويحلمون متاعها واولئها الثمينة حتى امتلأت بيوت ( ..... ) برياش الدماشقة .

التي في جوارها .

وقد كان لهجومهم على دمشق اثر محمود في الجبل اذ شعر ( بنو معروف ) بأخوة حقيقية تربطهم بسكان الفوطة . وان الفعب الذي كان منيخا على الجنوب سيوزع على المناطق الشمالية .

### الثوار يغادرون دمشق الى الفوطة :

ان ضبط المارك التي حدثت في الفوطة ، منذ غادر الثوار دمشق حتى احتلال القرن الجنوبي في جبل الدروز ، هي مما لا تسعه هذه الخلاصة .

وحسبنا القول هنا ان الثورة في الشمال ، ولا سيما في منطقة دمشق لم تلق الرعب في قلب الخصم فقط ، بل دفعت تيار الجيش عن الجبل فاراحته من الحروب نحو سبعة اشهر تمكن الدروز خلالها من جمع شملهم والاشتراك مع جيرانهم في الجهاد القومي . ويحسن بنا ان نشير فيما يلي الى بعض المارك المهمة التي جرت في الفوطة وضواحيها في تلك الفترة .

وربما بلغ عدد المارك المهمة جميعها يو مثل الخمسين .

### معركة الزور :

حدثت هذه المعركة في السابع عشر من نوفمبر سنة ١٩٢٥ ، وكان عدد المجاهدين اثنين وثمانين فارسا . وقد بلغهم ان الحرب قائمة في الزور بالقرب من قرية المليحة فتقدموا اليها ، وهنا جرت معركة حامية الوطيس جدا .

قال سعيد بك العاص ، البطل الكبير :

انت الطيارة لكشف مواقعنا فخاف الفرسان على خيولهم فربطوها في قرية ( البلاط ) ، وانا بقيت ومعى فرحسان شرف

وجاء في البرقيات العمومية ، ان المشايخ ان الثوار لم يقوموا بما يؤخذون عليه ، بل ان حسن الخراط ، زار محلات المسيحيين وهذا روعهم قائلا لهم ( انكم اخواننا ) .

### القناصل يشهدون بحسن معاملة المسلمين للنصارى :

وقد شهد التقرير القنصلي المشترك الذي وضعه القناصل في دمشق مثل هذه الشهادة وقرع الفرنسيين على ضربهم البلد من غير انذار وتركهم احياء المسيحيين تحت رحمة الثوار وذكرت كيف قام المسلمون بحماية اخوانهم في الوطن .

### الصحافة الاجنبية تستنكر ضرب دمشق بالمدافع :

وتساءلت جريدة الجورنال الفرنسيون قائلة :

« هل كان صحيحا ما اذاعته الصحف الانكليزية عن الجنرال ساراي بأنه اهمل العمل بقوانين الدول وهي تبليغ القناصل في دمشق قبل اطلاق المدافع على المدينة وانذار النساء والاطفال بمغادرتها وعليه تقرر ان هذا الاهمال قد حمل القناصل هناك على الاحتجاج بواسطة اقدم واحد بينهم . »

### المدافع على دمشق واثرها :

وقد استمر اطلاق المدافع من منتصف يوم الاحد الى مساء الثلاثاء ولا يعرف عدد الذين قتلوا تحت الانقاض بالضبط ، وتقدر الخسائر المادية التي خسرتها المدينة بثلاثة ملايين جنية وكان عدد القتلى قليلا ، لكن سيارات الفرنسيين المملوءة بجثث الجنود كانت كثيرة .

ولما رأى الثوار الرعب الذي استولى على النساء والاطفال من مواصلته القنابل على الاحياء وتحليق الطائرات في المساء وضربها البيوت من غير تعيين ، غادروا المدينة على امل التزول في البساتين



## حسن الخراط

لم يكونوا كثيرين ، الذين اشتهروا في هذه الثورة ، اشتهار حسن الخراط ، وهذا بحق ، لان معرفتنا بالرجل واحاطتنا بالاحوال التي اكتنفته دللتنا بأجلى بيان على انه من ارباب القيمة الشخصية . وما ذكرته قط الاالا وقلت لنفسي ، كم رجل كان يظهر في سورية ويكتب له التفوق والبروز لو تعهدته الفرص السانحة ولم يقضيه منجل النسوية العمومية .

لقد اختلف العلماء من قبل ، فزعم بعضهم ان اصحاب القيم الثمينة لن تحول دون بروزهم الحوائل . وقال اخرون ، تبقى القيمة الشخصية مستترة الى ان توضع في البيئة الصالحة وتمتع بالفرصة السانحة وتنمو .

وعندي ان سيرة حسن الخراط ومن هذا حقله من المجاهدين العصامين من افراد الطبقة الشعبية العامة ، امثال ابي محي الدين شعبان ، تؤيد هذا القول . اذ لولا الثورة ما برزت لهم صفات يعتازون بها وانوار يتلاؤلون باشعتها واظن ان مثل هذا الخبر لا يقدر في الطبقة التي ندعوها عادة (طبقة القضايات) .

رايت حسن الخراط لأول مرة في هذه الثورة في قرية (ام ضبيب) من قرى جبل الدروز في اوائل شهر سبتمبر (اللول)

وسليمان بك ويوسف بك واللائم خير الدين الطيار ، ثم لحقنا بضعة رجال من البدو ليس معهم سلاح . وقد امسكنا الطريق الموجود غرب ( العبارة ) وسرنا في طريق الميعة مسافة ثلاثمائة متر حيث مترسنا وصادمنا العدو حتى قرب القروب اذ نفد عناونا ، فاضطررنا الى الانسحاب ، وانسحب العدو ايضا . ولكن محمد بك عز الدين لاقاه في جوار طريق جرمنا وضربه ضربا مبرحا حتى ادخله دمشق .

وكانت خسائرنا فرحان بك شرف ، البطل المنوار ، وجريح اسمه ابو علي طربوش .

اما قتلاهم وجرحاهم فقد ملؤا اربع عشرة سيارة بنهضة عبد الحميد النابلسي احد رجال جيشهم .

واسباب هذه المعركة ، ان الفرنسيين خرجوا لحصار الخراط وعصابته في الزور ، وعدد افراد هذه العصابة نحو تسعين رجلا وقد ابلوا خير البلاء . وظهر حسن الخراط بنتهى الشجاعة حتى جرح في كفة . وكذلك ابرز مير الرئيس اقداما عجيبا .

اما البلاغات الرسمية ، فقد قالت عن هذه المعركة : « دامت الحرب في الميعة ست ساعات خسر الثوار فيها مائة وخمسين وخسرنا خمسة اشخاص فقط ! » .

في العمل واخذ جميع السلاح الذي فيه مع العتاد وفرق ذلك كله على اخوانه ، فكان له خير ذخيرة استعملوها اشهرها متواصلة ولقد جرح في كنفه في معركة الزور الثانية النسي وقعت في ١٨ تشرين الاول سنة ١٩٢٥ ، وقضى نحيبه غدرا على ايدي اثنين من الثراكسة المختبئين وذلك في وقعة (بلدة) في الحادي والعشرين من كانون الاول سنة ١٩٢٥ .

وما شددت بذكره على هذه الصورة الا لايظهر القوى المستترة في امتنا ، ولا قدم للقراء مثالا واحدا من امثلة كثيرة رايناها في هذه الثورة المباركة .

**معركة بلدة وببيللا - ٢٩ تشرين ثاني سنة ١٩٢٥ :**  
من اهم المعارك التي حدثت في القوطة بعد ضرب الشام ، معركة بلدة وببيللا ، فانها القتت الرعب في قلوب الجيوش المستعمرة وشلت حركاتها وحملت قيادتها على اتخاذ خطة المخافر الثابتة استعدادا للمهاجمات المفجائية المتكررة .

اما خطة المجاهدين ، فكانت طيلة تلك المدة وما بعدها اتخاذ الدفاع امام هجمات العدو من جهة وارسال قوى اخرى لتطويقه من جهة اخرى .

وبهذه الوسيلة كانوا يعزقونه شر معزق ويفرقونه بينه وبين قلياته وذخائره ويكرهونه على الانسحاب .

وخلاصة هذه المعركة الباهرة ان نزيه بك المؤيد العظيم ذهب بخمسين فارسا لقتل الخائن المعروف سليم المفتي وهو رجل ساقط . وقد قام بتأليف عصابة من المايجورين امثاله لقتال الوطنيين .

ولا وصل نزيه بك الى جوار الميدان صسادم الجيوش فاستدجرها بالانسحاب الى (ببيللا) حيث جاء متعجب بك الاطرش من قرية (الست) ومعه نحو ثمانين فارسا ، فجرت ملحمة عظيمة

سنة ١٩٢٥ فاذا هو رجل ربة في نحو الخمسين من العمر ، يوجهه مستطيل وجهة بارزة وعيين شهلاوين يستعلان ذكاء ورأس اصلع وقد خط الشيب شاربيه ورأسه . والخفة الظاهرة كل الظهور في حر كانه ولعل ذلك ناشيء عن تمرنه على ضرب المعسى (الشوح) وهو يعتمد بالعمامة الاغباني ويلبس القنبار وفوقه المباءة . وكان اميا لم يقش التعليم المدرسي ، وقد صرف شطرا من حياته حارسا في الاسواق وناطورا في البساتين .

ولا شك ان الباعث الاكبر الذي بعثه على الالتحاق بالثورة هو الوطنية الصحيحة . وقد حضر معارك متعددة امتاز في جميعها . منها ، معركة الزور الاولى كما قدمنا ، والثانية ، ثم وقعة النيبك الكبرى التي سيرد ذكرها ومعركة الشام ، وكان كلف بمهاجمة الشافور وضرب مخفر (الشيخ حسن) واشتهر عنه انه لم يقعد في متراس ولا احتسى شجرة ، بل كان يحارب الاعداء واقفا على ابعاد قد لا تتجاوز مائة متر .

وقد ذكر لي احد من رآه في وقعة الزور الثانية ، انه كان يصيح في وجه الاعداء وينادي ، لا تفتشوا عني في بيوت الشام بل امام استحكاماكم ، انا حسن الخراط .

وقد ظهرت عليه ميزات التنظيم والقيادة بحيث كانت مصائبه مترابطة تأتمر بأمره وتنتهي بنواحيه . اشتراكى المبدأ ، لو تناول تفاحة ، لمض منها عضمة واحدة وفرق ما بقي منها على اخوانه . على انه كان بطاشا بالخونة لا يرحمهم ، وقد علق بعضهم على ابواب دمشق .

وحدث له ان حارب في احد الايام الفرنسيين في « معمل الزجاج » فضر بهم بحيلة حربية ضربة مزقتهم فتمكن من الدخول

على ان هذه الواقعة ستبقى شهيرة بكرة ما اترف فيها من الجرائم والاعتداء على الاعراض وقتل الملاحين الموال من كسل سلاح واحراق اكوام القنب بمن فيها من النساء والاطفال وهدم البيوت على رؤوس اصحابها . وقد شهد معظم هذه الحوادث السيد منير الرئيس وهو مختبىء في احد الحقول التي لم تصلها النيران .

وكان عدد القتلى من هؤلاء الابرياء نساء ورجالا اثنين وعشرين عدا الاطفال ، واما خسائر الجند فبلغت اثنين وستين قتيل .

### الهدوء في القوطة :

ومما هو جدير بالتدوين ، ان هذه المعركة وقعت عرضا بالنسبة الى المجاهدين ، فانهم كانوا قادمين لغاية قرية جوبر من الجبوش التي احاطت بها في صباح ذلك اليوم ، وهذه القرية والحق يقال ، فعلت الاعاجيب في معارك القوطة . ولما امتدت وطأة الشتاء وزعت قيادة الجيش الفرنسي المخافر على القرى الابنية : دوها اوتاية ، خرابو ، والشبعة ، سكنت العاصفة في القوطة ولم يبق للحوادث اثر يذكر الا ما تعلق بقتل المرحوم حسن الخراط اغتيالاً من قبل الشر كس في قرية بلدة في ٢١ ك الاول سنة ١٩٢٥ . وقتل الكولونيل (فرن) في وقعة الشبعة الهيبة ، وقد اخفى الفرنسيون قتله سبعة اشهر .

وكان بطل هذه المعركة الظاهرة الشهيد العربي الحر شوكيت بك المائدي .

### اسباب الهدوء في القوطة :

وسبب هذا السكون ، ان محمد عز الدين الحلبي البطل المعروف ومن معه من الدروز الوجوديين في القوطة من جهة . والتقسيم الاكبر من مجاهدي القوطة انفسهم من جهة ثانية ،

بالسلاح الابيض ، وكان سعيد بك العاص وعلي بك الاطرش وعبد القادر اغا سكر ومن معه من الرجال ، قد سمعوا اصوات البنادق والمدافع فهربوا لمساعدة اخوانهم المجاهدين .

قال سعيد بك : كان دليلاً ابو عبده سكر ، وقد اشتدت الملحمة حتى اصبحنا نتصارع مع العدو بالفتائل اليدوية فجاء لنجدتنا محمد بك عز الدين بمشاة ودام الحرب من الصباح حتى الساعة السابعة اذ تم انهزام الجيش بقضة وقضيضة .

اما غنائم المجاهدين فاحد عشر رشاشا وعتادا لا يحصى وقتلى العدو وجرحاه ستمائة علاوة على نحو مائة جثة بقيت على اقنية المياه .

وقد بلغ الحال بالمجاهدين ، ان سعيد بك العاص تعقب الاعداء بنفسه حتى القسلة العزيرية في حي الميدان ، فقتل على بابها ضابطا من الضباط الفرنسيين المتقدمين .

ولم تتجاوز خسائرنا من قتلى وجرحى ثمانية عشر . وبقيت المدافع الضخمة تطلق قنابلها والطائرات تلتقي مقذوفاتها حتى خيم الليل .

### معركة حمورة - ١٧ ك الاول سنة ١٩٢٥ :

حملة لواء هذه المعركة السادة نزية المؤيد وسعيد العاص وابو عبده سكر ومحمود ابو يحيى ومنير الرئيس .

وقد كانت المصادمة وجهها لوجه في داخل القرية ( حمورة ) وظهر فيها هؤلاء الرجال الافذاذ بطولاة نادرة . وكاد السيد منير الرئيس يقضي عليه ، لو لم يشلح ثيابه العسكرية . وقد نفذ عتاد المجاهدين في آخرها ولو لم يتداركهم نزيه بك المؤيد والرحوم محمد علي الدروحي واخوان لهم آخرون ، لفعل الاعداء اكثر مما فعلوا .

# الثورة في النسيك

١٤ و ١٥ آذار سنة ١٩٢٦ :

حصلت في النيك قبل هذه المرة العظيمة معارك عديدة في شهر اكتوبر ( تشرين الاول ) سنة ١٩٢٥ ، والثانيون فيها هم العصابت الاربع التي تجمعت في تلك الارحاء يومئذ : عصابتة جبل قلمون ، وعصابتة النيك ، وعصابتة عكاشة ، وعصابتة حسن الخراط .

وفي احدى هذه المارك ، ارسل المدو مائة جندي مسع ست سيارات كبيرة مصفحة ، بقيادة ضباط الدرك ، فصادفهم الجاهدون في البساتين وعددهم لا يتجاوز الخمسة والعشرين واسروا منهم الضابط بهيجا ، وغنموا اربعة رشاشات كبيرة ورشاشين صغيرين وعددا من سيارات الركوب .

## المركة الكبرى :

اما مركة النيك الكبرى فحدثت بعد ذلك ببضعة اشهر ، وتفصيل خبرها ان الرعاء الكبار وعلى راسهم سعيد بك المعاص وفوزي بك القاوقجي قرروا اتخاذ (النيك) مركزا للثورة في جبل قلمون بعدما خمدت فيه النار من جراء الفوضى والمعاملات

غادروا هذه المنطقة الى جبل الدروز وانسحب سعيد بك المعاص ومن معه من الرجال الى النيك وجهات الشمال ، وتبعهم على الاعتقاب فوزي بك القاوقجي ورجاله من الجبل . ولم يبق في منطقة الشام غير نزيه بك المؤيد ومعه السيد ابو عبده سكر والدرخباني والمهايني وغيرهم ، وقد كان استمرارهم على العمل في هذه المنطقة بعدما غادرها من غادرها آية في الجراة وتحمل الواجب تسطر لهم جميعا ، وعندني ان هذه الصفحة من ادق الصفحات في تاريخ الثورة المباركة ، خصوصا بعدما جاءتنا التقارير المطولة من الاخصائيين طافحة بالشائخ مملوءة بالتدمر ، فقد قال نزيه بك في احدى رسائله :

« صمنا على القيام باعمال فجائية شديدة ، نطلق السلطة اكثر من غيرها فابتدانا بهماجمة الخطوط الحديدية . وفي مدة يومين قطعنا خط درعا ، شام ، بيروت . ومكنا نحو سبعة ايام على خط بيروت كسرنا في خلالها حملتين فرنسيين شر كسرة ، ثم بالنظر الى قلة طعامنا وفقد الملو ف لخيولنا عدنا الى الفوطه . وهنا ، نظمنا شؤوننا ودعونا الاهلين للجهاد فحملوا السلاح معنا ، فكان نصيب كل قرية من الجندين عددا معيننا من سلاح وعتاد ، وحدث في تلك المدة رجوع ابي عبده ديب الشيخ من الجبل فساعدنا بهذا العمل مساعدة تذكر فتشكر . واخذت جموعنا تزداد زيادة مضطردة الى ان بلغت بضعة الاف ، وهذا مكنا من تجهيز الحملات الى القلمون لشد ازر اخواننا فيها . »

ولترك الان حديث الفوطه موقنا مدة الشتاء ولتشكر نزيه بك واخوانه على احيائهم هذه المنطقة بعدما كاد القسوط يتسرب الى القلوب من انعاشها ، ولتلق نظرة على حوادث النيك وما اليها من القري .

حذب وصوب فقد امر فوزي بك وسعيد بك الاخوان بالانسحاب فانسحبوا بمعجزة غريبة عملتها ستائر الضباب التي انسدت عليهم في تلك الساعة من السماء .

ومن هناك انسحبوا الى البنك حيث انتقوا بالجيش فاصلوه نارا حامية من وراء استحكامات احكموا بناءها على الفن الحديث بحيث يستطيع كل واحد منها ان يدافع ببنائه عن الاستحكامات الاخرى .

وقد ابتدأت المعركة في ضحى اليوم الرابع عشر من مارس (آذار) ولم تنته الا بعد العصر اذ تمكن العدو من احتلال المستشفى الدانماركي غربي البلد .

لكن المجاهدين اعادوا الكرة فهاجموا المستشفى واحتلوه عنوة بعدما اخترقوا صفوف الفرنسيين وهزمهم شر هزيمة . وهكذا استعادوا جميع ما اضاعوه بثلاث هجمات متواليات وريحوا خيلا وسلاحا وعتادا واقرا وخربوا مصفحتين . وكانت الخسائر في صفوفه عظيمة ظهر تأثيرها عند المساء اذ انقلب مدافعا وقد ضعفت ناره وكثر الفراغ فيه .

الا ان مواصلة القتال افقدت المجاهدين العناد الذي ربحوه فاضطروا الى الانسحاب . ومع ان بعضهم بقي محتلا الروابي المحيطة بالبلدة حتى ١٥ مارس (آذار) الا ان الوضعية تطلبت انسحابه ايضا .

وهكذا نرى العدو الذي كان عازما على الانسحاب نهائيا قد عاد الى احتلال البلدة من جديد بعدما رأى جلاء المجاهدين عنها .

وقد اتفق الزعماء المنيون على ان معركة البنك هذه من اكبر معارك القلمون التي ظهر فيها تفوق الناصر بفضاله واستبساله .

الشاذة التي عومل بها .  
وغني عن البيان ان مثل هذا المركز اذا اشتد ساعده تناول حمص وحماة بالتهديد الدائم ، لذلك جهز العدو في حمص حملة كبيرة بقيادة الجنرال (مارتي) الذي اشتهر بين القواد الفرنسيين بالحروب الجبلية ، وقوام هذه الحملة اربعة الاف جندي مسن المشاة والفا جندي من الفرسان وثمانية مدافع ، ومثلها مصفحات واعتماد اخرى كاملة منها سبعون رشاشا .

**وكتب الي فوزي بك يقول :**

« اما نحن فلم نجد متسعا من الوقت لانتم ترتيباتنا بيد اننا تمكنا من جمع ثمانماية مقاتل من انحاء القلمون وقرزنا ان ندافع عن البنك اولا في جهات (قارة) شمالا ثم في (البنك) نفسها وذلك لاستكشاف قوته ولضربه في مضيق (عيون العلق) ضربة مادية تؤثر في معنوياته ولا توصله الى (البنك) الا منهوك القوى » .  
وفي اليوم الحادي عشر من مارس (آذار) دخل المجاهدون المشاة (قارة) والفرسان (دير عطية) لاحاطة جنود العدو من الايسر . وفي اليوم الثاني عشر اعدوا له العدة اللازمة في مضيق (عيون العلق) وقابلوه فكان في الخط الامامي سعيد بك المعاص وفوزي بك القناوتجي ومعهما نحو ١٥ مجاهدا ولكنهم لم يطلقوا ناره من مسن عقابها الا بعد ان استبانوا لهم ملاصق العدو واصبحوا منه قاب قوسين او ادنى ، فصمدوا له كالراسيات وتمكنوا من صد تياره ساعتين ونصف الساعة رغم انف المصفحات التي كانت تقذف حمصا مثل البراكين النائرة ، والمدافع التي كانت تفتت الصخر وتحصد الارض ولكن المرفقات بايدي المجاهدين والقلوب في صدورهم كانت اشد بانسا .

ونظرا لتأخر النجدة وقلة العدد الذي انضم الى رجال الصف الاول وكثرة الاعداء الذين تألبوا على المجاهدين من كل

## الشيعة في الكويت

### احتلال حاصبيا :

بينما كانت المعارك تدور في الفوطية وفي القلمون ، كان الاقليم شعله نار يضرمها السادة :

صباح الحمود ، وزيد الاطرش وزيه المؤيد ، وفضل الله الاطرش وحمزة الدرويش ، وعلي عامر ، واسعد كنج وشكيب وهاب واسد الاطرش ومتعب الاطرش ، والبطال الكبير المرحوم فؤاد سليم والامير حسن الاطرش ، وغيرهم من الابطال الذين لا تتسع هذه الصفحات لذكر اسمائهم ويجوز لنا بالاجمال ان نذكر ان هذه المعارك العظمى ابتدأت في اول نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٢٥م كنت عائدا من جهات الجنوب وانتهت في اواخر يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٢٦م كنت ذاهبا الى جهات الشرق العربي في مهمة سياسية.

### سير المعركة :

اخذ المجاهدون من جميع الجهات يتجمعون في القرن الشمالي في اواخر اكتوبر (تشرين اول) ثم ساروا الى جهات الغرب فانشطروا شطرين ، الشطر الاول ، احتل اقليم البلان فانخذ قضية المجال مركزا له وكان بقيادة زيد بك الاطرش .

### خسائر المجاهدين :

وكانت خسائر المجاهدين في (عيون العلق) ثمانية عشر قتيلًا اشهرهم فؤاد ارسلان من حمص ، واللازم ابراهيم صدقي افندي من دمشق .

### خسائر العدو :

اما خسائر العدو فقد قال سعيد بك العاص عنها : انها في اليوم الاول بلغت ثلاثة ارباع مدفعيته وفي اليوم الثاني زهاء اربعمائة قتيل .

### ابطال المعركة :

وابطال المعركة هم سعيد بك العاص وفؤزي بك القناوقجي ، ومن الرعماء احمد منلا الكردي ، وابو مصطفى الحرستاني ، وابو شريف شرف ، والقائمقام زكي بك الحلبي ، واللازم خسر الدين الميايدي الطيار ، ومنير افندي الرئيس ، وجميل العلوانسي واخوانهم .

### بطولة اهل النيبك :

ومما هو حري بالتدوين ان اهل النيبك حاربوا في اليوم الثاني حربا صلبا اذ انهم كانوا لا يدافعون عن الوطن فقط ، بل عنه وعن الاعراض المهددة ايضا .

## الغرض من احتلال الاقليم :

اولا - المحافظة على الاهلين من تعديات الفرنسيين بناء على الدعوة التي حملها الى زعماء الثورة اهل الجدل انفسهم في قرية (كفر اللحا) في اواخر اغسطس (آب) كما تقدم معنا .

ثانيا - استمالة الشر كس ومفاوضة الامير محمود الفاعور للانضمام الى الثورة .

واما الشطر الثاني ، فقد سافر من الجبل الى حاصبيا فاحتلها دون اقل مقاومة حرية لان قائد الحامية الفرنسية علم بقدوم الثوار اليها وشمر بضعف قواته امامهم ، فعرض امرهم على الشيخ حسين قيس كبير الشيوخ في البياضة راجيا منه ان يتوسط في الامور وينجيه هو وحاميته من ايدي الثوار . فلبى حضرة الشيخ طلبه وارسله مع القوة التي كان يقودها الى (النبطية) فافازوا جميعا بأرواحهم ، ودخل الثوار بقيادة حمزة بك الدرويش ونزيه بك المؤيد العظيم واسد بك الاطرش وشكيب بك وهاب وغيرهم من زعماء البلدة بين اناشيد الرجال واغاني النساء.

## الثوار في حاصبيا :

بقي الثوار في حاصبيا اياما تتوارد عليهم وجوه قضائي حاصبيا وراشيا واقاموا حفلة ضخمة في قصر الحكومة حضرها جموع غفيرة فخطب فيهم نزيه بك وصبري بك البديوي الباسل خطبا سياسية وحشا الناس على الانضمام الى الثورة وبيننا مقاصدها الحقيقية ، وبالفعل ، اخذت اهالي القرى تظهر خضوعها وتحكم انضمامها الى الثائرين يوما فيوما .

وحدث ان وفدا من مسلمي (جديدة مرجعيون) ومسيحييها عرض خضوعه وطلب الى القواد ان يحتلوا (الجديدة) حالا لان العدو اخلاها فساد الجاهدون وعددهم بضعة الاف اليها وصادف حمزة بك الدرويش في طريقه سيارة فركبها مع ستة اشخاص من

دروز حاصبيا . وعندما وصل الى مفرق الطريق الموصلة الى قرية كوكبة ، اعترضه وفد من اهالي هذه القرية برئاسة خوريها فدعاه الى تناول الفداء في القرية فلبى حمزة الدرويش الدعوة غير ان اهالي قرية (كوكبة) كانوا منشقين شقين ، منهم قسم موال للسلطة الفرنسية وقد امدته بالسلاح والعتاد ، وسوست له ان يقاوم الثوار . والقسم الثاني كان مواليا للثوار وهو الذي دعاهم الى تناول الطعام .

ولما وصل حمزة الدرويش الى القرية ، قابله القسم المعادي من الاستحكامات بالرصاص ، فخر ثلاثة من رجاله قتل ، فنادى حمزة باعلى صوته : « يا قوم لا تطلقوا علينا الرصاص ، لاننا ما ايننا هذه البلاد لحاربكم بل لحاربة الفرنسيين المستعمرين واني اقسام لكم بشرف الدروز وشرف هذه الثورة المباركة اننا لا نمسك بسوء واننا نعتبر هؤلاء القتلى فداء عن الوطن ، فكفوا عن الرمي ، وتأكدوا انكم اذا اردتم مقاومة ، انكم لخاسرون . »

فلم يلجأ طلبية ، بل داوموا على اطلاق الرصاص على حمزة وعلى الجموع القادمة . فهاجت تلك الجموع وماجت كالبحر الزاخر وهاجمت القرية ، وبأقل من نصف ساعة غدت القرية اثرا بعد عين وقتل من الاهلين عدد عظيم من جملتهم الخوري ، وكان قتله برصاص اهل قريته .

ثم عاد الثوار بغنائمهم الى حاصبيا وبعد بضعة ايام سارت قوة كبيرة بقيادة حمزة الدرويش ونزيه العظيم قاصدة «الجديدة» ولما وصلت الى مفرق طريق « ابل السقي » التي تبعد عن «الجديدة» نحو نصف الساعة ، اعترضها اهالي القرية ومعظمهم من المسيحيين ودعوا الى تناول الطعام في القرية ، فلبت الدعوة ، وبانت تلك الليلة فيها ، وفي اثناء السهرة قدم احد شيوخ القرية يحمل كتابا مرسلا من (بعلرس كرم) الى زعماء الثوار وكان كله

الى صيدا .

ولم يقتف الثوار اثر المنهزمين لانهم دخلوا حدود لبنان الصغير الذي قرر الثوار عدم التعرض له . وعليه اكتفوا بنسف جسر (الخزادنة) وعادوا بعد ذلك الى مقرهم (حاصبيا) .

وقد اشترك في هذه المعركة قسم كبير من اهل (العرقوب) وفريق من عرب الامير الفاعور .

### احتلال راشيا واحراق قلعتها :

ولما عاد الثوار الى (حاصبيا) علموا ان معركة كبيرة وقعت بين دروز (راشيا) وبين حاميتها ، فخرج قسم منهم بقيادة السادة حمزة الدرويش ونزيه المؤيد العظم واسد الاطرش وغيرهم من الزعماء الى راشيا ، فتحصنت الحامية في قلعة (ال شهاب) وتحصن معها معقل مسيحيي القرية . ولما ابصروا جموع الثوار قادمة نحوهم قابلوها بالرصاصة ، فهجمت الجموع واحتلت القرية ، وبقي الجند متحصنين في القلعة ودام الحال على هذا المنوال بضعة ايام واخيرا قرر الثوار مهاجمة القلعة فانقسموا الى اربع فرق واحاطوا بالقلعة من جميع اطرافها ، وعهدوا الى السيد نزيه المؤيد العظم بدخولها فقام بمهمته احسن قيام وتمكن من الوصول الى اسفل السلالم بواسطة خرق جدران الدور الموصلة اليها .

ووضعت السلالم على السور فتسلقها الثوار ودخلوا القلعة عنوة ببطولة نادرة تفوق الوصف . وأحرقوا قسما كبيرا منها وقتلوا عددا عظيما من المحاصرين الذين لم يفروا ولم يختبئوا في الاقبية الارضية ، والذين حال الليل دون الوصول اليهم ، وقد استسلم اليهم كثير من المسيحيين فلم يسوهم بسوء بل اطلقوا سراحهم حالا بعدما استولوا على اسلحتهم .

وفي الصباح انت نجيدات كبيرة من الجند مجهزة بالمدافع والدبابات والمصفحات ، ثم حقلت الطائرات فألقت على الثوار

شتائم ووعيد وتهديد . وبطرس كرم هذا هو احد اللبنانيين المتفرنسين جلبته السلطة الفرنسية لرجعون على رأس عصاية من المتعصبين لتكسب الثورة صبغة دينية ، فلم تجز هذه الحيلة على الزعماء بل انهم في الحال قرروا عدم التعرض (لجديدة مرجعيون) وكتبوا كتابا لطيفا الى بطرس كرم يفهمونه فيه ان الثورة ليست ثورة دينية وان الثوار لا يرغبون في قتال المسيحيين ، وانهم سيفادرون (ابل المستقي) ولا يتعرضون للجديدة كيلا تكسب الثورة الصورة الدينية التي يتطلبها الفرنسيون .

وبعد ارسال هذا الكتاب الى بطرس كرم ، عاد الثوار الى حاصبيا فوجدوا زيد الاطرش وسائر الزعماء قد قدموا اليها من الاقليم مع قواتهم ، فقصوا عليهم حقيقة الموقف فوافق الجميع على عدم التعرض (لجديدة مرجعيون) واتصل الخبر ببطرس كرم فتوهم ان الثوار يخشون بأسه فتحرك فيه حس الانقسام ، وارسل قوة الى (برغز) وهي مزرعة درزية صغيرة تخص (آل شحي) لكي تحررها ، فكمن لها شكيب وهاب ، ولما وصلت ظليعتها المؤلفة من ستة عشر رجلا الى قرب القرية ، قبض عليهم شكيب وهاب واخذ سلاحهم واطلق سراحهم قائلا لهم : «يا اخواني ، اذهبوا وبلغوا جميع اخواننا المسيحيين اننا لا نريد بهم شرا واننا لا نرغب في محاربتهم ، بل نود مقاتلة الفرنسيين . »

فذهبوا الى اخوانهم وقصوا عليهم الخبر ، فلم يرجعوا عن فيهم بل هاجموا القرية ، فقابلهم شكيب وهاب ومن معه بالرصاصة وفي الحال اتصل الخبر بزعماء الثوار في حاصبيا فامتطوا ظهور خيولهم واقبلوا على (برغز) بسرعة هائلة ، فلما رأهم (بطرس كرم) وقومه ولوا الادبار الى (جديدة مرجعيون) وانضموا الى الحامية الفرنسية التي وصلت اليها حديثا ، وتحصنوا في الزور والاستحكامات فتبعهم الثوار ودار بينهم قتال عنيف دام نحو سبع ساعات ، وانتهى بنصر المجاهدين وانخلال العدو وفراره



في الاقليم ، فخر صريعا يتخطط بدمه .

وبعد فترة ابتداء تراجع الثورة في تلك الانحاء .

ان اسم فؤاد سليم هو من الاسماء التي ستوضع في اوائل اسماء المرشحين لنيل الاولوية في جهاد الميدان من بعد القائد العام . وهو لا شك مقرون دائما بالافعال امثال حمد البربور وفوزي القاوقجي وفضل الله هنيدي ونزيه المؤيد وصباح الحمود ، وزيد الاطرش وسعيد العاص ، وشوكت العائدي وحمد عامر وشكيب وهاب وعبد القادر سكر ، وابي محي الدين شعبان ، وعادل نكد وتوفيق هولو ونسيب الاطرش وسليمان العقباني وزين مرعي جعفر ومحمود ابو يحيى واسعد كنج ومحمد شرف ومحمد عز الدين الحلبي وسلمان الاطرش والامير حسن الاطرش والامير عز الدين الجزائري ، وغيرهم من كبار الرجال الذين لا تتسع هذه العجالة للاحاطة بهم ولذكر اسمائهم .

وحسبنا ان نقول هنا ان العقل الراجح اذا انضمت اليه الشجاعة النادرة وكان الاخلاص حلقة الوصل بينهما تمثل امامنا شخص شهيد الوطن ، فؤاد سليم .

مقادير كبيرة من المفردات مما اضطرهم الى ترك البلد والاعتصام بالجبال .

حينئذ دخل الجنود القرية قتلوا جميع من وجدوهم وفي مقدمة الجميع ، كان الشيخ نعمان وجميع افراد عائلته .

#### استشهاد فؤاد بك سليم :

هذه خلاصة مختصرة لمشارك الاقليم الكبرى ذكرتها بصورة اجمالية ولا كنت عازما في اواخر تلك الايام على زيارة المناطق الجنوبية لتنفيذ بعض المهام السياسية سمعت في دار الوطني الكبير والبطل الشهيد المرحوم فضل الله باشا الهندي زعيم قرية (الجدل) خبرا قضت له المضاجع الا وهو خبر مصرع الجاهد الممتاز واللوزعي المفادي ، المرحوم فؤاد سليم .

ان انسى لا انسى قدوم هذا البطل الى الجبل متطوعا في اواسط شهر سبتمبر (اللول) سنة ١٩٢٥ بعدما اقتحم الاخطار وخاض المناطق المحظورة عليه الرور فيها ، فكان اول من رايته في الجبل من القاديين من المناطق الاخرى بعد اخواننا .

قص علي يومئذ كيف استطاع اقتحام صحراء التيه والرور بفلسطين وشرقي الاردن مع كثرة العيون والارصصاد وحرص السلطات المتنوعة على منع المتطوعين من الالتحاق بالثورة فشكرت له مساعيه وحمدت له وطنيته ثم رايته ملازما للقيادة العامة يتحمل اعباءها ويتحمل وعث السفر وشقاء المشية غير حريص على التفوق بل جعل نفسه داعية واداة منفذة .

ان هذا الاحتماء وراء شخصية باهرة وشجاعة نادرة وعقل راجح ، وهو الذي كلف بنشر الرسائل الوطنية البليغة في الاقليم باسم القيادة العامة وبعبارة : « الدين لله والوطن للجميع » وافاه اجله من قبلة اصابته عرضا وعفوا في احدى الطرق

منذ اوائل اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٢٥ حتى اواخر نيسان سنة ١٩٢٦ كان في حالة سكون نسبي .

غير ان ذلك لا يعني ان المجاهدين في الجبل اخلدوا الى السكينة طيلة هذه المدة ، بل انهم خاضوا غمار الموضعات السياسية في مؤتمرات عقدوها في قنوات وعتيل وشقة ودامسة عقيب دعوة دو جوفيل السلمية ، واحتلوا اللجاء ليهذبوا السكة الحديدية في حوران ويقطعوا على الفرنسيين خط الرجعة .

### اثر دعاية دو جوفيل في الجبل :

ومما هو حري بالتدوين ، ان الدعاية الجوفيلية اثرت اثرا ظاهرا في الجبل ، حتى ان بعض الزعماء الكبار انتدبوا الشيخ اسماعيل عز الدين من اهالي ( السويداء ) ليحمل كتابا الى القومندان (كوستيلير) في درعا وفيه الشروط التي يطلبونها وقد عاد المندوب الى السويداء في اليوم الرابع عشر من يناير ( كانون الثاني ) سنة ١٩٢٦ فقال :

« قابلت كوستيلير في درعا وعرضت عليه الرسالة فاجابني لا اسمع ابدا ان يكون هناك في الجبل زعيم . وان هذه الفاسد هي من الدكتور شهبندر وهو رجل (فرماسون) لا دين لهه . والشروط التي نطلبها هي ان تعيدوا جميع الاسلحة الفرنسية وتودوا ثمن الخيل الاميرية التي يمتوها في شسر ق الاردن ، وتعيدوا بناء القلعة وسائر دور الحكومة الى حالها السابق وتضعوا سلاحكم في محل تأمون عليه وتأثروا خاضعين بعد اخراج الدكتور شهبندر من الجبل ، ولا بأس ان تجتمعوا للمذاكرة ولكن على شرط ان تضعوا على صدر رسالتكم اشارة خضوعكم ثم توقعوا عليها لا بصورة فردية بل بعدد كبير من الرجال ، منعنا للرعاية التي تأبأها فرانسمة . وكان احد رجال الدروز الكبار موضوع تقده الخاص ، وفي النهاية قال كوستيلير : « ولا بد من استعداد جميع

## معركة السوريات

في ٢٥ نيسان سنة ١٩٢٦

بعدما فشل غاملان في هجومة على الجبل في سبتمبر (اللول) سنة ١٩٢٥ واضطر الى سحب جنوده الى الشمال عقيب الثورة في حماه ، نشر على الملا ان سيب هذا النشل هو قلة الماء فقتل ان الجيش الصغير يعجز عن اقتحام تلك البلاد ، والجيش اللجيب يموت فيها من العطش .

ثم اخذ في ذكر الخطط التي ينوي تطبيقها سريعا من احتلال صر فند في الجنوب وبناء القلاع في الغرب الى اخر ما هناك من الكلام .

لكن الواقع هو ان الفرنسيين خافوا مغيبة الحوادث في الشام وحمص وحماه وحلب ، فأرسلوا جنودهم الى تلك الارحاء سدا للدرائع ، خصوصا بعدما بدت البوار في النوطة ، وهبت العاصفة في حماه .

ثم مرت الاشهر الطوال والجبل خال من الجنود الا على الحدود في بصرى الشام وبصرى الحرير وازرع . ولولا قنابل المدافع من بعض هذه القلاع وزيارة الطائرات المتوالية للقصرى وخصوصا للسويداء حيث التدمير كان فظيما ، قلنا ان الجبل

## مطالب الثورة .

ثم تقرر تأليف لجنة لإدارة الجبل وبحث في قضية حملة الفوطنة بقيادة فوزي بك القاوقجي بحثا مستفيضا .

ويظهر لي ان العامل المؤثر في تصليب الفرنسيين هو (الندريا) وغاملان في الدرجة الاولى .

ثم اننا عقدنا في السويدةاء مساء الاثنين الواقع في ١٨ يناير (كانون الثاني) جلسة للتفاسل بين حملة تذهب الى الفوطنة او حملة تذهب الى اللجاء وحوران ، فترجحت لدينا هذه باكثرية الاصوات للأسباب التالية :

القرب وخطورة النتائج والسرعة الضرورية والاستغناء عن الرواتب الضرورية لثل حملة الفوطنة ، وقد ذهب المجتمعون الى ان حملة حوران اذا كتب لها النجاح ، تريح الفوطنة وتخفف الوطأة عن سائر المناطق الشمالية .

وبينما كنا نسهر في تنظيم الثورة على هذا النحو كان كوستيلير يتأمر مع ظاهر القنطار وابراهيم الاطرش على افتيالي . واول من كشف لي الفطاء عن ذلك (٠٠٠٠) اذ ان لوالد صهرها ، ابراهيم بك الحاصباني اتصالا مباشرا بالأميرين وقد قصت علي الحديث في اليوم التاسع عشر من يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٢٦ وذكرت لي مقدار المال الوافر المروض لتنفيذ هذه المؤامرة .

وفيما بعد ذكر لي ابو محمد نسيب صفخر ان ابراهيم الاطرش المذكور وعده بضمسمية ليرة ذهب عثمانية اذا هو استطاع ان يسهل دخول داري ليلا ونفخ باب حجرتي فاني .

## تنظيم العمل في الثورة :

وكان همتا في تلك الايام منصرفا الى تنظيم مناطق الثورة

المصائب التي تعبت بالامن خارج الجبل ، واني لا اضمن العفو عن احد » .

## إفساد خطة كوستيلير :

كان الدروز يوم عودة الشيخ اسماعيل عن الدين في ( شقة ) للمداولة في الشؤون قرأت الفرصة سانحة لاطلاهم على نيات الفرنسيين ، فأرسلته اليهم قبل تفرقهم فلقبهم في اليوم الثاني وقص عليهم هذا الحديث اللفظ الخالي من كل ادب وحكمة .

فلفت الحساسية في رؤوسهم ذرى المفارق حتى ان فضل الله باشا هنيدي حلف يمينا غموسا ان لا يسمح لاحد من الهندييات الذين هم على اقل اتصال بالفرنسيين بالبقاء في الجبل ومن ثم اخذ المجتمعون قرارا بان يذهب كل فرد من كل بيت معروف في قرية ( ذيين ) ليحرقوا بيت فارس الاطرش و ( للمجيم ) ليحرقوا بيت سليمان عبده الاطرش وهما رجلا قد خانا المشيرة وعبشا بالوطن وقد نفذ القرار هذا فيما بعد ، ثم انهم تخاذلوا على الاستمرار في الحرب بصورة جدية .

ثم ان هذه الخطة التي اركبها القوميون كوستيلير هي الثانية من نوعها ، الا اذا كان هو وحزبه من طفاة العسكريين قاصدين دوام الثورة .

والخطيئة الاولى هي ما مر معنا من امتناع الجنرال ساراي من مقابلة الرعماء .

## قرار المجتمعين في الجبل :

وكان من نتائج هذا الخطا الفادح ان تقرر في (شقة) ايضا ان تقدم ربع محاريبها بالتناوب للاستمرار على الثورة وان يشتمل الحريق بيوت غير من ذكرنا امثال نجيب عامر وثركي عامر وعبد الكريم نصر ، وان يكتب الى كوستيلير كتاب يلقي بكلامه ويشمل

(صاد) و (سمح) الموحشتين ، ثم في قرية (طيسيا) الخالية من السكان وجذا اثار الفرنسيين وعسمهم وكيف كانوا يقطعون السيل على المارة .

هذه كانت احوال الحدود بيننا وبين الاعداء وعلى مثل هذا الخراب كانت القرى المجاورة .

### الشركس :

ولقد لقيت في قرى جماعة «الششن» في الجنوب من حسن الوفاة وكرم الضيافة والمطف والتبرؤ من اعمال الشركس النطوعين في خدمة المستعمرين ما يسجل لهم بمداد الفخر .

ان «الششن» والحق يقال ، على جانب من الشعور الحي وقد ذكروا لي ان كثيرا من الشركس في بلاد القفقاس كانوا يخدمون في جيش القيصر الروسي لسحق الحركات الوطنية وهذا ما يتفق مع سيرتهم في الاناضول ايضا يوم تطوعوا في خدمة اليونان الفتيحين لسحق الترك الوطنيين . ولا بد ان هذه النزعات ستحدث الا جازحا في نفوس الشاعرين منهم بدخائل الامور .

### حركة مجحم الشمال :

ومن الحوادث المؤلة التي حدثت في غضون هذه الرحلة ان مجحم الشمال ممن يدعون التدين على الطريقة الوهابية هاجم الازرق على ارض تدعى البعاوية صباح سفري من السويداء فاغار على نحو خمسين بيتا من عرب المساعيد رعيان الدروز في حين كانت البلاد من اقصاها الى اقصاها تتفاعل بقرب مجيء التدينية لمساعدة الجاهدين .

وقد احدث بعمله هذا تأثيرا سينا تلافاه الاخوان في فلسطين بالكتابة الى المراجع الايجابية .

ومما هو حري بالتدوين ويدل على اشتراك سكان البادية في مذكرات (١٥) - ٢١٣ -

ووضع اسس الاتفاق بدلا من الفوضى ومقاومة الخونة مقاومة عنيفة ، بيد انه من دواعي الاسف ان تكون عادات البيوتات والثارات في الجبل مانعة من تنفيذ هذه المساعي وابقاع القصاص الصارم في هؤلاء الاسافل ..

وكان من نتائج هذه المساعي الاتفاق على كتابة عهد امضاها مشايخ عرمان وملح وامتان والهوية وقيصمة والحريسة وابو زريق وشعف دهم وتل اللوز وطليلين ، وفيه يقسمون بان يتخذوا.

١ - الامتناع عن الشر وعلى اتيان الخير .

٢ - على التبرؤ من كل من يرسل العدو او يقابله .

٣ - على تأديب من تثبت عليه الشبهة «بغرضه» اي بسط داره للنهب وهدر دمه .

٤ - على التآخي التام والتعاون اللازم في الداخل والخارج .

٥ - تنفيذ هذا العهد منوط بفتيان الوطن الفيوريين .

وكان الاخوان في السويداء يضعون يومئذ لهؤلاء «الفتيان» قانونا يمشون عليه .

### مفادتي للسويداء :

غادرت السويداء في اليوم الحادي والعشرين من يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٢٦ للاجتماع باحد المندوبين السياسيين الوطنيين خارج مناطق الثورة في الجنوب ، فمرت على ام الرمان حيث التقيت باصحاب العهد يوقعون من مشايخ هذه القرية الحرة ، وكان لا بد من مروي في طريقي الى الجهات على القرى الاصلقة بصرى الشام حيث العدو متحصن بخيله ورجاله فتقدم الفتيان لحراستنا وعلى رأسهم جاد الله بك البربور فآخذوا يعدون على ظهور الصافنات الجياد ، امام سيارتنا الى ان ادخلونا قريتي

وعلي بك عبيد وجابر بك الصنفر وغيرهم لأجل البحث في المدعوة الإسلامية التي نشرها دو جو فنييل ، فتقرر ارسال جواب مؤلف من ست مواد معروفة ، إلا أنه كان شديد اللهجة جدا وخاليا من المرونة السياسية المطلوبة ، وفي ختامه طلب الجلاء عن سورية عقيب المجلس التأسيسي بشهرين والامضاء : الشعب الدرزي .

وهذا خطأ فادح أيضا ، اطلع المسيو دو جو فنييل على هذا الجواب فنشر في الصحف بيانا مختصرا اشد منه ذكر فيه : ان لا سلم ولا مفاوضة الا بعد ان يخضع الثوار ويلقوا سلاحهم . وبعد قرار مؤتمر دامة هذا وبيان دو جو فنييل عليه طورا جديدا في تاريخ الثورة السورية ، انقطعت من بعده الوسائل السلمية ، ولم يعد امام سورية للوصول الى حقها المقصوب الا الاستمرار على الحرب . هل كان بالإمكان لو لا قرار دامة يا ترى الوصول بالمفاوضة الى حل سلمي . وهل كان دو جو فنييل صادقا في اظهار ميوله الصلحية ومؤمنا بالبيانات التي نشرتها الصحف عنه يوم كسان قادمنا الى سورية . وهل ثبت فيما بعد انه كان قبيل تعيينين (بونسو) خلفا له من اقرب التوسيعيين الى القضية السورية مودة ، وانه الوحيد الذي اظهر عطفًا او تظاهرا به ؟

هذه اسئلة ليس من المستطاع الجواب عنها الان بل تترك الى الاجيال القادمة وربما عرف عنها اخواننا في اوربا ومصر اكثر منا .

### الزحف على اللجاء :

وفي صباح الجمعة الواقع في السادس والعشرين من شهر فبراير المذكور غادر المجاهدون قرية (دامة) الى لب اللجاء في حوران فاحتلوا من غير مقاومة تقريباً قرية (جبل) وسائر القرى الاخرى وانهزم من امامهم طلال ابن ابي سليمان واحمد الفصين

المعطف على هذه الثورة الا ما كان نائرا في شذوذه ما اجرني عنه (حديثة الخريشة) شيخ الخرشان ومثقال باشا الفايز شيخ صخر بتولهما ان الفزوات هذه السنة كانت نادرة جدا بالنسبة الى السنين الماضية ، لان البدو حرموا على انفسهم الفارة على هذه البادية خشية ان يصادموا فيها الجاهدين او يسلبهم حلالهم .

### عقاب الجواسيس :

واتفق لي يوم عودتي الى السويداء من رحلتي الى الجنوب ١٢ فبراير (شباط) مساء ان الدرك قطع يدي الجاسوسين شفيق التراز وصويصي الشنيلبي اللذين لعبا اخطر الادوار في الخيانة بعد ثبوت الجرم عليهما . فاذاغ (دوتير) و (هاناس) كمسا اذاغ المسيو دو جو فنييل امام عصبة الامم فيما بعد ، التي انا السدي قطعت اليدين من غير شك ، مع ان التنفيذ جرى في غيبي ، ولو كنت حاضرا لمنتته لان الجاسوسين المذكورين لا يستحقان قطع اليد بل لانهما يستحقان خلع الرقبة .

وقد اخطأ الدرك ومن اشار عليه بهذه الرحمة التي كانت آلة للدعاية في ايدي الفرنسيين .

### مؤتمري في « دامة » :

وفي المنتصف الثاني من شباط تم الاتفاق بيننا وبين سلطان باشا على الزحف على اللجاء فاخذت الجموع تحتشد من كل مكان ، وفي مساء الخميس الواقع في الخامس والعشرين من الشهر المذكور عقدنا جلسة تاريخية في اللجاء داخل قرية « دامة » في بيت شبيب بك التنتار حضرها عدد كبير من الرعاء :

سلطان باشا وعبد الفغار والرحوم الامير حمد وصياح بك الحمود وسليمان بك وفضل الله بك من الطرشان ومن العوامرة علي بك وهائل بك والامير عادل ارسلان ، وتوفيق بك هولو حيدر

## نخبة الثورة

« لم يتناول الدكتور عبد الرحمن شهبندر في مذكراته المراحل الأخيرة من الثورة السورية (١٩٢٥ - ١٩٢٦) على أننا نرى لتمام هذا الموضوع التاريخي ان نشير الى هذه المراحل بلمحة موجزة يتقنه منها القارئ على الظروف القاسية التي عاشها المجاهدون السوريون بعد ان تمكنت قوى الاستعمار الفرنسي من كبح نشاطهم الوطني المسلح والجهاتهم الى مغادرة الاراضي السورية ليعيشوا حياة الفسك والبؤس والتشريد في منطقة الاذرق من بلاد الشرق العربي (المملكة الاردنية الهاشمية حالياً) .

### خاتمة المطاف :

احتل الفرنسيون السويدياء على اثر معركة ضارية مع المجاهدين من السوريين وبني معروف يوم ٢٥ نيسان سنة ١٩٢٦ استمرت طوال النهار والليل اشتريت فيها الدبابات على الارض والطائرات في السماء ، واضطر المجاهدون الى الانسحاب للشرق ، فنزل سلطان باشا الاطرش واخوانه على مكان يقال له «عين النخبة» كما نزل الدكتور عبد الرحمن شهبندر واخوانه بقرية «سالة» .

وغيرهما من الشيوخ الذين ابتاعتهم الدولة المستعمرة بالمال ، والدراهم البخسة .

ومن ذلك اليوم اصبح اللجاء في قبضة الثوار الى نحو المنتصف من شهر نيسان اذ استعد الجنرال (اندريا) للرحف على السويدياء .

وغير نكر ان الفرنسيين اهتموا انشد الاهتمام لسقوط اللجاء بيد المجاهدين وعرفوا ان اتصالهم بحوران لاسيما بقلمه بصرى الشام ودربعا اصبح مهددا لان قرية خيب الواقعة على السكة الحديدية الحورانية لم تبعد عن «صور اللجاء» غير ساعتين .

بيد ان العربان في اللجاء ، الا القليلين منهم ، وقفوا انفسهم في خدمة الفرنسيين فكانوا عقبة في سبيل الثورة كودا ، ولا انكر ابدا الخطا الذي ارتكبه بعض المجاهدين بقتلهم اخا طلال المذكور مما ادى الى حرب بحوران بين العربان وبين المجاهدين ، سمعنا طلقات نيرانه في قرية «صور» ومن المؤسف كثيرا ان يقع على مهاجري الاقليم ثار هذا القتل .

فقد رأيتهم في قرية «لبين» وهي من قرى اللجاء في مساء الجمعة الواقع في ٩ من شهر نيسان (ابريل) بحالة تفتت الاكباد وذلك بعدما اكتسحت ديارهم الجيوش المستعمرة ومن ورائهم شرادم المأجورين والمتمصين .

## الملاحق

مذكرة الشعب بنذر إلى وزارة الخارجية الفرنسية

وفي رسالة عقدت عدة اجتماعات بين الزعيمين الاطرش والشهبندر وانفق الرجلان الكبيران على الاتصال بالرحوم الملك فيصل الاول وتسليمه مذكرة بمطالب البلاد لعرضها على المراجع المختصة في اوروبا وقد تم الاجتماع فعلا بين الزعماء السوريين والملك العربي وعقد الجميع جلسة بالقرب من القياصة على طريق بغداد الى الجنوب من القرية المذكورة شهدها بالاضافة الى الدكتور شهبندر والملك فيصل كل من سلامة بك الاطرش والامير حسن الاطرش وعلي بك المصطفى الاطرش ونزيه بك المؤيد المعظم وعلي ذوقان بك الاطرش وكذلك رستم بك حيدر وتوفيق بك السويدي وتحسين بك قدري .

وفي اول اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٢٦ غادر الدكتور شهبندر جيل الدروز لآخر مرة وبرفقته سلطان باشا الاطرش ونسيب بك البكري فتعمشوا خلصة في بيت شيخ «العانات» وهي قرية على مرمى الرصاص من معسكر الفرنسيين في تل الخضر .

وفي اخر الليل واصلوا سيرهم الى الازرق فبلغوه صبيحة اليوم التالي وكان يوم الاثنين ١٤ (كتوبر) تشرين الاول سنة ١٩٢٦ .

الناشر

\* \* \*

وفي ختام هذه المذكرات فإننا نسجل المذكرة الصاخبة  
التي كتبها الدكتور عبد الرحمن الشهبندر الى الحكومة الفرنسية  
بباريس .

وقد تضمنت نصوصها شرحا ضافيا للعوامل المباشرة التي  
ادت الى اثاره الخواطر وازدياد النقمة الشعبية ثم اندلاع نيران  
الثورة الوطنية التي انطلقت شرارتها الاولى من معقل جبل الدروز  
ثم ما لبثت ان عم لهيبها المقدس اكر البلاد السورية واستمرت  
نيرانها متأججة في الجبال والوديان والسهول اكثر من سنتين  
دون فتور ولا انقطاع . والتهمت آلافا من الازواح البرية التي  
قدمها الشعب السوري المجاهد قربانا مقدسا على مذبح الحرية  
والكرامة والاستقلال . وكانت معاركها الضارية صفحة وضاعة  
مشرقة من صفحات النهضة العربية في كفاحها ضد الاستعمار  
الفرنسي الفاشم في الشرق .

#### الناشر

نص المذكرة التي قدمها الدكتور عبد الرحمن الشهبندر  
الى وزارة الخارجية الفرنسية يسط فيها اسباب  
الثورة السورية واغراضها .

انشرف بان ابسط لسعادتكم اسباب الثورة التي نشبت



عمله الجنائي هذا .

٦ - اعتقل المدعو حسين صديق ١٥ يوما لانه لم يذهب لاستقبال الكابيتين كارييه ، وفرضت غرامة على القرية قدرها ٢٥ جنيهها ذهبا لانها لم تستقبله استقبالا فحضا . وقد فرضت مثل هذه الغرامة على قرية عرمان للسبب نفسه .

٧ - اعتقل فهد بك الاطرش قائمقام صلخد وضرب ضربا مبرحا دون تحقيق بناء على وشاية بسيطة من احد الجواسيس .

٨ - فرضت غرامة على سكان السويداء قدرها عشر جنيهات لضياع قطعة اللبوتان (موريل) .

فهذه الحوادث وامثالها والافتئات على حقوق البلاد ، كل ذلك حمل الاهلين على الثورة ، ويخطيء من يعتقد ان الوطنيين وحدهم هم الذين اثاروا حركة الاحتجاج هذه .

فان المعتدين انضموا اليهم . وقد الف وفد وذهب لبث شكواه وتقديم عريضة تتضمن رأي الجبل ومطالبة .

ورفض الجبزال قبول هذا الوفد ، رفضا فيه كل معاني الاحتقار والتهديد ، فزاد بعمله هذا غير المنتظر هياج الافكار الناشيء عن ادارة الكابيتين كارييه ، ولم تقتصر السلطة على الاحتقار والتهديد ، بل جردت على الجبل الهادىء المسالم حتى تلك الساعة قوة قوامها بضع مئات من الجند بقيادة القومندان (توما مارتان) الذي اسديت اليه نصائح كثيرة بالمدول عن سياسة الشدة ومعالجة المشكلة باللطف واللين ، ولكنه لم يرد ان يستمع شيئا . وقد استهل عمله باعتقال عدد من الرعاء تمكن من اعتقالهم لقربهم منه وارسلهم الى المنفى ثم وجه قسما من قوته للقبض على زعماء اخرين ، وكان ذلك فائحة الثورة ، اذ لم يبق احد امينا على حياته او على ممتلكاته .

اخرا في جبل الدروز والنتائج المنتظرة منها والحالة الحاضرة في سائر أنحاء سورية :

بعد وفاة سليم باشا الاطرش سنة ١٩٢٣ عين المشدوب السامي الفرنسي الكابيتين كارييه حاكما على الجبل خلافا للاتفاق البرم مع الدروز ، وهذا الموظف الذي اشتهر بسوء السيرة في حياته الخاصة والعامة ، واعتمد على فريق من الموظفين الذين فسدت اخلاقهم . نهج في الجبل سياسة الارهاب والتنكيل فبدلا من ان يدير شؤون البلاد عمد الى دس الدسائس والتفريق بين ابناء البلاد .

واليكم مقتطفات من وثيقة طويلة قدمت رسميا الى الجبزال ساراي في ٦ يونيو (حزيران) سنة ١٩٢٥ عن اعمال الكابيتين كارييه :

١ - كان عدد من رجال الجندومة المسلحين بالمصي مخصصين لاهانة الناس وضربهم تنفيذا لرغائب الكابيتين كارييه ورجال حاشيته بدلا من ان يقوموا بالواجبات المفروضة عليهم .

٢ - اعتقل حامد قرقوط من اعيان قرية ذيبين مدة خمسة اشهر من دون سبب ولا محاكمة ، وكان يهان ويضرب في الصباح والمساء لاقبل وشاية من احد الجواسيس .

٣ - جلد المدعو حسين كابول من قرية (رعية اللحف) حتى مرق لحمه لانه اهمل ان يحثي الكبورال «ديوشيل» في اثناء مروره على الطريق العام .

٤ - اعتقل المدعو وهبة المشعوش وضرب ضربا مبرحا في السويداء لانه رفض ان يؤجر منزله .

٥ - اطلق الكبورال (ديوشيل) عدة طلقات من مسدسه على محمد بك الحطبي مدير العدلية العام ، ولم يزل اقل عقاب على

ليدرك حقيقة الازمة الاقتصادية والمالية التي عانتها البلاد بين سنتي ١٩٢٠ و ١٩٢٥ ، فان الثروة العامة نقصت نقصا عظيما بينما كانت الضرائب تزداد على نسبة اعظم .

وقد انضمت الغاية المنشودة حينئذ ، وهي اقناع البرلمان والحكومة في فرنسا واقناع العالم كله بان سورية اخذت ثثري وان الدليل على ثروتها كثرة الضرائب المفروضة عليها .

واذا صرفنا النظر عن الحالة السياسية ، ونظرنا الى الحالة الاقتصادية لم نرها احسن منها لان المفوض السامي ظل مصدرا لجميع انواع السلطات ، من تشريعية وتنفيذية وقضائية . ولم يكن للمجالس التمثيلية التي منحوها البلاد سنة ١٩٢٣ اقل سلطة . وقد اصبحت الحكومة المحلية شبحا يمثل المفوض السامي اكثر مما يمثل البلاد .

واشتد الاستياء ، واصبح عاما فقامت البلاد غير مرة تحتج على هذه الحالة التي كانت تسير عليها الى المفوض السامي التي هي فيها الان . وقد افهم ولاية الامور ان طريق الحل الوحيد ، هو تأميمين سيادة سورية بانتخاب مجلس تأسيسي ينظم دستور البلاد ويضع اساس علاقاتها الودية مع المحافظة على حقوق سورية ومصالح فرنسة في وقت واحد ، على ان يكون هذا الانتخاب حرا .

لكن هذه الرغائب لم ترق الموظفين الذين تعودوا ارضاء شهواتهم من دون مراقبة ولا مسؤولية . فان بعض كبار الموظفين الفرنسيين وجدوا في البلاد خذما مخلصين ، فاثروا معهم شركة لاستغلال السكان على حساب فرنسا وسورية استغلالا يجنون كل فائدته لانفسهم ، وقد صادفت هذه الشركة نجاحا عجيبا في جميع مشروعاتها الخاصة ، وهكذا اذن تتحققون ، ان قستم بتحقيق دقيق ، ان كثيرين من هؤلاء الموظفين جمعوا ثروات طائلة وتركوا في البلاد آثارا من مساوئهم وفنائهم لا يمكن

ولكن القوة هذه ، ايدت في الكفر يوم ٢٢ يوليو (تموز) سنة ١٩٢٥ قبل ان تحقق اميتها . ولم تشأ السلطة ان تعد هذا العمل اذارا كافيا ، بل واصلت مغامراتها التي انتهت بكبسة المررعة في ٢ اغسطس (آب) سنة ١٩٢٥ و ٢ منه ، على الرغم من النصائح التي اسديت الى ولاية الامور ، وكانت نتيجة هذه السياسة ابادة بضعمة الاف من الجنود الفرنسيين الساكنين . ولا تزال القوات الفرنسية تصادف الصعوبات عينها حتى يومنا هذا .

ولا تزال الثورة التي نشبت في جبل الدروز تتسع نطاقا حتى اوشكت ان تعم سورية كلها . وهذه نتيجة لازمة لسياسة الضغط والارهاق التي وضع اساسها الجنرال غورو . وسار عليها خلافاؤه من بعده .

اما قواعده هذه السياسية فهي :

- ١ - جمع كل انواع السبلطة في يد المفوض السامي .
- ٢ - خنق كل الافكار الحرة .
- ٣ - استغلال البلاد واهلها من غير ابقاء على شيء .

وقد اعتزلت العناصر الوطنية المنورة العمل ردحا من الزمن ، متوقعة فشل هذه السياسة من جهة وانتهاج طريق اخرى تكفل للبلاد حقوقها وتحقق الامل التي اعربت عنها بلسان الجماعات التي فوضتها من جهة اخرى .

على انه لم يطرأ اي تعديل جوهري ، مع ان النتائج جاءت سيئة جدا . وكانت البلاد التي بدأت تنتعش بعد الحرب قد وقعت في ازمة اقتصادية ومالية لا مثيل لها ، فلم تفعل السلطة شيئا لتخفيف هذه الازمة بل وجهت كل مساعيها لاستغلال دافعي الضرائب بفرض رسوم وضرائب جديدة ، وحسب القنازيء ان يلقي نظرة اجمالية على احوال التجارة والصناعة والزراعة

بلا سبب الى جزيرة ارواد حيث عوملوا اسوأ معاملة وتمكن آخرون من الفرار قبل فوات الاوان .

وضاعف هذا العمل الفجائي غير المقول الصعوبات القائمة في البلاد ، وكانت اذارا بالجلاء . وكانت السلطة بالتجاهل الى مثل هذه الاعمال القاسية غير المشروعة قد اهابت سخط الاهالي الناقمين ، واقنعت اكرية الوطنيين السوريين بان الوسائل السلمية المشروعة لا تؤدي في حال ما الى تحقيق آمال شعب من الشعوب ، وان دعاة الوسائل السلمية يكونون دائما ضحايا القوانين التي يريدون احترامها .

وهكذا اخذت بؤرة الاضطراب تتسع بالتدريج اذ لا يعلم احد ماذا يحدث في الهند اذا لم تبذل المساعي لمعالجة المشكلة بالحكمة والعدل .

وارى من واجبي ان اقول قبل ان اختم هذا الكتاب :

ان فرنسة لن تحافظ على نفوذها في هذه البقعة من بقاع الشرق بقوة السلاح ، وانما تستطيع ان تفعل ذلك بانتهاجها سياسة المسالمة واعترافها بحقوق سورية المشروعة . واستطيع ان اؤكد لكم ان اكرية الشعب السوري على استعداد للتفاهم مع فرنسة على قاعدة سيادة سورية القومية مع المحافظة على مصالح الفرنسيين .

وتفضلوا في الختام ، بقبول فائق احترامي

الدكتور شهبندر

نصديقتها .

وان الكاتبين كارييه وحمدي الجليل الذي بقي مديرا للبوليس اربع سنوات ونصف السنة هما في سورية من اكبر الشواهد على ذلك .

ولما تحقق الوطنيون السوريون ان الحالة تسير من سيء الى اسوأ ، قرروا تأليف حزب باسم «حزب الشعب» فافترفت السلطة قصارى جهدها لمنعهم من ذلك ، ولم يحصلوا ، الا بعد جهد جهيد ، على ترخيص الحكومة لهم بالاجتماع في شهر مايو (ايار) سنة ١٩٢٥ .

والتفت اكرية سكان البلاد حول هذا الحزب ، كما ثبت للمسيو «اوغست برونه» في اثناء قيامه بالهمة التي انطت به في سورية في شهر يوليو (تموز) سنة ١٩٢٥ .

وقد سار هذا الحزب على الطريق المشروعة لتحقيق الاماني الوطنية وحاول ان يقنع الجنرال ساراي وكبار الموظفين الفرنسيين بان الوطنيين السوريين ليسوا اعداء لفرنسة ولكنهم يريدون خدمة بلادهم بتأمين حريتها وحقوقها المضمونة واقامة نظام وطيدها على قاعدة الاماني الوطنية لا المنازعات الطائفية التي لا تزال تسير بها حتى الان الى الخراب والدمار .

وحاولت الحكومة المحلية ومن رائها كبار الموظفين في المفوضية السامية ، غير مرة ، ان يخفوا معارضة «حزب الشعب» لاسباب خاصة .

ولما نشبت الثورة الدورية للاسباب التي بسطتها آنفا ، تمكنت السلطة من انتهاز الفرصة للانتقام من حزب ثالث لتحقيق برنامجيه بالوسائل المشروعة .

وقد قبض على كثيرين من اعضاء «حزب الشعب» وابعدوا

فهرس

الصفحة

الموضوع

|     |                                                |     |
|-----|------------------------------------------------|-----|
| ٥   | تعريف                                          | ٥   |
| ٧   | اقسام الكتاب                                   | ٧   |
|     | القسم الاول : مذكرات الدكتور عيسد الرحمن       |     |
| ٩   | الشهيد في السجن عام ١٩٢٢                       | ٩   |
| ١١  | مقدمة                                          | ١١  |
| ١٥  | كرابن في سورية                                 | ١٥  |
| ٧٤  | الشهيد في سجن القلعة                           | ٧٤  |
| ١١٦ | الحاكمه و أسرارها                              | ١١٦ |
| ١٢٠ | يوم الحاكمه                                    | ١٢٠ |
| ١٣١ | السجن في قلعة بيت الدين                        | ١٣١ |
| ١٤٧ | القسم الثاني : مذكرات الشهيد عن الثورة السورية | ١٤٧ |
| ١٤٩ | تمهيد                                          | ١٤٩ |
| ١٥٥ | إبتداء الثورة                                  | ١٥٥ |
| ١٥٨ | إعلان الثورة                                   | ١٥٨ |
| ١٨٠ | الثورة في حماه                                 | ١٨٠ |
| ١٨٤ | معركة الشام الكبرى                             | ١٨٤ |
| ١٩١ | حسن الحراط                                     | ١٩١ |
| ١٩٧ | الثورة في النسيك                               | ١٩٧ |
| ٢٠١ | الثورة في الإقليم                              | ٢٠١ |
| ٢٠٨ | معركة السويداء                                 | ٢٠٨ |
| ٢١٧ | نهاية الثورة                                   | ٢١٧ |
| ٢١٩ | الملحق :                                       | ٢١٩ |
| ٢٢١ | نص مذكرات الشهيد الحارثية القرنسية             | ٢٢١ |